**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 1-14**

# شعرية تحولات الفضاء السردي في الرواية العراقية المعاصرة: رواية "إذ سعّرت" للروائية العراقية "فائزة العزي" أنموذجا

**عموري السعيد(*)**

**الملخص:** تتميّز الرواية العراقية المعاصرة بجدتها وتميزها على مستويات عديدة أهمها الجانب الموضوعاتي، على اعتبار ما يعيشه العراق من حالات تحوّل تصنع تاريخه الجديد بكل ما يحمل من آمال وآلام، انعكست على نمط كتابة إبداعية جديدة كان **الوطن** محورها الذي تسير في فلكه كل ملامح العاطفة، وكل مفاهيم الفكر والفلسفة وكل مقولات السياسة والاجتماع وغيرها. ومن خلاله نقدم مقاربة قرائية لشعرية التحولات في الفضاء الروائي في رواية (إذ سعرت) للعراقية فائزة العزي، من خلال سؤال أساس عن كيفية تعالق الفضاء بوصفه مع تشكيل الأنساق الدلالية في الكتابة السردية، وكيف تتحكم أيقونة الوطن في ترسيم برنامج السرد وبالتالي أدلجة فعل التلقي والتأويل.

الكلمات المفتاحية: الرواية العراقية المعاصرة، إذ سعّرت، الفضاء السردي.

# Poetic of Narrative Space Shifts in Iraqi Contemporary Novel "IF CAUGHT" Iraqi Novelist "Laizzi Faiza" Model

***Amouri Said***

**Abstract:**The modern Iraqi novel characterise of being new and different in many levels notably the theme aspect, with regard to the observable facts that happens in Iraq which is reflected in new creative writing takes the country the axe where all emotions, all concepts of thought and philosophy and all the speak about policy and sociology surround it. We provide an approach of poetic conversions in the narrative space in Faiza Azi's novel titled (if caught), through the question: what relationship is between the narrative space and the hermeneutics?

.

(*)قسم اللغة العربية وآدابها/ كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمان ميرة- بجاية، الجزائر، said_amo@yahoo.com

## المقدمة:

إنّ التعالق الذي يشكّل الأنساق الدلالية في الرواية من خلال ما صار يسمى الفضاء الروائي، لا ينظر إلى عناصر السرد بعين مجزّئة إلا ما كان من باب الإجراء والدراسة التي تهدف إلى إعادة التركيب والتشكيل والتدليل على الأنساق الفاعلة في السرد، وكشف علاقاتها البنائية وخلفية أدلجتها أو البحث في القصدية من خلال معطيات التأويل المتناهي ومنه آفاق التأويل اللامتناهي، من أجل ذلك كان هذا المقال قراءة في رواية (إذ سعّرت) للإعلامية والروائية العراقية فائزة العزي، عبر مجموعة إشكاليات تتعلق بالكيفية التي شكّلت الأنساق الدلالية وبطريقة التسنين السردي على اعتبار محور الاختيار والتركيب الذين ينبسطان أمام الكاتب لحظة الكتابة، ومنه يبرز السؤال المحوري: ما هي تخوم الفضاء الذي قدمته الرواية عبر تحولات تشكيل الفضاءات المكانية والذهنية؟ أو ما هي تحولات التسنين الايديولوجي التي اشتغلت على تحديد وتنميط تشكيل الفضاء في مستويات بنائه؟ وتعالق المكان بالزمان بالحدث والشخصية وتجاوز ذلك إلى الاشتغال على تقديم برنامج صارم لتشكيل الفضاء بآليات تعتمد على جدلية الثنائيات المتقابلة والمتعارضة التي عملت بدورها على تنميط وتقليص حجم السيميوزيس، باعتبار الأخير -حسب بيرس- «حركة اشتغال العلامة في اتجاه نشوء علامة جديدة»[1]؛ أي إن السيميوزيس عبارة عن سيرورة إنتاج الدلالة وهي سيرورة غير منتهية تتعلق بالتأويل الدائم والمستمر لما تقدمه العلامة على اختلاف تمظهراتها فـــــ« مسار السيميوزيس ومسار التأويل يسيران في المسار نفسه الذي حدد مسبقا ولا يمكن أن ينفصل عن الاختيار الأيديولوجي السابق للنص» 2 وفعل التأويل في هذه الحالة –التسنين المسبق-ينطلق من كون السيميوزيس محدّد ومرسّم المعالم ويؤطر –بالتالي- كل أشكال التسنين التي يشتغل في تخومها الفعل التأويلي، ويتم في دائرة السيميوزيس الموجه رصد كل التوقعات والتفاعل معها وقراءتها وتأويلها؛ لأنها تنتظم في أنساق دلالية مؤدلجة تضبط حالة القراءة والتأويل، وحتى وإن تمظهرت بتمظهر (المضاد) أو الخطاب الرافض فإن حقول الدلالة الخاصة بالترسيمة التنظيمية المؤطرة والمهيمنة على الأنساق الدلالية هي حقول مؤدلجة مسبقا.

إننا نتحدث عن التحكم أو محاولة التحكم في سيرورة إنتاج المعنى ، او محاولة أدلجة نمط التلقي أو على الأقل التحكم في مسار النسق العام للتلقي وجعل كل الأنساق الدلالية تتمحور حول البرنامج الايديولوجي لتشكيل الفضاء في رواية **إذ سعّرت.**

ومن أجل مقاربة هذه الإشكالية نعتمد على منهجية قائمة على الطريقة ذاتها التي اعتمدها النص السردي قيد الدراسة وهي التفصيل الذي نهدف منه إلى كشف خلفيات تشكيل الأنساق الدلالية المتحكمة في تحديد ملامح الفضاءات، مع الاتكاء على ما قدّمه الدرس السيميائي من أدوات وإجراءات أفادت هذا الجزء في قراءة العنوان والعتبات النصية، ومن خلاله برزت في ثنايا النص ثنائية (الحضور والغياب) وكانت بمثابة المحرك الدائم لبرنامج السرد في الفضاءات المكانية وتحولاتها.

**الفضاء وعناصر السرد:** غالبا ما يُنسب الفضاء إلى المكان في الرواية لاعتبارات عديدة اعتمدها المنظرون والنقاد، ترى في المكان عنصرا بنائيا أساسا في رسم الأحداث وتفعيل باقي

---

[1]- Jean Fissete,Semiosis
http://www.jeanfisette.net/publications/semiosis.pdf
2- بنكراد سعيد ، النص السردي: نحو سيميائيات للأيديولوجيا، ص60.

العناصر الأخرى كالزمن والشخصيات، وفيما يلي نحاول تقديم المجال المفهومي للفضاء –كمكان- من أجل أن تتضح منهجية الدراسة التي اعتمدنا فيها استقراء الفضاءات المكانية في روايتنا قيد الدراسة(إذ سعّرت) كخلفيات لرسم الأنساق الدلالية التي كانت على درجة عالية من التناسق بين الخلفيات العتباتية واللغوية وبين الدلالات العامة لها.

**أنواع الفضاء في الدراسات السردية :**إنّ المجال المفهومي الذي يؤطر اشتغال الفضاء يحوي صيغا تكثيفية لتفاعل الشخصيات في الرواية مع المكان ومع الزمان، ذلك أنّ الشخصيات في انتقالها عبر الأمكنة تحمل رؤاها معها، في كشف المكان عن هذه الرؤى، وترسم هي بدورها حدود الفضاء من خلال وجهات نظرها« فالمنظور الذي تتخذه الشخصية هو الذي يحدّد أبعاد الفضاء الروائي ويرسم طوبوغرافيته ويجعله يحّقق دلالته الخاصة وتماسكه الأيديولوجي»[3] فلكل مكان خصوصيته وأدواته التي تكشف عن حالة الشخصية عبر حركتها في المكان فيحدث تأثير متبادل بينهما، واندماج بين المكان وحركة الشخصية؛ إذ إنه « بعد أن ينتهي وصف المكان في رواية مثلا، تأتي الحركة السردية لتؤكد حضور الزمان في المكان، غير أنّ هذا المكان الأخير ليس هو المكان الذي انتهى وصفه، إنّه على الأصح الامتداد المفترض له، وهو بالتحديد ما نسميه الفضاء»[4] كما يمكن رصد أهم أنواع الفضاء فيما يلي:

**3-1- الفضاء الروائي:** يتكون من التقاء فضاء الألفاظ بفضاء الرموز الطباعية, وهو المظهر التخييلي أو الحكائي, ويرتبط بزمان القصة, وبالحدث الروائي, وبالشخصيات التخييلية.

**3-2- الفضاء النصي/الطباعي:**رفعت الدراسات الحديثة الالتباس الذي كان واقعاً بين الفضاء الروائي, والفضاء النصّي (الطباعي). وباعتبار الفضاء الروائي مكوناً سردياً لا يوجد إلا من خلال اللغة فإنه يصبح موضوعاً للفكر الذي يبدعه الروائي, متضمناً المشاعر المكانية التي تعبر عن الكلمات, ولما كانت الكلمات تتداخل وتختلف معانيها إذا لم توضع لها علامات ترقيم, فإن الروائي حرص على وضع هذه العلامات. وهكذا نشأ (الفضاء النّصي) الذي هو الحيّز الذي تشغله الكتابة ذاتها, باعتبارها أحرفاً طباعية على مساحة الورق. وتشمل ذلك: تصميم الغلاف, ووضع المقدمة, وتنظيم الفصول, وتشكيل العناوين, وتغيرات حروف الطباعة.

**3-3- الفضاء الدلالي:** وهو فضاء يتعلق بالشعر أكثر يقول جينيت « الفضاء الدلالي يتأسس بين المدلول الحقيقي والمدلول المجازي. وهذا من شأنه إلغاء الوجود الوحيد للامتداد الخطّي للخطاب»5

**3-4- الفضاء منظورا:** وقد تحدثت عنه (جوليا كريستيفا) فرأت أن الفضاء مراقَب بوساطة وجهة النظر الوحيدة للكاتب, والتي تهيمن على مجموع الخطاب بحيث يكون المؤلف متجمعاً في نقطة واحدة. إن عملية المراقبة التي يقوم بها الكاتب تمثّل الأساس الخام لسيرورة إنتاج المعنى عبر مراحل تشكيل الكون السردي، ولكن الفضاء عندما تبدأ عناصره في التكوين وتبدأ شبكة تفاعل تلك العناصر في الاشتغال، تتحول تلك العلاقة بين عناصر التشكيل الخام المراقبة من طرف الكاتب أو التسنين الذي يؤدلج عملية التلقي والتأويل، وبين ما ينشأ عن شبكة التفاعل عند الاشتغال وتأثيث الكون السردي. وهو التحول الذي يجعل من العناصر الجديدة في تعالق نوعي مع العناصر الأولى أو نقول في تعالق مع البرنامج الايديولوجي البدئي للتشكيل، فقط تختلف وقد تنفلت العناصر الجديدة

---

[3]. حسنبحراوي،**بنيةالشكل الروائي**،المركزالثقافيالعربي،بيروت /الدارالبيضاء،ط.1. 1990. ص.32.

[4]. حميدلحميداني،**بنيةالنص السردي**، المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط3 2000،ص 63 .

[5]- محمد عزام، **شعرية الخطاب السردي**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب،2005، ص73.

في علاقة تضاد أو تناقض أو موافقة، وهو ما يشكل الأنساق المشتقة عن النسق الدلالي الذي يخضع لعملية مراقبة صارمة من طرف الكاتب.

**3-5- الفضاء الجغرافي:** الفضاء الجغرافي هو الحيّز الذي يتحرك فيه الأبطال[6]. أو فضاء متسع بطريقته الخاصة، بحيثيضمن حرية حركة الأبطال والأحداث.

إنّ مصطلح الفضاء يّتسع ليشمل «العلاقات بين الأمكنة والشخصيات والأحداث، ويعلو فوقها كلها ليصبح نوعا من الإيقاع المنظم لها»[7] ومن النّقاد من يرى أنّ مصطلح الفضاء لايفي بغرض الشمول؛ لأّنه يحيل على الفراغ فيؤثر استعمال مصطلح الحيّز؛ لأن« استعماله ينصرف إلى النتوء والوزن والثقل والحجم والشكل »[8] ومهما يكن من أمر فإنّ كل عناصر النص تشتغل في تلاحم وتوائم لتصنع الحدث الروائي، فالسّرد يحتاج بالضرورة « لكي ينمو ويتطور -كعالم مغلق ومكتف بذاته- إلى عناصر زمانية ومكانية...فكل قصة تقتضي نقطة انطلاق في الزمن، ونقطة اندماج في المكان»[9] والفضاء شامل للمكان والزمان في صنع صيرورة حكائية، لأنه يتشكل من تفاعل السرد والوصف كآليتين للزمان والمكان، ويغدو أشمل من الانغلاق في الحيّز المكاني، بل يشمل المكان وحركته السردية، وتمّثل هذه الأخيرة أجزاءً من الفضاء، وقد قرر الفيلسوف (غاستونباشلار) تلازمهما بحيث تظهر أمارات الزمان في المكان، ويدلّ هذا على وتيرة الزمن، فالمكان « في مقصوراته المغلقة يحتوي على الزمن مكثفا »[10]

بهذا التلازم والاندماج الضروري في البحث في دلالات الفضاء، نقرأ تحوّل المكان وحركة الشخصيات واختلاف وجهات النظر التي وجّهت وشكلت خصوصيته، والتي جعلته عنصرا فعالا في صنع الحدث الروائي من خلال اللغة التي ارتقت به إلى مستوى المشاعر الإنسانية، والتي جعلت من الفضاء الروائي «فضاء لفظيا بامتياز»[11] وشكلت مع الإشارات والرموز التي يسند عليها كاتب النص السردي الفضاء الطباعي أوالموضوعي L'espaceObjectif؛ أي «فضاء الصفحة والكتابة بمجمله، والذي يُعتبر المكان الوحيد في الرواية حيث يجري اللقاء بين وعي الكاتب ووعي القارئ »[12] وهو الفضاء الذي ننطلق منه بدراسة العتبات النصية المشكلة لمعمار السرد أو الهيكل الخارجي، والبحث في علاقتها بالرؤية الإيديولوجية للرواية.

1- **عالم الرواية ( إذ سعّرت)*:** إنّ رواية (إذ سعّرت) قيد الدراسة رواية عراقية معاصرة، أو نقول وثيقة تاريخية إنسانية من شاهدة على وقائع الاحتلال من خلال عين صحفية عراقية رحلت إلى دولة الإمارات من أجل العمل والعيش وأبت إلا أن تدوّن ما عاشته وما كانت محظوظةلمعايشته كصحفية، وفي غربتها نقلت للقارئ فضاءات العراق المحتل بدقة متناهية وتفصيل كبير، عن طريق اشتغال الذاكرة، وقد أفادها ذلك التفصيل في كم المواضيع التي تطرقت لها وتتعلق بمواضيع تاريخية وحضارية وإنسانية، الأمر الذي جعل البطلة (ثريا) تتميّز بـالموضوعية في تقديمها لتحولات الفضاء المكاني (العراق) بما

---

[6]-المرجع السابق. ص73.

[7]. سمر روحي الفيصل،**بناءالمكان الروائي**، مجلة الموقف الأدبي،اتحاد الكتاب العرب،عدد306 ، 1996. www.awu-dam.org/mokifadaby/ind-mokif306.htm.1/1/2004

[8]. عبدالمالك مرتاض،**في نظرية الرواية**، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب،الكويت، 1998 .ص121

[9]. حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**، ص29

[10]. غاستون باشلار، **جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، مطبعة مجد، بيروت، ط.4 1996 .ص39

[11]. حسن بحراوي، **بنية الشكل الروائي**،المركز الثقافي العربي،بيروت /الدارالبيضاء، ط.1. 1990. ص27

[12]. غاستون باشلار،**جماليات المكان**، ص28 .

* إذ سعّرت (رواية)، دار فكرة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2010.

يتعالق معه من عناصر سردية أخرى كالزمن والشخصيات وصورة انعكاس التحول على بنية السرد السطحية (ممثلة في اللغة والعتبات) وعلى بنيته العميقة.

**2- إيديولوجيا التشكيل والمقاربة الجدلية للفضاء في ( إذ سعّرت)**

**3-1- اشتغال الفضاء الروائي في ( إذ سعّرت):**لقد كانت الفضاءات المكانية في الرواية في مجملها تسنينات ايديولوجية اشتغلت على التقليل من حجم التأويل لأنها أطّرت بشكل مُحكم الفضاء الأساسي الذي تدور في فلكه أحداث الرواية، ويمكن أن نمثّل لاشتغالها بالمخطط التالي:

الفضاء المكاني1: الطائرة الفضاء المكاني2: الإمارات

الفضاء الأساسي: العراق

**3-2- جدلية (الحضور والغياب/ الانغلاق والانفتاح):** تعدّدت فضاءات الرواية المكانية بدءا من فضاء الطائرة إلى فضاء الغرفة والمدينة، والمكاتب الإدارية والسيارة إلى فضاءات العراق المتعددة والمفصلة، مما يمكن وصفه بأنه فضاءات ذهنية بامتياز؛ فقد قُدّمت الفضاءات المكانية في الرواية وفق منطقين: أحدهما فضاءات الطائرة ومدينة دبي والشارقة، وفيه اشتغل السرد على حضور نسبي للبطلة أو حضور (جسماني) من خلال تعاملها المباشر في سيرورة زمنية خطية للسرد، والأخرى فضاءات العراق التي اشتغلت وفق تداعيات الذاكرة؛ فكان حضور البطلة فيها حضورا كليا ووجدانيا فلم يغادر العراق بألمه وأمله وصخب الحرب ودفء الحب وكل تناقضاته قلب البطلة، حتى صار هاجسا جعل من حضورها في الإمارات حضورا جزئيا أو حضورا بالجسم؛ حيث إنّ هاجس الأهل والوطن هيمن على كيانها وتجلّى في نسبة حضوره السردي في الرواية مقارنة بفضاءات العراق التي تطفو على سطح السرد بطريقة متسارعة، جعلت من فضاء الإمارات فضاءاأداتيا؛ أي إنه اشتغل كأداة لرسم صورة الفضاء الغائب والتفاعل معها، والعراق - كمكان- يعتبر فضاء ذهنيا بامتياز لأنّه قدم كخلفية تأخذ بيد القارئ إلى ما وراء الذاكرة عبر لحظة التصادم بين الفضائين، الفضاء الحاضر (الطائرة ومدينة دبي والشارقة) والفضاء الهاجس الذي لا يفارق البطلة (فضاء العراق)، فلا يلتقي الفضاءان إلاّ عند نهاية الرحلة السردية بالتقاء العائلة وبداية الرحلة الجديدة في شكل من أشكال النهاية المفتوحة، بطريقة توحي بأن البطلة عبر حضورها وغيابها بين الفضاءات كانت تعيش عالمين مناقضين أحدهما كان عالما هاجسا (العراق) يحوي بين فضاءاته حنينا جارفا للأهل والوطن، والآخر عالما جديدا (الإمارات) فرضه العالم الهاجس وهو بفضاءاته الجديدة عالم ضيق رغم اتساعه وعالم منقوص رغم أمنه، فلا نجد البطلة تتخلص من أمارات الخوف إلا في فضاءات الخوف (العراق) بل تلازمها أحاسيس الخوف في الفضاء الجديد، بما يوحي أن أحاسيسها وكيانها ذابت في فضاء العراق فهو الأمن والأمان، فنقول إنّ النص الروائي أو فضاءات النص الروائي (إذ سعّرت) كانت فضاءات ذهنية أساسا لأنها لم تستغرق الشخصية الأساسية إلا ظاهريا ولأن منطق الأحاسيس والكينونة والذات قُدم في النص تقديما مناقضا لما يجب أن يكون عليه، ولعل ذلك ما وسم تفاعل الفضاء المكاني في الرواية بسمةالشعرية الحقة.

تتميز لحظة التقاء الفضائين (اللحظة التي ينطلق فيها فعل التداعي وينطلق الوصف من فضاء الحضور إلى فضاء الغياب) بالوجود الدائم في كل الفضاءات الحاضرة؛ لأنها التي تفتح أغوار الذاكرة على فضاءات غائبة تمثّل هاجس الوطن.

إنّ لحظة الانتقال بين الفضاءين تشتغل عبر ثنائية أساسية هي ثنائية(الانفتاح والانغلاق) فنلاحظ أن انغلاق الفضاءات الحاضرة كان سببا في الانفتاح على الفضاءات الغائبة؛ وكان التناسب بينهما طرديابحيث كلما ازدادت درجة الخوف والانغلاق في فضاءات الحضور (الإمارات) غاصت الذاكرة في أعماق البطلة الساردة لفضاءات توارت بين طيات الزمن، ومن بين الأمثلة على ذلك: « الطائرة ترتفع بشكل لولبي، والسبب أمني كما يبدو، سبع دورات، ومع كل دورة تتقاذفها الذكريات من كل حدب وصوب.. حتى إنها تذكّرت ما لم تكن تعلم أنّ الذاكرة حفظته، شريط صور متداخلة مع بعضها البعض..»[13] ونجد كذلك أن بداية الرحلة السردية في فضاء الطائرة -الذي يعتبر منغلقا- انطلاقة لوصف استغرق مساحة سردية هامة عن الفضاء الغائب أو فضاء العراق الرحب؛ حيث «عندما استقرت الطائرة في الجو بدأت المضيفات بتقديم الطعام للركاب، عادت ثريا إلى وساوسها مرة أخرى»[14]

إنّ وساوس البطلة ورجوعها إلى الوطن العراق استغرق 38 صفحة من فضاء الطباعة وهو استغراق يمثل غياب البطلة في لحظة حضور جزئي (جسماني) في فضاء منغلق وهو فضاء الطائرة وفي زمن سردي محدود، لنستدل تماما أن الانغلاق هو أحد أسباب انفتاح الذاكرة. إنه كما يقول باشلارغاستون (منفتح بطريقته الخاصة).

من بين ميزات توصيف الفضاء في الرواية أنه جاء حاملا شحنة عاطفية قوية لارتباط البطلة بالمكان وجدانيا، ويعكس ذلك استعمال المؤلفة للمونولوج أو الحوار الذاتي وبخاصة في التقنية الفنية (أنسنة الفضاء)؛ فقد تكلمت البطلة مع البحر وتكلمت مع المدينة، وهذه الأنسنة صيغة من صيغ المشاركة الوجدانية مع الفضاء المكاني، فنسمع حديث المدينة والبطلة، وتناجيهما في أكثر من موضع للدلالة على الارتباط الوجداني« لكن بغداد أبت أن تكشف ستر ذلك الليل– ماذا بك يا أمي؟ أسمع صوت نحيبك بهذا الصمت الذين تطبقين فيه- وماذا غير الصمت تتوقعين يا بنيتي؟...»[15]

كما أن الروائية استطاعت أن تتغلغل إلى الجزئيات والشقوق وحتى رائحة الحواري وانفعالات الناس من خلال الانتقال السريع والمقطعي لفضاءات العراق المحتل، حيث تمكنت من اختراق المسافة التي يتفاعل فيها الفضاء الجغرافي مع الشخصيات وبخاصة صورة الخوف التي عند الجنود الأمريكان المدججين، وما قابلها من صورة الصحفيين العزل« وانفجر الصحفيون بالضحك وهم يتبادلون الكلمات الساخرة باللهجة العراقية حول هذا الجندي الهارب»[16].

هذا التفعيل لاشتغال الذاكرة جعل من عملية الانتقال بين الفضاءات يتم بسرعة، تمظهرت حتى على شكل السرد أو الفضاء الطباعي أو هيكل السرد، الذي يمكن وصفه بأنه هيكل مقطعي (23 مقطع) يعكس إلى حد بعيد تشتت البطلة بين فضاءات الحضور وفضاءات الغياب أو بين الحضور الجسدي والغياب المعنوي، في نوع من البعثرة المنهجية أي إنه انتقال ذو شاعرية خاصة

[13]- إذ سعّرت، ص24.
[14]- إذ سعّرت، ص31.
[15]-إذ سعّرت، ص129.
[16]. إذ سعّرت، ص215

في تركيبته من خلال تناسق الشكل مع الموضوع. كما زاد من شاعرية التناسق وظيفة البطلة ذاتها (صحفية) فهذه المهنة بالذات تتطلب أو يتصف صاحبها بالسرعة والانتقال بين الأماكن، ونقل أكبر كم ممكن من المعلومات في محاولة هيمنة وسيطرة على الكل برؤية تكاملية. وهذا التوافق بين مهنة البطلة وبين تشكيل فضاء السرد أهم ميزة في تشكيل هذا النص السردي. ويمكن _كإجراء تحليلي_ أن ندرس الفضاءات بدءا بالفضاء الطباعي ( العنوان والعتبات) ثم فضاء الحضور الجزئي ممثلا في الطائرة، ثم فضاء المدينة (دبي والعراق) ومنها ننتقل إلى فضاءات الحضور الكلي من خلال فضاءات عديدة أهمها فضاء مدينة بغداد، ونحاول في كل جزء أن نمد أيدينا وعقولنا ومشاعرنا إلى تخوم الشاعرية والجمال الذي بهما تشكل الفضاء في وعي ولاوعي الكاتبة.

**3-3-شعرية العتبات:** تطالعنا رواية إذ سعّرت في طبعتها الأولى 2010 في 260 صفحة صادرة عن دار فكرة، بتصميم غلاف يغلب عليه اللون الأسود، وفي وسط الصفحة شكل ما لثقب بألوان صفراء وحمراء داكنة، وهو تصميم قدم لفعل التلقي مفتاحا أوليا يخرق إلى حد ما أفق التوقع بوضع المتلقي عند باب النص، وهو باب لا شك يدخل القارئ إلى عالم من صور الدمار والخوف والاغتراب عبر تماثل وتشابه أيقونة الغلاف والفضاء الغائب أو الفضاء الهاجس وهو فضاء العراق، وتكمن شعرية هذه الأيقونة في مدى تعالق رسم العنوان ومضمونه وصورة الغلاف والمتن بحيث يكتمل تشكيل الصورة العامة للرواية. ويزيد هذا التصميم من تأسيس ورسم حدود التأويل؛ ذلك أن الفضاء الطباعي (النصي) دال لا تختلف دلالته عن باقي الدلالات المكونة للنص الروائي، إضافة إلى ذلك فإن هذه الرواية تشكلت من فصول عديدة أو مقاطع (مشهدية) 23 مقطع ولا يمكن أن تكون هذه المقاطع اعتباطية الوضع إذ قد يلجأ إليها الروائي لدلالات عديدة ومن مكامن الجمال في استعمالها هو تناسقها مع الموضوع أو مجموعة الموضوعات التي تطرحها الرواية. إضافة إلى كون البطلة المشاركة في السرد( منظور الرؤية مع) اتسمت بسمة التفصيل والتكثيف في تقديم الموضوعات والفضاءات، وقد تعالق ذلك تماما مع وظيفتها الصحفية من جهة وكثافة الأحداث التي شهدها العراق لحظة دخول القوات الأمريكية بغداد عنوة من جهة أخرى. ونحاول فيما يلي أن نميّز عناصر ودلالات الفضاء النصي انطلاقا من العنوان ثم هيكل السرد ونحاول الاستفادة هنا مما قدمه الدرس السيميائي في مجال قراءة العتبات.

**3-4- شعرية العنونة (إذ سعّرت):**منذ أن وجد النص الأدبي بكل أنواعه وأجناسه، كان للعنوان فيه أهمية تضاهي ما لعناصر الإبداع الأخرى من قيمة فنية وجمالية، لأنّه أول ما يقع عليه فعل التلقي فيشتغل مؤطرا أوليا لفعل التأويل من خلال دلالته اللغوية بمستوياتها التركيبية والمعجمية والصوتية والصرفية والدلالية إلى غيرها من مستويات التدليل، وكذلك من خلال البحث في العنوان كقيمة علامية دالة، أو كعلامة متعالقة مع البرنامج السردي في بنيته السطحية وعابرة له في مستويات التأويل، لذلك عنيت الدراسات السيميائية بخاصة السيميائيات السردية وسيميائيات التأويل بالعنوان كعلامة تمتاز بالتكثيف الدلالي، وذلك من أجل تحديد كيفية تحيين المعنى وتحقيقه وشكل تمظهره ورسم أفق انتظار القارئ، ويعتبر أيضا عنوانا للكاتب لأنه ينتمي إلى أسلوبه، ولا يخلو كعلامة من خلفية قصدية إيديولوجية. يرى أندريه مارتنيه Martinet André أن العنوان « يشكل مرتكزاً دلالياً يجب أن ينبني عليه فعل التلقي، بوصفه أعلى سلطة تلق ممكنة، ولتميزه بأعلى اقتصاد لغوي ممكن، ولاكتنازه بعلاقات إحالة (مقصدية) حرّة إلى العالم، وإلى النص، وإلى

المرسل »[17]. وكونه علامة دالة فإليه تجتمع الدوال الأخرى على اختلافها لتؤسس اعتمادا عليه – كمرجعية-أنساقا دلالية منسجمة.

للعنوان في الدرس السيميائي وظائف متعدّدة منها « ثلاث جاء بها جوزيب بيزا كامبروبي وهي: التعيينية، واللغوية الواصفة، والإغرائية، ويضيف إليها جيرار جينيت الوظيفة الإيحائية »[18]. وهي كلها وظائف تنطلق من اعتباره دالا أساسيا وعلامة محورية، وقد جعل النقادُ العنوانَ المركز الذي يعيّن للنص، محيطه النصي وعناصره التناصية والشعرية، كما يعتبر علامة انزياحية بامتياز بل يعتبر المُهيكل لمسار النص وفق محددات يقدمها هو أولا ويعتمدها المتن ثانيا، يرى الفيلسوف الفرنسي ميشيل فوكو أن « خلف العنوان والأسطر الأولى والكلمات الأخيرة، وخلف بنيته الداخلية، وشكله الذي يضفي عليه نوعا من الاستقلالية والتميّز، ثمة منظومة من الإحالات إلى كتب ونصوص وجمل»[19]. وهي المنظومة التي تهدف الدراسات السيميائية إلى كشف خيوطها أولا وتحديد علاقات تشكّلها ضمن أنساق دلالية منتظمة، تؤطر إلى حد بعيد لهوية النص بصفة عامة سواء كان سرديا أو شعريا.

للعنوان بنية تركيبية ودلالية للنص على الرغم من تموقعه الشكلي البعيد عن الاحتكاك المباشر للمتن، الأمر الذي قد يزيد من التعالق الدلالي معه، « سيما وأن أي عنوان – بحسب جاك دريداDerrida- لا يُعترفُ به في حد ذاته، لكن لأنه عنوان شيء ما »[20]. وقد فصل الباحث بسام موسى قطوس في مؤلفه الأكاديمي(سيمياء العنوان) ميزات التعالق النصي للعنوان مع النصوص الموازية الأخرى التيحددها الكاتب في خمسة أنماط:

- التناص والمقصود به تلاقح عبر المحاورة والاستلهام.

-المناص أو النص الموازي. ويقصد به كل ما يخص عناوين النص وعناوينه الفرعية، والمقدمات والذيول والصور وكلمات الناشر....الخ.

-الميتانص: وهو علاقة التعليق الذي يربط نصاً بآخر يتحدث عنه دون أن يذكره أحياناً.

-النص اللاحق: ويكمن في العلاقة التي تجمع النص (ب) كنص لاحق بالنص (أ) كنص سابق وهي علاقة تحويل ومحاكاة.

-معمارية النص: وهو النمط الأكثر تجريداً وتضمناً، إنه علاقة صمّاء، تأخذ بعداً مناصياً، وتتصل بالنوع: شعر، رواية، بحث... إلخ.[21] كما يعرض لرأي رومان جاكوبسونJakobson في الوظائف الشعرية وبالتالي وظائف العنوان ضمن هذه الوظائف: الانفعالية، والمرجعية والانتباهية، ثم الجمالية، والميتالغوية.[22]

يبقى العنوان في النص مستوى تأويلي يستعمله الكاتب قناعا لرؤية ما إيديولوجية، ثقافية، دينية، أسطورية...الخ، إلى جانب اشتغال الفضاءات النصية كنصوص دلالية موازية وفاعلة في توليد المعنى وتأكيده من خلال عملها كموجهات أساسية؛ حيث يعتبر التلّقي البصري مفتاحا أساسيا لمعاينة وتمييز النص المقروء، والتعرف عليه –من خلال معاينته من الخارج –يعطي انطباعا

---

[17]-أندريه مارتيني، مبادئ اللسانيات،ت/ أحمد الحمو، المطبعة الجديدةدمشق، 1985، ص125.

[18]-عصام واصل، قراءة سيميائية في "نصف امرأة مؤقتا" للقاص هشام محمد
http://esamwasel.maktoobblog.com/xmlrpc.php

19- بسام موسى قطوس،سيمياء العنوان (.www.alrawya.com/tajarib_magalat)( 5/5/ 2006)

20- عصام واصل، قراءة سيميائية في "نصف امرأة مؤقتا" للقاص هشام محمد.
http://esamwasel.maktoobblog.com/xmlrpc.php

[21]-ليلى السيد، بسام موسى قطوس سيمياء العنوان http://www.alrawya.com/tajarib.htm

[22]- المرجع نفسه.

تشخيصيا لمحتواه،كما تعد عناصر تشكيل الهيكل الخارجي علامات تشكيل الفضاء وتوحي بدلالات عميقة تعمل كموجهات أو عتبات للولوج إلى كنه النص؛ حيث «لا سبيل لإدراك حساسية النص ومعاينة لبّه والدخول الحر في فضائه، إلا بتحري عمل هذه الموجهات-العتبات- ونواياها ، ونقل جمالياتها الكامنة إلى سطح المشهد»23 وتعمل هذه العناصر الخارجية أو العتبات كموجّهات للقارئ أو الباحث قصد إمداده بأكبر كم من المعطيات التي توجّهه كعامل أساسي لوضع مقاربته للنص، وتشمل هذه العتبات أوالمرفقات«العناوين الأساسية والفرعية والداخلية، واسم المؤلف واللوحة المثبتة على الأغلفة، والإهداء والمقدمة والتمهيد والاستهلال والهوامش والملاحظات»[24].

إنّ قيمة التلقي الأولى المعتمدة على القراءة، تُعتبر حاسة البصر في منح النص معنى ودلالة؛ أهم عنصر تلقي في عملية التأثر والتأثير بين النص والقارئ، وبين الخارج والداخل، كما يفعل دور الإيقونة في تشكيل بنية النص السطحية والمفتاح الأساسي لولوجه، على اعتبار الصورة الإيقونة لغة علامية، وعتبة فنية بتموقعها الذي يشارك فيه غير المؤلف في النص(الفنان التشكيلي والمصور الفوتوغرافي مثلا) أي إنها رؤية لا تخلو من أدلجة في تموقعها، حتى وإن كانت أدلجة غير واعية تماما، وعلى الناقد الأدبي أن يؤسّس رؤيته على اعتبار أن بنية النص لا بد أن يدخل في تشكيلها المؤشر والإيقون وكل العناصر مهما صغر حجم تواجدها؛ لأنها لا يمكن أن تكون حشوا أو ترفا وعليه أيضا أن يحاول رصد دلالته وأبعاده، فالعتبات علامات فاعلة في تشكيل الدلالة من خلال توصيف شكلها وتركيبها ثم ربطها بالعلامات اللغوية، ومن ثم تحديد النسق الناشئ من ذلك.

يحمل عنوان الرواية (إذ سعّرت) تركيبة نحوية خاصة تجعل من المتلقي يبحث عن جواب الشرط للجملة (إذ سعرت) ولا يبحث عنه إلاّ عبر دراسة المتن فنجد أن رائحة الدمار ورائحة الاحتلال وعيون البؤساء في العراق المحتل ونظرات الخوف كلها تتلخص وتتكثف في هذا العنوان المميز (إذ سعرت)، فنقول إن الكاتبة جعلت هذا العنوان صورة مختزلة تماما لفضاء العراق بزخم أحداثه في بغداد، الفلوجة، الكوفة.. وغيرها، والذي ظهر في النص السردي عبر كل الفضاءات (الطائرة، المطار، دبي، الشارقة،...) فكان بحق الفضاء العام الذي يرافق فضاءات الحضور الجزئي كما أشرنا إليه، ليمثل فضاء الغياب أو فضاء الهاجس أو الفضاء الظل.

إّن صيغة المبالغة في الفعل (سعّرت)-(فعّلت) تأكيد مضاعف ومبالغة مضاعفة لأنّ الصيغة مبنية للمجهول وغياب الفاعل لغويا يعني حضوره التام فعليا في الذهن من خلال الإحالة على الواقع خارج النص، وهو واقع الدمار والخراب الذي ألحقه المحتل الأمريكي بأبناء الوطن الواحد(العراق)، كما أن تقديم العنوان بهذه الصيغة (صيغة الفعل المبني للمجهول سُعرت مع ظرف الزمان إذ)جعل من العنوان حاملا ايديولوجيا قويا بإقحام المتلقي مباشرة في فعل الكتابة؛ أي إنّ غياب الفاعل يشرك المتلقي في كتابته على العنوان أو في إضافته على صيغة العنوان من خلال جذبه للقراءة والبحث عن هذا الفاعل, كما يفتح العنوان للمتلقي أيضا باب التخيل في رسم صورة الدمار وتأجيج آلة الحرب في العراق، وهي صيغة تدل على فعل الاشتعال المتزايد (سعّرت) .

-تموضع العنوان وكتابته باللون الأحمر الناري وسط سواد الصفحة دليل آخر وتأكيد ثالث على تأجج النار في بلد العراق (بلد البطلة) وبلد أسرتها الصغيرة وبلد الخوف الدائم والمتأجج، وما سواد الصفحة والكتابة باللون الأحمر إلاّ صورة النار والدخان التي تنبعث من كل الفضاءات التي

---

[23]- محمد الهادي المطوي، في التعالي النصي والمتعاليات النصية، المجلة العربية للثقافة ،تونس، عدد 32، 1997 ، ص195

[24]-خليل شكري هياص، فاعلية العتبات في قراءة النص الروائي، اتحاد الكتاب العرب،2005
www.awu-dam.org/book/indx-study.htm.1/1/2006.

طالعتنا عبر ذاكرة البطلة التي استطاعت من خلال مهنتها وموهبتها وإرادتها، أن تتخلل الدخان والنار لتنقل مآسي أبناء الوطن وقوتهم النفسية وتطلعهم إلى فضاء جميل للوطن المحتل، لذلك يمكن أن نقول إن العنوان بتركيبه اللغوي(إذ سعرت) جعل من تموضعه الايقوني وصورة خلفيته (صورة النار والدخان) جوابا للشرط، إضافة إلى أنها خلفية دالة على الفاعل الذي بني للمجهول في صيغة العنوان الكتابية، وذلك على اعتبار أن الايقونة لغة لا يقل شأنها عن لغات التواصل الكلامي.

إنّ الخلفية التي طالعتنا بها الرواية –بشكلها الايقوني الدال على النار والدمار-اشتغلت على مستوى التلقي عبر وظيفتين: إحداهما إنها تعتبر الفاعل لصيغة البناء للمجهول(سعّرت)، والأخرى كونها اشتغلت جواب الشرط في (إذ سعرت)، فنقول إن الثنائية التي قدمنا أنها فاعلة في تشكيل النص لسردي (الحضور والغياب) اشتغلت تماما في تشكيل العنوان من حيث حضور الصيغة اللغوية (جملة الشرط والبناء للمجهول) وغياب من جواب الشرط والفاعل، مما جعل من شعريتها وجمالها يكمنان في تفعيل دور المتلقي في الربط بين صور الحضور وأخيلة الغياب ربطا يجعل من الفعل السردي مكتملا في ذاته لغويا وأيقونيا.

**4-4- هيكل السرد:** تطالعنا الرواية قيد الدراسة بشكل مقطعي مميز مشابه لعمل تقنية المونتاج السينمائية التي تعتمد على المقاطع أو المشاهد المتجاورة والمتداخلة؛ حيث استطاعت الروائية أن تستفيد من هذه التقنية في تشكيل فضاء الرواية الطباعي من خلال عدد المقاطع غير المتساوية في عدد الصفحات تمت في 23 مقطع سميناها فصول الرواية، وكما ذكرنا سابقا فإنّ هذا العدد لا يمثل عدد الفضاءات بقدر ما يمثل عدد المشاهد في سيرورة تأخذ بيد القارئ إلى تمثّل فيلم سينمائي لصحفي محترف يتوغل فضاءات الموت وينقل صورة الخوف والترقّب بشكل متسارع.

عدد المقاطع المشكّل للنص السردي يمثل نصوصا منفصلة في ظاهرها من خلال عنونة كل مقطع، وهي –بلا شك- فصول ومقاطع تحيل إلى فضاءات إما أداتية (فضاءات الإمارات) وإما فضاءات الهاجس (العراق)، وفي محاولة لربط الفصول بما احتوته من فضاءات، نميّز أقساما ثلاثةفي الجدول التالي:

| فضاء الإمارات الكاملة (حضور جزئي) | فضاء العراق الكاملة (حضور كلي وجداني) | فضاء مشترك (الناحية الطباعية) |
|---|---|---|
| في دبي | في ساحة الفردوس | بداية الحكاية |
| من يقرر | في ظلال السنديانة | على جناح الطائرة |
| غربة جديدة | الظلام | لن نفترق |
| حرب تموز | رائحة القهوة | الخيبة الأولى |
| عند بحر الجميرا | الطريق إلى النجف | صداقة قديمة |
| ذكريات راحلة | سيمفونية الفلوجة | الجارة أم ماريو |
| خيبة جديدة | هل تغير العلم | |
| حقا | أقل خطورة | |
| اليوم الموعود | | |

نعني بفضاءات الإمارات الكاملة تلك التي لا نجد في مساحتها الطباعية تصويرا لفضاء العراق حيث تشتغل على مستوى السرد لترتيب وتوالي الأحداث من جهة، ومن جهة أخرى كأداة لتصوير فضاء العراق من خلال تصوير ووصف انغلاق الفضاءات التي اختارتها البطلة في الإمارات أهمها الغرفة الضيقة في دبي وفي الشارقة، مع كونها فضاءات للحضور الجزئي للبطلة

أو الحضور الجسماني لها. أما فضاءات العراق الكاملة فهي التي استنفذت فضاءا طباعيا كاملا لتصوير فضاء الهاجس (العراق)، وهي التي سميناها بفضاءات الحضور الكلي أو الوجداني، وتبقى الفضاءات المشتركة قاسما مشتركا بينها على الجانب الطباعي، والملاحظ فيها أنها تقريبا متساوية تحقق انقسام البطلة على نفسها وكيانها بين حضور في فضاءات الإمارات (واجهة السرد) وغياب فيه (غياب يقابله حضور وجداني دائم في فضاء العراق)، وإذا كان من غير الممكن تقييم إحصائي دقيق لتقيم الفضاءات طباعيا وتحديد ما يقابلها دلاليا فإن التعامل معها سيكون تقريبيا بما يتاح لنا من وضوح ومباشرة.

بما أنّ فضاءات الإمارات فضاءات أداتية تشتغل كأداة وخلفية لتقديم فضاء العراق من خلال ثنائية الانغلاق والانفتاح (انغلاق البيت في دبي والشارقة خلفية للانفتاح على فضاء العراق) فهي تنتمي بطريقتها الخاصة إلى فضاء الهاجس، وإذا اعتبرنا كذلك أنّ الفضاءات المشتركة قاسم طباعي مشترك بين الفضائين (الإمارات والعراق) فإنها تنتمي كذلك إلى فضاء الهاجس، وبالتالي نقول إنّ فضاء العراق هو الفضاء المحوري الذي يجمع إليه- في رؤيتنا لدلالة الفضاء الطباعي- فضاءات الإمارات والفضاءات المشتركة، ويمكن أن نمثلها بالرسم التالي:

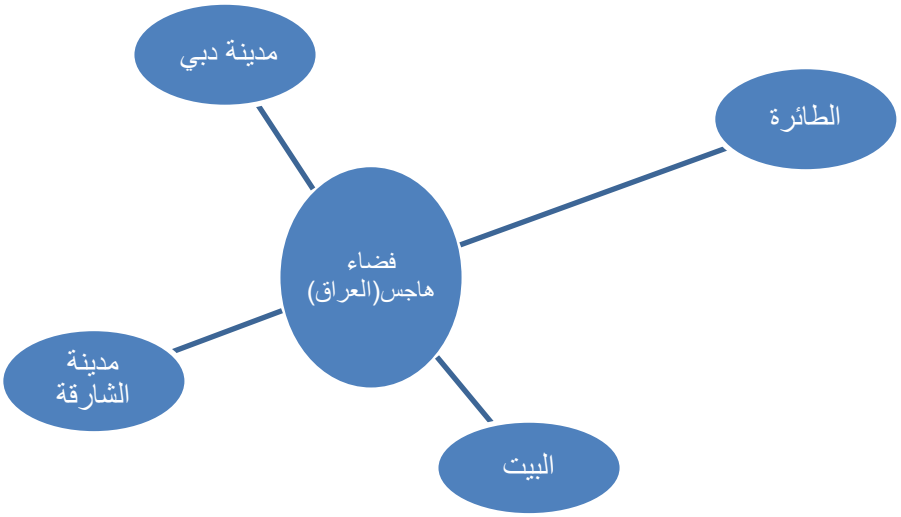


إنّ فضاء العراق فضاء محوري جمع إليه كل الفضاءات المكانية التي تمت عليها حركة توالي الأحداث السردية، وهي –على الرسم- الفضاءات المكانية الأساسية الفاعلة والتي ركزنا عليها الدراسة لخصوصيتها الانغلاقية، فالطائرة أول ميزة انغلاق انطلق منه النص في كشف جغرافية الأرض التي ستأخذ البطلة القارئ إليها في رحلة دخول الامريكان إلى بغداد والاحداث التي تلتها، ومن ثم تلتقط البطلة في مسيرة السرد بعضا من مشاهد العراق كلما انغلق المكان أمامها وبخاصة فضاء البيت أو الغرفة في مدينة دبي والشارقة.

من خلال هذه الملاحظة العامة ممثلة في الرسم التشكيلي يبدأ تشكيل النسق الدلالي المؤطّر لاشتغال الفضاءات على مستوى الحضور والغياب؛ بحيث اعتمد النص على مجموعة أدوات إجرائية في تشكيل السرد واشتغلت دلاليا في بناء النسق العام للرواية، أهمها تقنيتا الانتقال

المقطعي، وظاهرة الجمل القصيرة التي تعتبر أسلوبية بالنظر إلى توظيفها الفاعل في التركيبة السطحية للنص أو بنيته اللغوية.

**3-5- تقنية الانتقال المقطعي:**

يعكس هيكل السرد في فضائه الطباعي -على مدار الفضاء السردي- طريقة العمل الصحفي واشتغال كاميراته في التقاط الأحداث، فقد انعكس التمفصل المقطعي للنص السردي في وظيفة البطلة (الصحافة) وهي الوظيفة الأمثل لنقل الصورة حية بأحاسيسها وموضوعيتها وتأريخها الدقيق، وألفت المقاطع سيمفونية حزينة وسريعة لصور النار والدمار لحظة دخول الأمريكان العراق بعامة وبغداد بصفة بخاصة، وذلك دائما من خلال فضاءات المدينة التي سميناها فضاءات الحضور الجزئي على أساس انجذاب البطلة وجدانيا لفضاء العراق كونه يمثل كيانها التام (الأرض والأهل). فكان الانتقال بين الحضور والغياب يتم بسرعة تعكس تماما نبضات قلبها المليء بأحاسيس الخوف التي فرضها عليها فضاء العراق وزادته اشتعالا أحاسيس مزيج من الحنين والغربة واللاستقرار. وهذا الانتقال السريع أو الصحفي يمثُل -على مستوى دلالة العتبات- في الانتقال بين فصول الرواية وما يقابلها من فضاءات للحضور(الإمارات) وللغياب(العراق)، وذلك أيضا بتتبع المسار الخطي للسرد في الرواية. ونحاول هنا أن نضرب لذلك مثلا بفصول مدينة الشارقة.

إنّ المتتبع لسير السرد وتقديم فضاءات مدينة الشارقة، يلاحظ تسارع الانتقال بين فضاءات الحضور والغياب بطريقة توحي تماما باقتراب تلاقي الفضائين، واكتمال كيان البطلة عندما تلتقي وعائلتها في الفصل الأخير(اليوم الموعود)، وهذا الانتقال يمكن أن نمثل له بالشكل التالي:

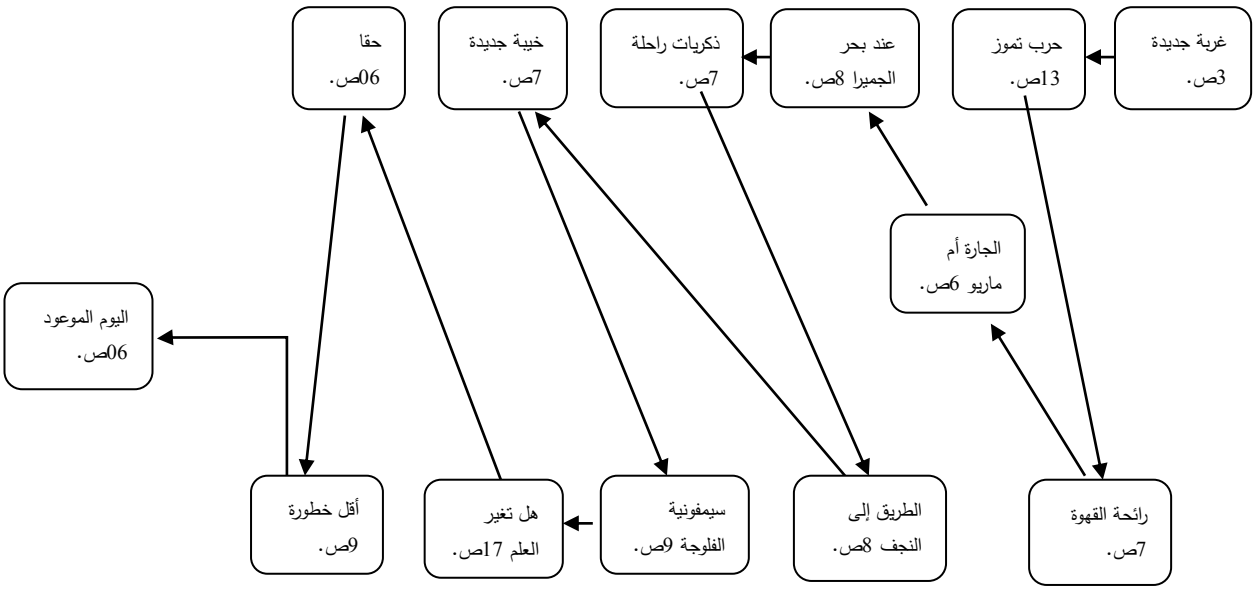


تمثل عناوين الفصول التي كتبت للأعلى فضاءات الإمارات خالصة(الحضور الجزئي)، والسفلى فضاءات العراق خالصة(الحضور الكلي)، فيكون الانتقال على مستوى السرد من الأعلى إلى الأسفل؛ بحيث كان فصل (الجارة أم ماريو) فضاء مشتركا في جانبه الطباعي حوى الفضاءين معا وفصل(اليوم الموعود) هو نهاية الرواية والتقاء الفضاءين، وحركة الانتقال كما أسلفنا تتم

بسرعة وذلك من خلال عدد صفحات الفصول فهو دائما متقارب (في الأغلب أقل من 10 صفحات)، وهو انتقال يوحي تماما بالانقسام الذي تعيشه البطلة وتشتت كيانها، كما يوحي بقوة ارتباطها بحياتها الثانية على الفضاء الغائب وجدانيا (الأسرة والأرض)، فنقول إنّ النص توليفة كاملة من غير تناقض لاشتغال أجزائها بحيث كانت جسدا واحدا يتحرك إلى نقطة واضحة هي فضاء العراق من خلال سرد سيرة ذاتية للبطلة (ثريا) Autobiographie.

**3-6- التمفصل المقطعي بين اللغة السردية والعتبات النصية :**

لقد انعكست طريقة التمفصل المقطعي للنص السردي الذي اعتمدته الكاتبة على لغتها السردية من خلال فعل التقطيع والتفصيل الدال –في إحدى أهم جوانبه- على استغراق الفضاء الهاجس(العراق) للبطلة في كل تفاصيل حياتها التي لم تعد ترسم حدودا بين الأسرة والوطن، وكان ذلك من خلال ظاهرة أسلوبية تطالعنا في المقاطع السردية كثيرا وهي ظاهرة توظيف الجمل القصيرة التي تحاكي سير الحرب في لحظات دخول الامريكان لبغداد، فقد رسمت الكاتبة صورة سريعة عن اقتحام المدينة في مواضع عديدة، واستطاعت أن تزيد من رسم صورة الخوف، طريقتها في تسريع وتيرة السرد من خلال توظيف الجمل القصيرة منها المقطع التالي الذي يؤرخ للحظة التقى فيها الخوف والصمود والتقى فيها السلم والحرب في قلب المدينة بغداد وفي قلب البطلة ثريا عندما:« استقلت ثريا سيارتها، وغادرت الفندق مسرعة مخافة أن يخرج ضياء ويمنعها من الذهاب، كانت شوارع بغداد تمر بحالة جنونية، فقراء يجوبون الشوارع بملابس البيت، يسيرون على شارع محمد القاسم السريع،...، لاح لها شارع الرشيد عند التقاطعات وهي ترى الدبابات الأميركية تعبر الجسور، فهذا جسر السنك، وجسر الأحرار.. الدبابات تأتي باتجاهها وهي مصممة على الوصول إلى بيتأبيها، زادت من سرعة السيارة.. منطقة الشورجة كانت تزدحم جدا في أوقات الصباح وهي اليوم خالية تماما إلا من صرير الدبابات المتقدمة نحو القلب، أحست بنبضات قلبها تدق مسرعة»[25]

على الرغم من طول المقطع –وهو جزء من مقاطع كثيرة ميّزت التركيب السردي-فإنّ قراءة في التركيب اللغوي أو في توظيف الجمل السردية القصيرة والكثيرة، يدل على مقصدية غير معلنة تشتغل مع باقي العناصر لتوليف منطق النسيج السردي، فقد كانت الجمل القصيرة إشارة عتباتية إلى تسارع الحدث السردي ومن خلالها استطاعت الكاتبة أن تنقل صورة الخوف والترقب إلى القارئ، وإشراك القارئ من خلال وضع نقاط دالة على كلام محذوف (...) من أجل تقديم صورة أكثر كثافة عن صور دخول الدبابات إلى مدينة بغداد وعن أصداء من قلوب وعقول سكان المدينة. الأمر الذي جعل منها عتبات دالة أكثر من خلال اشتغالها مع باقي العتبات –بخاصة عتبة تمفصل النص السردي (23 فصل)- على رسم صورة متقطعة أو فسيفساء لصورة الحرب في محاولة تأريخ وإحاطة وخوف من فوات تفاصيل حول كل نواحي بغداد وذلك من عين صحفية عراقية هي في الرواية رمز للدقة والتفصيل والإحاطة والتفاعل الوجداني.

[25]-الرواية، ص 48.

**خاتمة:**

في الأخير نقول: لقد كان الانتقال بين الفضاءات يشتغل وفق ثنائية الحضور والغياب (حضور البطلة الجسماني وغيابها المعنوي أو تعلقها مع الأسرة والوطن في العراق)وعبر ثنائية أخرى ذات أهمية أساسية في عملية الانتقال وهي ثنائية الانغلاق والانفتاح(انغلاق المكان سبب أساسي في تحريك فعل الذاكرة للانتقال إلى فضاء العراق) وندرك من خلال ذلك أن البرنامج العام لهذا التمظهر الفضائي وامتزاجه مع باقي العناصر المكونة للسرد يعكس إلى حد بعيد تناسقا وتكاملا وتعالقا بين هذه الأجزاء في بناء النص السردي (إذ سعّرت). كما يمكن أن نقول إنّ صيغة العنوان (البناء للمجهول) تواءمت والتمظهر الأيقوني له في كتابة الجملة اللغوية(على اعتبار مزجي للغة الكتابة ولغة الرسم) التامة والدالة، كما توائم دال الغلاف والعنوان مع التمظهر العتباتي لمقاطع السرد (الفصول) وظاهرة الجمل القصيرة في المقاطع السردية في توليف بناء نصي سردي دال في شكله وفي مضمونه عن صورة العراق المحتل وعن نفسية أهله الصامدين. إنّ الدراسة التي قدمناها عن الرواية العراقية المعاصرة، ليست إلا محاولة إضاءة لجانب من جوانب عناصر الرواية، وهي لثرائها تنفتح على قراءات تأويلية عديدة تعكس ثراء الرواية العراقية المعاصرة على غرار الرواية العربية، التي تشهد عصرا جديدا من الكتابة الروائية الثرية بما يشهده العالم العربي من أحداث وانفتاحه على الرواية العالمية الجديدة.

**المصادر والمراجع:**


1- أندريه مارتيني، مبادئ اللسانيات،ت/ أحمد الحمو، المطبعة الجديدة دمشق، 1985، ص125.
2- حسن بحراوي،**بنية الشكل الروائي**،المركز الثقافي العربي،بيروت /الدار البيضاء،ط.1. 1990.
3- حميد لحميداني،**بنية النص السردي**،المركز الثقافي العربي، بيروت- الدار البيضاء، ط3 2000.
4- خليل شكري هياص،فاعلية العتبات في قراءة النص الروائي، اتحاد الكتاب العرب،2005
5- . عبدالمالك مرتاض، **في نظريةالرواية**، سلسلة عالم المعرفة،المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998 .
6- غاستون باشلار،**جماليات المكان**، ترجمة غالب هلسا، مطبعة مجد، بيروت، ط.4 1996 .
7- فائزة العزي، إذ سعّرت (رواية)، دار فكرة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1،2010، ص24.
8- بنكراد سعيد ، النص السردي: نحو سيميائيات للأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، المغرب ط1 1996
9- محمد الهادي المطوي، في التعالي النصي والمتعاليات النصية،المجلة العربية للثقافة، تونس،عدد 32، 1997
10-محمد عزام، **شعرية الخطاب السردي**، من منشورات اتحاد الكتاب العرب،2005.

1-عصام واصل، قراءة سيميائية في "نصف امرأة مؤقتا" للقاص هشام محمد
http://esamwasel.maktoobblog.com/xmlrpc.php
2- بسام موسى قطوس،سيمياءالعنوان(.www.alrawya.com/tajarib_magalat 3(5/5/ 2006 )
3- عصام واصل، قراءة سيميائية في "نصف امرأة مؤقتا" للقاص هشام محمد.
http://esamwasel.maktoobblog.com/xmlrpc.php
[4]-ليلى السيد، بسام موسى قطوس سيمياء العنوان http://www.alrawya.com/tajarib.htm
www.awu-dam.org/book/indx-study.htm.1/1/2006.
[5]سمر روحي الفيصل،**بناء المكان الروائي**، مجلة الموقف الأدبي، اتحاد الكتاب العرب،عدد306 ، 1996.
www.awu-dam.org/mokifadaby/ind-mokif306.htm.1/1/2004
6-Jean Fissete,Semiosis
http://www.jeanfisette.net/publications/semiosis.pdf

**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 15-32**

# العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية

***الجيلي عبد العال إدريس*** [*]

**الملخص:** يعالج هذا البحث موضوع العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية ، وقد بدأ بالتعريف بمصطلح (العدول) وتوضيح مفهومه اللغوي والاصطلاحي وتتبع مسيرته في التراث العربي ، متنقلا عبر العصور المختلفة مبينا آراء العلماء ، ومقدما خلاصة أفكارهم ودراساتهم حول العدول. وفي سبيل تحقيق أهداف البحث وغايته والوصول إلى نتائجه فقد استقرأ البحث أنظار أولئك العلماء وما قدموه من تحليلات واستنتاجات أدت الهدف المرجو. ونسبة لكثرة تناول الظاهرة عند العلماء فقد ركزت الدراسة على قسمين هما: العدول بين الأفعال والعدول بين الأسماء بأقسامهما المختلفة كما سيفصلهما البحث. وقد اجتهد البحث بالوقوف على أمثلة للعدول بين المشتقات الصرفية من القرآن الكريم وكلام العرب شعرا ونثرا، وانتهى بعد ذلك إلى نتائجَ تم تدوينها في خاتمة البحث.

الكلمات المفتاحية : العدول ، التناوب ، المشتقات

## The Reversed from origin Between Morphological Derivatives

***Elgaili Abdelaal Idris***

**Abstract**: This research deals with term (Reversed) between morphological derivatives. First, the concept is defined and then traced through Arab heritage in different ages to explicate linguists' views and demonstrate their significant studies on the Reversed. In order to achieve the desired objectives and access the required results, the researcher deduced these views, analyzed them, and reached their conclusions. Due to the extensive use of Reversed, the study focused on two parts: The Reversed between verbs and nouns with its different details. To conclude, the research had tried to identify examples of Reversed from the Quran and the words of Arab poetry and prose. Finally, the results were reached and had been included

**Keywords**: Reversed, Alternation , Derivatives.

[*]أستاذ النحو والصرف المساعد كلية العلوم والآداب جامعة الملك خالد فرع بيشة elgailiabdelaal@yahoo.com

## المقدمة :

تعتور علوم كثيرة ظاهرة العدول ومن أهمها :علم الصرف الذي يركز على دراسة بنية الكلمة وجوهرها ، ولما كانت الصيغة الصرفية هي الرافد الثاني لمعنى الكلمة فقد كان بديهيا أن تحظى بالعناية من قبل علماء الصرف الذين تقفوا أثر دلالات البنى الصرفية ومعانيها .

والعدول الصرفي هو ترك صيغة صرفية يقتضيها السياق إلى صيغة أخرى تشترك معها في تأدية معناها العام وتفضلها بوجه من الوجوه في السياق الذي ترد فيه كاستعمال المصدر في موضع اسم الفاعل ، واسم الفاعل في موضع اسم المفعول ، أو الماضي بدلا من المضارع وهلمجرا . وقد ينوب الفعل الماضي عن المضارع والعكس وكلاهما ينوبان عن الأمر والعكس، وكذلك اسم الفاعل ينوب عن المفعول والعكس، واسم الفاعل ينوب عن المصدر، والمصدر ينوب عن اسم الفاعل وهكذا دواليك ويمكن إدراج ذلك كله تحت باب التناوب أو العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية .

والعرب تُوقع بعض الأفعال موقع بعض مجازا على سبيل التوسع ، وأن وجه استجازتهم هذا الإبدال مع تضاد الأفعال أن الأفعال جنس واحد وإنما خولف بين صيغها لتدل كل صيغة على زمان غير الذي تدل عليه الأخرى، وإذا تضمن الكلام معنى يزيح الالتباس جاز وضع بعضها في موضع بعض توسعا . ( ابن الشجري: 1349هـ : 45/1) .

وإذا أخبر بالفعل المضارع عن الماضي فإن الغرض بذلك تبيين هيئة الفعل واستحضار صورته ليكون السامع كأنه يعاينها ويشاهدها (ابن القيم : الفوائد المشوق : 1327هـ :32) .

أما معنى كلمة (عدول) اللغوي أنها: مصدر عَدَلَ يَعْدِلُ أي : مال وجار، والعَدْلُ والعُدُول كلاهما مصدر لعدل عَدْلا وعُدُولا، والعُدُول: الميل عن الشيء أو الطريق ، أو تغيير الجهة أو الرأي، وأن تعدل الشيء عن وجهه تقول : عَدَلْتُ فلانا عن طريقه وعَدَلتُ الدابة إلى موضع كذا: (ابن منظور: لسان العرب ، د . ت (مادة عدل) .

وأما معناه الاصطلاحي فهو خروجٌ عن النمط المتعارف عليه في النظام اللغوي ، أو ميلٌ عن النظام أو الأصل اللغوي . ( هنداوي :الإعجاز الصرفي :2001م: 141) وهو بحسب المعنى الثاني: فالعدول عن النية هو تغييرها والانتقال إلى غيرها ، وعده أبو عبيدة أحد أشكال المجاز في القرآن ، وأدخله ابن قتيبة في باب مخالفة ظاهر اللفظ معناه (ابن قتيبة : تأويل مشكل القرآن : 1981 م : 290) .

كما عده أبو الفتح من شجاعة العربية (ابن جني : الخصائص :1957م : 444/2) ، وفي موضع آخر يُسميه الحمل على المعنى وهو كثير في اللغة يصفه بالاتساع ويرى أنه وراد في كلام الله سبحانه وتعالى ، وفصيح الكلام منثورا ومنظوما (السابق : نفسه) .

ونسبة لكثرة أنواع العدول فقد تناول هذا البحث العدول عن الأصل بين بعض المشتقات الصرفية وسنبدأ بتناوب الأفعال الثلاثة فيما بينها ونتلوها بتناوب صيغ المشتقات الصرفية التالية : اسمي الفاعل والمفعول والصفة المشبهة والمصدر .

## القسم الأول: العدول في المشتقات الفعلية :

**أ/ العدول عن الماضي إلى المضارع (المضارع بمعنى الماضي):**

إذا أُتي بالمضارع في حالة الإخبار عن وجود، كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، مثل قوله تعالى : (وَاتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ)(البقرة : 102)(تتلو) مضارع في معنى الماضي (تلت) والمعنى ما كانت تتلو لا يريدون أن صلة (ما) محذوفة وهي (كانت) و(تتلو) في موضع الخبر وإنما يريدون أن المضارع وقع موقع الماضي كما أنك إذا قلت : كان عمرو يكتب هو إخبار بقيام عمرو وهو ماضٍ لدلالة (كان) عليه .

ومثله قوله تعالى : (لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ) (الحجرات :7) فوقع المضارع (يطيعكم) موقع الماضي (أطاعكم) وهو شرط ، قال ابن مالك في الألفية :

لو حرفُ شرطٍ في مُضِيٍّ ويَقِلْ إيلاؤُه مستقبَلا لكنْ قُبِلْ
وإنْ مضارعٌ تلاها صُرِفا إلى المُضِيِّ نحوُ : (لو يفي كفى)

(ابن مالك : الألفية :1984 م : 55)

يعني أن (لو) يقع بعدها الفعل المضارع فيصرف معناه إلى النفي كقوله : لو يفي كفى ، أي : لو وفى كفى ، ولو هنا هي(لو) الشرطية وهي للتعليق في الماضي كما أن (إنْ) للتعليق في المستقبل (ابن الناظم : د.ت : 709) فذكر الناظم أنّ (لو) لو وقع بعدها فعلٌ مضارع فإنها تقلب معناه إلى الماضي . ومثله قول كثير عزَّة :

لو يسمعون كما سمعتُ كلامَها خرُّوا لعزةَ ركَّعا وسُجُودا

(ابن عقيل : د . ت : 398/2)

أي : لو سمعوا .

ومثله قوله تعالى : (وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِم بَطَراً وَرِئَاء النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَاللّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ) (الأنفال : 47)، قال ابن الحاجب : يحتمل وجهين :

**الأول** : المراد أن الخروج كان واقعا والصد كان حينئذ فأخبر عن كل بما هو صالح له ، فلما كان الخروج ماضيا أخبر عنه بالماضي، ولما كان الصد حالا أخبر عنه بالحال، أي الذي حصل منهم وهم الآن صادوه .

**الثاني** : أن يكون الصد أيضا في المضي وإن عبر عنه بفعل الحال تنبيها على فظاعته وعظم المعصية به لما فيه من صورة المقاتلة للرد على سبيل الخير الواجب فعلها والإعانة عليها (ابن الحاجب : الأمالي النحوية : 1985: 142/1) .

ومثله قول الشاعر:

ولقد أمرُّ على اللئيم يَسبُّني فمضيتُ ثُمتَ قُلْتُ لا يَعْنيني

(أمرّ) بمعنى (مررت) لأنه لم يُرد ماضيا منقطعا وإنما أراد أن هذا أمره ودأبه فجعله كالفعل الدائم.

وقيل : (لقد أمر)جواب القسم والمقسم به محذوف وعبر بالمضارع حكاية للحال الماضية .

ومثله:

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر وحسن فعل كما يجزى سنمار

أراد كما (جزى سنمار) فوضع المستقبل موضع الماضي . (ابن الشجري: 1349هـ : 102/1) .

وجاء في القرآن الكريم في سياق الحديث عن خلق عيسى عليه السلام، قول الله عز وجل : ( إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثِمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ (آل عمران : 59)، فقد عدل عن الماضي (كان) إلى المضارع (يكون) فجاء التعبير بالمضارع بمعنى الماضي لأن الإخبار عن أمر قد وقع وانتهى، فالآية جاءت بصيغة الحاضر بدلاً من صيغة الماضي ، جريًا على عادة العرب في الاستعمال ؛ حيث يستعملون صيغة المضارع تعبيرًا عن الماضي ؛ لاستحضار صورة الحدث ، وكأنه يقع الآن وأنهم يعبرون عن الماضي ، كما يعبرون عن الشيء الحاضر ؛ قصدًا لإحضاره في الذهن ، وجاءت الآية الكريمة تبين الكيفية التي خلق الله فيها آدم ؛ لأنه لو قيل: (كن فكان) لصدق هذا التعبير على وجود آدم لحظة واحدة من الزمن ، ولو كان قد مات لحظة خلقه . أما التعبير بصيغة المضارع : ( كن فيكون ) فيفيد الدوام والاستمرار ؛ وهذا يدل على أن آدم وجد ، واستمر وجوده حتى أنجب ذكورًا وإناثًا ؛ لأن دلالة المضارع تبدأ من الحال ، وتستمر في الاستقبال .

ومثل ذلك قوله تعالى : ( وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً ) ( فاطر : 9) فقد عدل عن الماضي (أثارت) إلى المضارع (تثير)لاستحضار تلك الصورة البديعة ، الدالة على القدرة الباهرة من إثارة السحاب ، وكأنها تحدث الآن ، حيث تبدو أولاً قطعًا متناثرة ، ثم تأتلف وتتداخل فيما بينها ، إلى أن تصير ركامًا ، ويتشكل منها الماء . والأمثلة كثيرة على ذلك .

**العدول عن المضارع إلى الماضي(الماضي بمعنى المضارع ) :**

يخبر بالفعل الماضي عن المضارع إذا كان الأخير من الأشياء الهائلة التي لم توجد والأمور المتعاظمة التي لم تحدث فتجعل عن ذلك فيما قد كان ووجد ووقع الفراغ من كونه وحدوثه (ابن القيم:الفوائد المشوق : 1327هـ:32) ، كما يخبر بالماضي عن المضارع لغرض بلاغي قال ابن القيم : (الفعل الماضي إذا أخبر به عن المضارع الذي لم يوجد بعد كان أبلغ وأعظم موقعا وأفخم بيانا لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان ووجد وصار من الأمور المقطوعة بكونها وحدوثها) ، ومثال ذلك من القرآن الكريم:(أَتَى أَمْرُ اللّهِ فَلاَ تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ)(النحل: 1) جاء بصيغة الماضي والقرينة فلا تستعجلوه لم يقع بعد (استقبال) .

وقيل عبر بالماضي عن المضارع لقرب وقوعه وتحققه وفي ذلك وعيد للكفار(ابن القيم : الفوائد : المشوق :1327هـ :32) .

وقيل هو بمنزلة الآتي الواقع وإن كان منتظرا لقرب وقوعه . وقيل : (أتي) هاهنا بمعنى(تأتي) وإنما حسن فيه لفظ الماضي لصدق إثبات الأمر ودخوله في جملة مالا بد من حدوثه ووقوعه فصار يأتي بمنزلة أتى ومضى .

ومثله قوله تعالى : (ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ) (الإسراء: 6) وضع (رددنا) موضع (نرد) إذ وقت إخبارهم لم يقع الأمر بعد لكنه لما كان وعد الله في غاية الثقة أنه يقع عبر عن مستقبله بالماضي(أبو حيان : د . ت : 10/6) .

وقولـــه تعـــالى : (وَإِنْ عُـــدتُّمْ عُـــدْنَا) (الإســـراء :8 ) أورد الماضـــي (عـــدتم) بمعنـــى المضـارع(تعودوا) والمعنـى : وإن تعودوا إلـى قتـال محمـد عدنا إلـى نصـره والشـرط لا يكـون إلا مستقبلا والمرتب على المستقبل مستقبل لا محالة .

وقيل: وهذا من مجاز التشبيه ، شبه المستقبل في الحقيقة وثبوته بالماضي الذي دخل في الوجود بحيث لا يمكن رفعه (ابن القيم : الفوائد المشوق : 1327هـ : 33) .

ومثله قوله تعالى : (وَبَرَزُواْ لِلّهِ جَمِيعاً)(إبراهيم: 21) برزوا بمعنى (يبرزون) يوم القيامة وإنما جيء بلفظ الماضي لأن ما أخبر الله به لصدقه وصحته فإنه قد كان ووجد .

وقيل : ورد بلفظ الماضي وإن كان معناه الاستقبال لأن كل ما أخبر الله به فهو صدق وحق فصار كأنه قد حصل ودخل في الوجود(ابن القيم: الفوائد المشوق : 1327هـ : 32) .

مثاله من الشعر قول الحطيئة :

شهد الحطيئة حين يلقى ربه أن الوليد أحق بالعذر

أراد يشهد .

وقول الشاعر:

وإني لآتيكم تشكر ما مضى من الأمر واستيجاب ما كان في غد

فوضع الماضي (كان) موضع المضارع( يكون ) ولو كان أراد الماضي لقال ما كان في أمس ولكنه عدل عن المضارع إلى الماضي ، كما أن فائدة وضع الماضي موضع المستقبل للدلالة على ثبوت الأمر لأن صيغة الماضي متحققة الوقوع ومثله قوله تعالى : (وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ) (الروم : 51) قال الخليل : معناه : ليظلن فأوقع الماضي موقع المستقبل (ابن جني : سر صناعة الإعراب :1993م ، 398/1) .

**العدول عن المضارع إلى الأمر (الأمر بمعنى المضارع) :**

مثاله قول الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه: إذا لم تستح فاصنع ما شئت) قالوا : إن هذا صورته صورة الأمر ومعناه معنى الخبر المحض أي من كان لا يستحي فإنه يصنع ما يشتهي ولكنه صرف عن جهة الخبرية إلى صورة الأمر لفائدة بديعة وهي أن العبد له من حيائه أمر يأمره بالحسن وزاجر يزجره عن القبيح، ومن لم يكن من نفسه هذا الأمر لم تنفعه الأوامر .

(ابن القيم : بدائع الفوائد :1972 م :144) .

ومثاله في الذكر الحكيم : (اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَايَاكُمْ وَمَا هُم بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُم مِّن شَيْءٍ) (العنكبوت : 12) ومعناه : اتبعوا سبيلنا ونحمل خطاياكم (ابن القيم : الفوائد المشوق :1327هـ :34) .

ومثله قول الله سبحانه وتعالى : ( قُلْ مَن كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدّاً) (مريم : 75) . قالوا : توكيد للخبر لأن الأمر باللام يجاب فيشبه الخبر به في إيجابه وتقديره : قل من كان في الضلالة يمدد له الرحمن مدا أو مد له الرحمن مدا .

**العدول عن الأمر إلى المضارع (المضارع بمعنى الأمر) :**

ومثاله قوله تعالى : ( وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّئَةٌ يَغْلِبُواْ أَلْفاً) (الأنفال : 65) بمعنى فليغلبوا والمراد التأكيد لأنه خبر تجوز به عن الطلب . ومثل قوله تعالى : (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ) (البقرة :228) . معناه : ليتربصن ، وقيل هذه الآية فيها معنى الأمر . (ابن الشجري : 1349هـ : 257/1)

ومثله قوله تعالى : (َالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ) (233: البقرة ) ، قيل يرضعن خبر معناه الأمر على الوجوب لبعض الوالدات وعلى وجه الندب لبعضهن.وقيل خبر عن المشروعية ، وقيل يرضعن مثل يتربصن ، في أنه خبر في معنى الأمر، وقالوا: إن هذا الكلام وإن كان في اللفظ خبرا إلا أنه في المعنى أمر وإنما جاز ذلك لوجهين اثنين :

1/ تقدير الآية (والوالدات يرضعن) في حكم الله الذي أوجبه إلا أنه حذف لدلالة الكلام عليه .
2/ أن يكون معنى (يرضعن) ليرضعن إلا أنه حذف ذلك لتصرف في الكلام مع زوال الإبهام . (ابن القيم : الفوائد المشوق:1327هـ: 34).

ومن الشعر:

قلت لبواب على بابها تأذن لي إني من أحمائها

يريد لتأذن .

( ابن جني : سرصناعة الإعراب 391/1)

ومثله قوله تعالى : (تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) (الصف:11) معناه : آمنوا... جاهدوا، لذلك أجيب بالجزم في قوله تعالى : (يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ)(الصف:12) ، وفي قراءة ابن مسعود: آمنوا... وجاهدوا(مكرم: 1984: 140/7) .

**العدول عن الأمر إلى الماضي (الماضي بمعنى الأمر) :**

قال الخليفة الراشد عمر بن الخطاب: إذا وسع الله عليكم فاوسعوا، صلى رجل في إزار ورداء) قيل: ورد الفعل الماضي بمعنى الأمر وهو (صلى) والمعنى (ليصل) رجل . وقال صلى الله عليه وسلم : تصدق امرؤ من دينار ه من درهمه) بمعنى ليتصدق .

## القسم الثاني: العدول في المشتقات الاسمية :

**العدول عن اسم الفاعل إلى اسم المفعول(مفعول بمعنى فاعل) :**

عدلت العرب عن استعمال صيغة (فاعل) إلى(مفعول) ومثل ذلك قوله تعالى : (حِجَاباً مَّسْتُوراً)(الإسراء:45) مستورا بمعنى ساترا، والظاهر إقرار (مستورا) على موضوعه من كونه اسم مفعول عن أعين الكفار فلا يرونه ، أو مستورا به الرسول عن رؤيتهم ، ونسب الستر إليه لما كان مستورا به ، وقيل : يؤول معناه إلى أنه ذو ستر كما جاء في صيغة لابن وتامر أي : ذو لبن وذو تمر، وقالوا : رجل مرطوب أي : ذو رطبة ، ومكان مهول أي : ذو هول .

وقيل : يجوز مستورا بمعنى ساتر (اسم فاعل والأخير يجيء بلفظ المفعول كما قالوا : مشئوم وميمون ، ويريدون شائم و يامن ) . وقيل : حجابا مستورا أي: حجابا على حجاب ، وقيل : مستورا وصف على جهة المبالغة كما قالوا : شعر شاعر(اللسان: مادة (ستر) ، (أبوحيان : د . ت :6/ 42) ومثله قول الشاعر:

غير مأسوف على زمن ينقضي بالهم والحزن

قيل : (مأسوف) اسم مفعول من الآسف وقيل : (مأسوف) مصدر أريد به اسم الفاعل والتقدير: أنا غير آسف على زمن هذه صفته . (البغدادي : 1979 م: 187) .

ومن أمثلة ذلك قوله تعالى : (كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيّاً)(مريم:61) أي : (آتيا) قيل : هو على موضوعه من أنه اسم مفعول ، وقيل مفعول بمعنى فاعل (الزمخشري : د . ت :2/ 515)

مررنا بقوم موطوئين ومجازه واطئين (ابن جني : الخصائص: 2/ 448)

هنالك صيغ أخرى تدل على اسم الفاعل :

1/ صيغة (فعيل) للدلالة على (فاعل): (بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ)(الأنعام :101) . (بديع) بمعنى اسم الفاعل (مبدع) .

2/ صيغة (فُعُول) بمعنى (فاعل) نحو: صبور شكور غفور بمعنى : صابر وشاكر وغافر فتتساوى الصفة في التذكير والتأنيث فتقول : رجل صبور وامراة صبور، رجل شكور وامرأة شكور، رجل غفور وامرأة غفور ولا يصح صبورة وشكورة وغفورة .

أما إذا كانت صيغة (فعيل) بمعنى (فاعل) نحو سميع وعليم وقدير بمعنى سامع وعالم وقادر؛ فيجب التفرقة بين المذكر والمؤنث بتاء التأنيث المربوطة فتقول: رجل سميع وامرأة سميعة، رجل عليم وامرأة عليمة، رجل قدير وامرأة قديرة . (أيمن أمين: الصرف الكافي : ص 181)

3/ صيغة المصدر تأتي للدلالة على اسم الفاعل(من شر الوسواس الخناس)(الناس :4) ، المراد الوسواس واسم الفاعل (الموسوس) .

بعض المصادر والألفاظ تأتي دالة على اسم الفاعل منها قوله تعالى : (اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)(النور:35) ، بمعنى : منور ومثل قوله تعالى : (أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْراً)(الكهف :41) بمعنى: غائرا، ومثل قوله تعالى : ( تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ) ( النمل :2) بمعنى : هاديا، ومثل قوله تعالى : (وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً) (الإسراء:12) ، يقول أبو حيان:هو من باب أفعل والمراد به غير من أسند أفعل إليه كقولهم: أجبن الرجل إذا كان أهله جبناء وأصفف إذا كان دوابه صفافا فأبصرت الآية إذا كان أصحابها بصراء . (أبو حيان : د.ت : 14/6) .

**العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل:(فاعل بمعنى مفعول)**

يرد اسم الفاعل بمعنى اسم المفعول ففي قوله تعالى : (حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ) (الشورى : 16) فقد استعمل اسم الفاعل مكان اسم المفعول أي (داحضة) بمعنى (مدحوضة) ، ويقتضي الاستعمال الصرفي أن لفظة (مدحوضة) في مكان (داحضة) لأن كل مبنى له معنى يؤديه بحسب الأصل وقد يعدل به عن أصله لغرض بلاغي أو نفسي يصير به ذلك الاستعمال ذا معنى عميق يستدل بقرينة

الاستعمال العدولي . ومن ذلك ماأورده الثعالبي أن العرب تقول : سر كاتم أي : مكتوم ، ومكان عامر أي : معمور ، قال تعالى : ( فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ )( الحاقة :21) أي : مرضي بها .

صيغة (فاعل)عند أهل الحجاز معناها العام (المفعول) وأن الصيغتين اختلطتا على ألسنة الشعراء من أجل التفنن في المدح والهجاء والإغراب ويؤكد ذلك قول الحطيئة يهجو الزبرقان بن بدر :

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

فقد عدل فيه عن اسم المفعول (المطعم والمكسو) إلى اسم الفاعل الطاعم الكاسي .

ولما طار هذا البيت وبلغ الزبرقان سأل الخليفة الراشد عمر بن الخطاب عنه فقال : ما أراه هجاك ولكنه مدحك ، فقال : سل حسان بن ثابت ، فسألهن فقال حسان : هجاه فحبسه عمر(البغدادي : 1979م: 294/3) .

حيث إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) وهو عالم بالبلاغة يخفى عليه الهجاء بهذا الأسلوب وما ذلك إلا لاختلاف معاني الصيغ بين القبائل .

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وصيغها آخذا من كل منها بنصيب إذ إن هذه الظاهرة (ظاهرة أسلوبية تتصل بالأداء اللغوي في الجملة العربية وهي استعمال صيغة اسم الفاعل والمراد بها صيغة أخرى ) (ياقوت : 1992م: 106) .

ومن ذلك أيضا (أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً) (العنكبوت :67 ) أي : مأمون فيه ، وقال جرير:

إن البلية من تمل كلامه فانفع كلامك من حديث الوامق

أي : من حديث الموموق.ومثل ذلك قوله تعالى : (لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ)(هود:43) أي: معصوم. وقوله (فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ)(طه: 39).

بعض اللغويين كالخليل وسيبويه والراغب وأبو حيان لا يرون أن اسم الفاعل في الأمثلة السابقة خرج لمعنى المفعول وألا تضاد فيها فقد ردوا ذلك إلى أمور منها :

**1/ حمل اللفظ على حقيقته على الفاعلية :**

فقد جاء في كتاب التضاد في القرآن الكريم نقلا عن المفردات : يقول الراغب مثلا في (الساحل) : قيل بل تصور منه أن يسحل الماء أي يفرقه ويضيقه .

ويقول في (عاصم) : أي لا شيء يعصم منه ، ومن قال معناه (لا معصوم) فليس يعني أن العاصم بمعنى المعصوم وإنما ذلك تنبيه منه على المعنى المقصود بذلك ، وذلك أن العاصم والمعصوم يتلازمان فأيهما يحصل معه الآخر (المنجد : 1999: 220) .

**2/ حمل اللفظ على النسب:**

جاء في البحر المحيط قوله تعالى : (خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ)(الطارق: 6):قيل هو بمعنى مدفوق وهي قراءة زيد بن علي وعند الخليل وسيبويه هو على النسب كلابن وتامر أي : ذي لبن وذي تمر وبالتالي دافق : أي ذي دفق . (أبو حيان : د. ت: 455/8) .

يقول ابن عقيل : ينوب (فعيل) عن (مفعول) في الدلالة على معناه ، مثل:مررت برجل جريح وامرأة جريح ، وفتاة كحيل وفتى كحيل، وامرأة قتيل ورجل قتيل ، فناب جريح وكحيل وقتيل عن مجروح ومكحول ومقتول(ابن عقيل : د . ت : 3/ 107) .

ولمصطلح اسم الفاعل في العربية العديد من الدلالات ، منها : دلالة اسم الفاعل على الزمن الماضي كقوله تعالى : (قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ) (إبراهيم :10) بمعنى (فطر) على جهة الثبوت في الزمن الماضي من غير دلالته على الملازمة والدوام ، وأما اسم فاعله (فاطر) فإنه وصف ثابت في الزمن الماضي غير قابل للحدوث والتغير (هنداوي : 2002م: 221) .

كما يدل اسم الفاعل على النسب إلى الشيء كقوله تعالى : ( السَّمَاء مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولاً ) (المزّمّل: 18 ) حيث جاء اسم الفاعل (منفطر) دالا على النسب أي (ذات انفطار) ، وقوله تعالى: (جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس :22) بمعنى (ذات عصف شديدة الهبوب) (ابن يعيش : د . ت : 15/6) .

تقول العرب لصاحب الرمح : رامح، ولذي السيف سائف ، ولذي النبل نابل ، ولذي النشاب ناشب ، ويقال رجل دارع إذا كان صاحب درع ، وفاعل هنا ليس جاريا على الفعل بل هو اسم صيغ لصاحب الشيء لكي يدل على اسم الفاعل على النسب (سيبويه:1975: 2/ 91) ، وكأنك تقول هذا درعيّ، ويقال أيضا: القوم سالحون إذا كان عليهم سلاحهم ، ورجل تامر وخابز إذا كان صاحب تمر وخبز، قال تعالى : (إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ)(يس :55) أي أصحاب فاكهة ، قال ابن مالك :

ومع فاعل وفعّال فعِل في نسب أغنى عن الياء فقبل

(ابن مالك :1984م : 183)

وكذلك قوله تعالى : ( لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً)(الغاشية : 11) ، أي: ( كلمة ذات لغو ) على النسب ، ومثلها : (جَاءتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ) (يونس :22) أي (ذات عصف) . وفي قوله تعالى (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ) (فصلت :46) أي : بذي ظلم وصيغة فعّال هنا لم تأت للمبالغة .

وللفراء في معاني القرآن تفسير ظاهر لدلالة اسم الفاعل لمعنى اسم المفعول حيث أرجع ذلك لعلتين : أولاهما النكتة البلاغية ، وثانيهما اختلاف اللغات بين القبائل .

**العلة الأولى: النكتة البلاغية :**

ذلك أنهم يريدون وجه المدح أو الذم فيقولون ذلك لا على بناء الفعل ولو كان فعلا مصرحا لم يقل ذلك فيه لأنك لا تقول للضارب مضروب ولا للمضروب ضارب لأنه لا مدح فيه ولا ذم (الفراء:1955: 3/ 182) .

**العلة الثانية: اختلاف اللغات بين القبائل:**

أهل الحجاز أفعل لهذا من غيرهم أن يجعلوا المفعول فاعلا إذا كان في مذهب نعت كقول العرب : هذا سر كاتم ، وهم ناصب ، وليل دائم ، وعيشة راضية (الفراء: 1955: 3/ 255) .

فإن كان أهل الحجاز يجعلون المفعول فاعلا وباقي العرب يبقون المفعول على حاله فقد يكون لكل صفة من الصيغ الأخرى اختصاص في الدلالة لدى بعض القبائل ، ثم أخذت هذه القبيلة

عن تلك وعن هذه فظهرت بذرة التضاد في الصيغ الصرفية ثم شاع استخدامها في القبائل حتى اختلط الأمر على جماع اللغة من بعد (المنجد: 1999م: 219) .

قراءة القرآن الكريم تميزها دقة النظر في تفحص تراكيبه التي يتشكل من مجموعها بناء آياته في نظام نحوي معجز لأداء معانيه. ولذلك فإن دقة اختيار الأبنية الصرفية لدقة المعاني ولا يكفي في تفسيرها أن ذلك راجع إلى اختلاف اللهجات التي نزل بها القرآن .

**العدول عن اسم المفعول إلى المصدر (المصدر بمعنى اسم المفعول)**

علم الصرف علم دلالي لا يقف عند معرفة بنية الكلمة وإرجاعها إلى أصلها فحسب بل يتعدى ذلك إلى دراسة دلالة الصيغ واشتقاقها ومعانيها التي يجود بها السياق .

فالتعبير بالمصدر له دلالة غير تلك التي تظهر عندما يعبر بالفعل ، إن ذلك يكون لحكمة في أداء المعنى القرآني الذي يراد الإشارة له والالتفات إليه وهو في الوقت ذاته إشارة إلى اختلاف المعنى تبعا لاختلاف البنية الصرفية. ومن أمثلة التعبير بالمصدر بمعنى اسم المفعول : قوله تعالى : (فَإِذَا جَاء وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاء وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقّاً) (الكهف :98 ) ، قال الزمخشري: دكا أي مدكوكا مبسوطا مُسوى بالأرض (الزمخشري : د . ت:2/ 748) .

ومثل قوله تعالى : (وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ) (البقرة :255)، أي من معلوماته ،

وكذلك قوله تعالى : (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ )(لقمان :11) أي : مخلوقه ومثل قوله : (لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ) (المائدة :95) ، أي المصيد .

ويجي المصدر على المفعول مثل : لبن حلْب وتريد محلوب وكقولك : (الخلْق) وتريد(المخلوق) ، ويقولون للدراهم : ضرْب الأمير أي: مضروب الأمير (سيبويه : 1975: 43/4) .

قال السيرافي : وأما الحذيا والسقيا فمصدران في الأصل مثل الفتيا والرجعى وإن كانا قد وقعا على المفعول لأن المصدر قد يقع على المفعول كقولهم : درهم ضرب في معنى مضروب، وأنت رجائي في معنى مرجوّي، واللهم اغفر لنا علمك فينا أي : معلومك من ذنوبنا.(ابن يعيش : د : ت : 16/1، 50/6) .

**العدول عن المصدر إلى اسم المفعول(اسم المفعول بمعنى المصدر) :**

يأتي اسم المفعول بمعنى المصدر وذلك مثل قوله تعالى : (وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ)(الحج: 18) يقول جار الله الزمخشري : وقريء مُكرَم بفتح الراء بمعنى الإكرام إنه يفعل ما يشاء من الإكرام والإهانة (الزمخشري : د . ت: 3/ 149) .

وجاء في اللسان : قال الأخفش وقريء (مكرَم) مثل : مخرج ومدخل (ابن منظور: اللسان مادة : كرم ) .

وقد ورد إتيان المصدر على صورة المفعول في كلام العرب ، ومن ذلك قولهم : حلفت محلوفا وكذلك المعقول والميسور والمعسور والمجلود (السيوطي : المزهر:1958م: 2/ 246) ،

فالميسور بمعنى اليسر والمعسور بمعنى العسر، ويقولون دعه إلى ميسوره وإلى معسوره أي : إلى زمن يسره وعسره .

والمرفوع والموضوع بمعنى الرفع والوضع ، وهما ضربان من السير، والمجلود والجلد أي : الصبر ومثله المعقول بمعنى (العقل) : فيقولون : ماله معقول أي : عقل ، قال الراعي النميري :

حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحما ولا لفؤاده معقولا

**العدول عن الصفة المشبهة إلى المصدر(المصدر بمعنى الصفة المشبهة):**

قد يعدل عن الصفة المشبهة إلى المصدر، يقول فيه ابن جني : هذا رجل دنْفٌ وقوم رضا ، ورجل عدْلٌ ، فإن وصفته بالصفة الصريحة قلت : رجل دنِف ، وقوم مرضون ، ورجل عادل ، هذا هو الأصل ، وإنما انصرفت العرب عنه في بعض الأحوال إلى أن وصفت بالمصدر لأمرين : أحدهما صناعي ، والآخر معنوي .

فأما الصناعي: فليزيدك أنسا بشبه المصدر للصفة التي أوقعته موقعها .

وأما المعنوي : فلأنه إذا وصف بالمصدر صار الموصوف كأنه في الحقيقة مخلوق ، من ذلك الفعل وذلك لكثرة تعاطيه له واعتياده إياه . (ابن جني: الخصائص: 1952: 3/ 259)

قال ابن مالك :

ونعتوا بمصدر كثيرا فالتزموا الإفراد والتنكيرا

(ابن مالك : 1984: 33)

أي : أن العرب تكثر النعت بالمصدر فيقولون : مررت برجل عدْل ، وبرجلين عدل ، وبرجال عدل ، وبامرأة عدل ، وبامرأتين عدل ، وبنساء عدل ، ويلزم حينئذ الإفراد والتذكيروالنعت به على خلاف الأصل لأنه يدل على المعنى لا على صاحبه وهو مؤول: إما على وضع عدل موضع عادل أو على حذف مضاف ، والأصل : مررت برجل ذي عدل ثم حذف (ذي) وأقيم عدل مقامه ، وإما على المبالغة بجعل العين نفس المعنى مجازا وادعاء .

**العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل(اسم الفاعل بمعنى الصفة المشبهة) :**

الصفة المشبهة باسم الفاعل تدل على وصفه به على سبيل الدوام والثبوت ، وقد يعدل عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل من ذلك قوله تعالى : (فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ)(هود : 12) .

فقد عدل عن (ضيق)من باب الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل (ضائق) ليدل على أن الضيق عارض غير ثابت (أبو حيان : د.ت : 452/1) ، كما أن (ضيِّق) أكثر منه استعمالا لأن المقام ليس مقام الدلالة على الثبوت والاستقرار ، بل المقام مقام الدلالة على الحدوث والعوارض ، فلذلك عدل إلى ما يدل عليه وهو صيغة الفاعل(أبو حيان : 1958: 227/5) ولذلك فإن إرادة تثبيت دلالة صيغة أخرى أو نفيها عنها عن طريق العدول بها إلى صيغة أخرى يقابلنا في العدول عن الصفة المشبهة إلى اسم الفاعل ، فلمّا كانت الصفة المشبهة تدل على الثبوت ، وصيغة اسم الفاعل تدل على الحدوث ، فإذا أريد إثبات صفة الحدوث في صيغة معينة جيء بها على صيغة اسم الفاعل ،

وإذا أريد نفي صفة الثبوت جيء بصيغة اسم الفاعل معدولاً بها عن الصفة المشبهة ، وهذه سبيل صعبة لا يقيس عليها إلاّ الأفذاذ ممّن وهبوا خفايا فن العدول ، وأدركوا طواياه . وطريقة إشراب صيغة معنى صيغة أخرى معدول عنها إليها من الدلالات التي اتضحت في أغلب أقسام العدول عن الأصل ، ولا سيما في صيغ المشتقات مثل اسم الفاعل، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، واسم المفعول، لتداخل أشكال صيغها ، ولتقارب معانيها، ولذا أمكن إشراب معاني بعض صيغها معاني بعضها الآخر . (الجحيشي:2005: 16) .

**العدول عن اسم المفعول إلى الصفة المشبهة(الصفة المشبهة بمعنى اسم المفعول):**

يقتصر هذا النوع على صيغة ( فعيل ) الدالة على الصفة المشبهة وهنالك صيغ أخرى تأتي بمعنى اسم المفعول نحو (فعيلة) وهي ذاتها صيغة (فعيل) مع إلحاق تاء التأنيث والتي تحول المفردة الداخلة عليها من الوصفية إلى الاسمية لكن هذا على كثرته لا يقاس (الاستراباذي : د . ت : 166/7) كما أن مرجعه السماع (الأزهري : د . ت :80/2)

ومن الأمثلة على ذلك : الشيطان الرجيم والأصل : الشيطان المرجوم كما يقال : رُجم به الشيطان في هوائه فصرف من مفعول إلى فعيل لأن الياء أخف من الواو .

كما يقال : كف خضيب ، والأصل : مخضوبة. ولحية دهين والأصل : مدهونة . ورجل جريح ، وصريع كل ذلك أصله الواو؛ لأنه مفعول ( ابن خالويه :1989م :21)

ومما يلاحظ هنا أن تعليل العدول تعليل صوتي كما أن العلة في العدول علة دلالية فالوصف (بفعيل) أبلغ من (مفعول) لأنه يدل على الثبوت أو قريبٌ منه ، (فكحيل) أبلغ من (مكحول) و(خضيب) أبلغ من (مخضوب) ، قال الكفوي : الحميد فعيل من الحمد بمعنى محمود وأبلغ منه وهو من حصل له من صفات الحمد أكملها(الكفوي : د . ت : 159/2)

كما أن الوصف بفعيل لا يطلق إلا على من كان الوصف فيه حقيقة فلا يقال : أسير إلا لمن أسر ، في حين تطلق كلمة مأسور على من لم يؤسر، ثم إن صيغة مفعول تدل على الشدة والضعف في الوصف ، بخلاف فعيل التي تدل على الشدة والمبالغة (السامرائي :1981م :62)

**العدول عن اسم الفاعل إلى المصدر(المصدر بمعنى اسم الفاعل):**

قال سيبويه إن العرب تقول:

ماء غور ومجازه غائر، ورجل عدل ومجازه عادل ، وأتيته ركضا ومجازه راكضا، ومفازة قفر أي مقفِرة، ما أنت إلا نوم، وما زيد إلا أكل وشرب وإنما أنت دخول وخروج ، وبنو فلان لنا سلم أي : مسالمون ، أو هم علينا حرب أي : محاربون) . ( الثعالبي : 1938م: 34) .

قال سيبويه : ويقع على الفاعل وذلك قولك : يوم غم ورجل نوم ، إنما تريد النائم والغام (سيبويه: 1975: 43/4).وساق في ذلك قول الخنساء :

ترتع مارتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

علق سيبويه على هذا البيت بقوله : فجعلها الإقبال والإدبار فجاز على سعة الكلام ، كقولك : نهارك صائم وليلك قائم . (سيبويه : 1975: 337/1) . ومن شواهد ابن يعيش :

فإن ترفقي ياهند فالرفق أيمن وإن تخرقي ياهند فالخرق ألأم
فأنت طلاق والطلاق عزيمة ثلاثا ومن يخرق أعق وأظلم

فأتى بلفظ الطلاق وهو مصدر، وأراد اسم الفاعل وهو طالق

قال ابن يعيش معلقا على (أنت طالق ، وأنت طلاق) : ومن ذلك مسائل الطلاق إذا قال أنت طالق طلقت وإن لم ينو؛ ولو أتى بلفظ المصدر فقال : أنت طلاق لم يقع الطلاق إلا بنية لأنه ليس بصريح ، إنما هو كناية على إرادة إيقاع المصدر موقع اسم الفاعل على حد ماء غور أي : غائر)(ابن يعيش : د . ت : 12/1) .

وصف بهذه المصادر كلها للمبالغة كأنهم جعلوا الموصوف ذلك المعنى لكثرة حصوله منه ، وقالوا: رجل عدل ورضا وفضل ، كأنهم جعلوا العدل والرضاء نفسهما ويجوز أن يكونوا وصفوا المصدر موضع اسم الفاعل لغرض الاتساع .

قال زهير:

متى يشتجر قوم تقل سرواتهم هم بيننا فهم رضا وهم عدل

وشاهده وصف الجمع بالمصدر(ابن جني : الخصائص:1957 م : 202/2)، وكثر مجيء الحال مصدرا نكرة، قال المبرد ومن المصادر ما يقع في موضع الحال فيسد مسده فيكون حالا لأنه ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه ، قال تعالى : ( قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ)(الملك :30) أي : غائرا .

وكذلك قوله تعالى : ( فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْراً مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَاناً مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيداً زَلَقاً )(الكهف:40) قال الزمخشري : صعيدا زلقا أرضا بيضاء يزلق عليها لملامستها ، وزلقا وغورا كلاهما وصف بالمصدر(الزمخشري : د.ت : 2/ 723)

وقال جل من قائل : ( ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)(البقرة :260) أي : ساعيات مسرعات . قال أبو حيان الأندلسي : انتصب سعيا على أنه مصدر في موضع الحال من ضمير الطيور أي : ساعيات(أبو حيان: د . ت : 300/2) .

كثير من النحاة لا يبيحون قياس الوصف بالمصدر وإنما يقصرونه على السماع وهو مؤول بأحد ثلاثة تأويلات :

1/ أن المصدر الدال على الحدث أطلق وأريد منه المشتق الذي هو الدال على الذات وهذا مجاز من باب إطلاق المعنى وإرادة محله .
2/ أنه على تقدير مضاف وهو على هذا مجاز بالحذف .
3/ أنه على المبالغة .

وإذا وضع المصدر موضع اسم الفاعل وجرى مجراه فيجوز لك فيه وجهان :

الوجه الأول : أن تتركه مفردا وتصف به المفرد والمثنى والجمع مثل : أنت طلاق ، وأنتما طلاق ، وأنت طلاق . وهذا رجل عدل ، ورجال عدل ، ونسوة عدل (ابن يعيش : د . ت :12/1) ، وكذلك يقال : رجل عزب وامرأة عزب . لأنه مصدر وصف به فلا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث كما يقال رجل خصم وامرأة خصم (السيوطي : الأشباه والنظائر :1975 م : 163/4) . قال ابن مالك في الألفية :

ونـــعتوا بمـــصدر كـــثيرا فالـــتزموا الإفـــراد والتـــذكيـــرا

والوجـه الآخـر أن تثنيـه وتجمعـه فنقول : هذان عدلان ، وهؤلاء عدول ، قال قـيس بـن الملوح :

وبايعت ليلى في خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانع

قال ابن يعيش : فجمع عدلا ومقانعا (ابن يعيش : د.ت : 1/ 13)

**العدول عن المصدر إلى اسم الفاعل( اسم الفاعل بمعنى المصدر):**

تقول العرب : قم قائما والمعنى: قم قياما ، كما قال المبرد ، واقعد قاعدا أي : قعودا ، كما يقال: الفاضلة بمعنى الفضل والإفضال ، والعافية بمعنى المعافاة . وكقولهم : فلانة حسنة الدالة ، أي: الدلال ( ابن يعيش : د. ت : 3/ 50) .

قال الفرزدق :

على حلفة لا أشتم الدهر مسلما ولا خارجا من فيّ زور كلام

علـق سـيبويه : فإنمـا أراد : ولا يخـرج فيمـا اسـتقبل كأنـه قـال: ولا يخـرج خروجـا (سيبويه:1975: 1/ 346) فخارجا عند سيبويه مصدر حذف عامله والتقدير: لا أشتم شتما ولا يخرج خروجا من فمي زور كلام ، والذي عليه المحققون أن خارجا مفعول مطلق والأصل لا يخرج خروجا ثم حذف الفعل وأناب الوصف عن المصدر كما عكس في قوله تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَن يَأْتِيكُم بِمَاء مَّعِينٍ) (الملك :30) قال المبرد: إنما أراد لا أشتم ولا يخرج من فيّ زور كلام فأراد ولا (خروجا) فوضع خارجا في موضعه . (المبرد: 1963م : 269/3)

وكقول سحيم :

عميرة ودع إن تجهزت غازيا كفى الشيب والإسلام للمرء ناهيا

فكلمة ناهيا وإن جاءت على وزن فاعل إلا أنها يصح أن تكون بمعنى المصدر ، قال ابن جني: فالقول أن يكون ناهيا اسم فاعل من نهيت كساع من سعيت ، وسار من سريت ، وقد يجوز أن يكون ناهيا هنا مصدر كالفالح والباطل والغائر ونحو ذلك مما جاء فيه المصدر على فاعل، حتى كأنه قال: كفى الشيب والإسلام للمرء نهيا وردعا (ابن جني : الخصائص د . ت : 2/ 489)

ومن أمثلة ذلك في الذكر الحكيم : قوله تعالى : (َأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ)(الحاقة:5) ، أي بطغيانهم ، قالوا: الطاغية مصدر كالعاقبة فكأنه قال : بطغيانهم ، ويدل عليه قوله تعالى : ( كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا)(الشمس:11)(أبو حيان د.ت: 321/8) ، (اللسان:طغا) .

ومثله قوله تعالى : ( فَهَلْ تَرَى لَهُم مِّن بَاقِيَةٍ)(الحاقة:8) ، أي بقاء وقوله تعالى : ( وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىَ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ) ( المائدة :13) ، قال الزمخشري: أي على خيانة أوعلى فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة وقرئ على خيانة (الزمخشري : د. ت: 616/1) . ومثل قوله تعالى : ( لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً) (الغاشية :11) أي : لغوا .

وقال تعالى: (لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ) (الواقعة :2)، بمعنى التكذيب ، قالوا : المعنى ليس لها تكذيب ولا رد ، فكاذبة على هذا مصدر كالعاقبة والعافية (أبو حيان : د . ت: 203/8) .

ومن أمثلة مجيء اسم الفاعل للدلالة على المصدر :

( يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ)(غافر:19) ، أي : خيانة . ومثل قوله تعالى : ( لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ) (النجم : 58) والمراد : كشف، ومثل قوله تعالى : (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ)(ص :46) ، المراد الإخلاص .

العدول إلى معنى من معاني هذه المشتقات في القرآن الكريم يتعلق بأسرار القرآن الكريم وإعجازه وإتيانه بلغات العرب وصيغها وربما تعلق الأمر بأسرار اللغة العربية ذاتها فهذا ليس غريبا على اللغة العربية إذ إن حرف الاستفهام (الهمزة ) قد يخرج إلى معان أخرى يراد منه التسوية أو التقرير أو التهكم وغير ذلك . كما أن حروف النداء وحروف الجر على سبيل المثال تأتي لدلالات أخرى .

كما يتوصل لمبالغة اسم الفاعل باستخدام صيغ المبالغة، وذلك مثل قوله تعالى : ( قَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) (الأعراف:109) ، فلو قيل : ساحر عالم لما أفاد المبالغة إذ المعنى أنه عالم بالسحر دون قلة أو كثرة ، ولما أريد المبالغة في اسم الفاعل حول (فاعل) إلى صيغة (فعيل) للدلالة على معنى المبالغة حيث أصبح المعنى أن هذا عالم بالسحر ماهر فيه وقولهم : (عليم) أي : بالغ الغاية في علم السحر وخدعه وفنونه (الصابوني : 1976م : 1/ 463) ولذلك نلاحظ عدولا عن اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة (فعيل) أي: (فعيل بمعنى فاعل) .

كما يطلق المصدر على اسم الفاعل للمبالغة مثل قوله تعالى : ( اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ) (النور:35) نور بمعنى منور لكل شيء بحيث كأنه عين نوره (الصابوني : 1976م : 2/ 345) . ونلاحظ أيضا عدولا عن (اسم الفاعل إلى المصدر) أي : (المصدر بمعنى اسم الفاعل(مفعل) .

ولابد من الإشارة إلى أن أنماط العدول في القرآن الكريم وصوره تند عن الحصر وليس بوسع أي باحث أن يحصرها ، لأن النص القرآني لا يخضع لأي نوع من التقييد الصوري ، ولا يحتكم إلى أسلوب بعينه وإنما هو حدائق ذات بهجة من الأساليب التي لا تنتهي حدودها .

## الخاتمة :

حاول هذا البحث رغم امتداده واتساعه وتفرعه دراسة ظاهرة العدول عن الأصل بين المشتقات الصرفية فأمكن من خلال هذه الدراسة التوصل إلى النتائج التالية :

1/ علم الصرف( Morphology ) يزود اللغة العربية ويرفدها بالمعاني والألفاظ والمفردات وبالتالي يمكننا القول إنه علم وظيفي توليدي . ومنبع للتراكيب اللغوية والمعاني الصرفية المبتكرة .
2/ غاية العدول الصرفي غاية بلاغية في المقام الأول . وأن خروج هذا الاستعمال عن مقتضى الظاهر لا يؤدي إلى التباس وأن هنالك أغراض ومعاني وعلل وراء ظاهرة العدول .
3/ إن نيابة الصيغ الصرفية فيما بينها تدل على وجود التضاد فيها كما أن الصيغ قد تتعدد على المعنى الواحد بسبب كثرة الاستعمال المجازي لهذه الصيغ الصرفية .

4/ أسهم العدول الصرفي في توسع العرب في توظيف الصيغ الصرفية لإنتاج معاني عديدة غير المعاني الموضوعة لها وبالتالي ففي ظاهرة العدول تنوع في الأساليب واهتمام بالمعنى وتوسع فيه بلا حدود .

5/ ومن بين ثنايا ظاهرة العدول عن الأصل تبرز أهمية المعنى في استنتاج وتحليل صيغ الأبنية الصرفية وهيئتها وتتحقق مقولة كل اختلاف في المبنى دال بلا شك على اختلاف في المعنى .

6/ العدول في النص القرآني وفي صيغ مفرداته بلاغة وسر من أسرار القرآن الكريم وإعجازه .

7/ في أسلوب العدول تحور وتناوب غير معتاد تنتج عنه صيغ صرفية جديدة فيها كثير من المعاني المبتكرة ، وإبداعٌ لغوي وتعبيري كامن فيه تلوين في أسلوب الكلم وصيغه وأشكاله وفيه فائدة لنشاط السامع وإيقاظه وتنبيهه .

8/ العدول من أهم عوامل اللغة العربية لأنه يحمل في طياته معاني بلاغية تدل على معين اللغة وبحرها الزاخر الذي لا ينضب .

9/ ظاهرة العدول تؤكد بوضوح ما تتمتع به لغتنا العربية من اهتمام بالمعنى واللفظ ، وتنوع ووفرة في التعبير عن المعنى المراد بوسائل كثيرة ومتعددة تدل على غزارة مادة اللغة العربية التي يعتبر الاشتقاق أحد مميزاتها .

## ثبت المصادر والمراجع


ابن الأنباري ، أبو البركات : أسرار العربية ، تحقيق بهجة البيطار، دمشق ، المجمع العلمي العربي ، 1957م

ابن جني ، أبو الفتح عثمان : الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، طبعة 2، 1957م

ابن جني ، أبو الفتح عثمان : سر صناعة الإعراب ، دراسة وتحقيق حسن هنداوي ، ط2 دار القلم دمشق 1993

ابن الحاجب ، أبو عمرو عثمان بن عمر : الأمالي النحوية ، تحقيق هادي حسن، ط1 ، عالم الكتب، بيروت ، 1985م

ابن خالويه ، أبوعبد الله الحسين بن أحمد : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، تح محمد إبراهيم سليم ، مكتبة الساعي الرياض 1989م

ابن الشجري ، أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة الحسني : دائرة المعارف العثمانية ، ط 1، حيدر أباد الدكن 1349هـ

ابن عقيل ، بهاء الدين عبد الله العقيلي : شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك ، د . ت ، دار الجيل بيروت ، تحقيق حنا الفاخوري

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله : تأويل مشكل القرآن ، شرح أحمد صقر ط 3 المكتبة العلمية 1981

ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله : أدب الكاتب ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، ط ، القاهرة ، 1958م

ابن القيم الجوزية ، شمس الدين أبو عبد الله محمد : بديع الفوائد ، تصحيح محمود غانم غيث ، ط 2، القاهرة ، 1972م

ابن القيم الجوزية : الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان : ابن القيم ، ط1 ، تحقيق محمد بن بدر الدين ، ط1 ، مكتبة الخانجي مصر 1327هـ

ابن منظور ، جمال الدين أبو الفضل محمد بن مكرم : لسان العرب ، إعداد وتصنيف يوسف الخياط ، دار لسان العرب ، بيروت ، د . ت .

ابن الناظم ، أبو عبد الله بدر الدين بن محمد بن مالك : شرح ألفية ابن مالك ، د.ت، دار الجيل بيروت

ابن يعيش، موفق الدين يعيش بن علي : شرح المفصل ، بيروت ، عالم الكتب القاهرة، مكتبة المتنبي د . ت

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف : البحر المحيط، الرياض، مكتبة النصر الحديثة، د.ت

أبو حيان، أثير الدين محمد بن يوسف : البحر المحيط : طبعة دار الفكر، بيروت، ط2، 1958

أبو عبيد ، معمر بن المثنى التيمي : مجاز القرآن، طبعة الخانجي القاهرة د.ت

الأزهري، خالد بن عبد الله : شرح التصريح على التوضيح ، دار إحياء الكتب العربية مصر ، د . ت

الاستراباذي ، رضي الدين : شرح كافية ابن الحاجب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، د . ت

البغدادي ، عبد القادر بن عمر : خزانة الأدب ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة، الأميرية، ط2، 1979م

تمام حسان : اللغة العربية معناها ومبناها ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1979م

الثعالبي ، أبو منصور عبد الملك بن محمد : فقه اللغة وسر العربية ، تح مصطفى السقا وآخرون ، ط3 القاهرة مطبعة مصطفى الحلبي 1938م

الجحيشي ، هلال علي محمود : رسالة دكتوراه بعنوان : العدول الصرفي في القرآن الكريم ، جامعة الموصل 2005م

الجرجاني ، عبد القاهر: دلائل الإعجاز، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت 1981م

الجرجاني ، عبد القاهر : أسرار البلاغة ، شرح وتعليق وتحقيق محمد عبد العزيز خفاجة وعبد العزيز شرف ، دار الجيل ، بيروت 1991م .

الجرجاني ، عبد القاهر : أسرا البلاغة تحقيق هيلمو تريتر استانبول 1954م

الجرجاني ، عبد القاهر: أسرار البلاغة تحقيق هيلموتريتر، دار المسيرة بيروت ، ط 3، 1983

الخطيب القزويني ، محمد بن عبد الرحمن : الإيضاح في علوم البلاغة ، شرح وتعليق وتنقيح عبد المنعم الخفاجي ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت، ط4 ، 1975م

الخنساء، تماضر بنت عمرو: ديوان الخنساء ، بيروت دار صابر1963م

الزركشي ، بدر الدين محمد بن عبد الله: البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الفكر، بيروت ، ط 3، 1972م

الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر: الكشاف ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، د . ت

العسكري ، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن السهيل : الصناعتين ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وآخر، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، 1986م

السامرائي، فاضل صالح:معاني الأبنية في العربية،جامعة الكويت، ط1، 1981م

السكاكي، أبو يعقوب يوسف محمد بن علي : مفتاح العلوم ، شرح نعيم زرزور، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1983م

سيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر: الكتاب ، تح عبد السلام هارون ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ،1975 م

السيوطي ، جلال الدين : الإتقان في علوم القرآن، القاهرة 1368هـ

السيوطي ، جلال الدين : الأشباه والنظائر في النحو ، تح طه عبد الرؤوف سعد ، القاهرة مكتبة الكليات الأزهرية 1975م

السيوطي ، جلال الدين :المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، تح محمد أبو الفضل وآخرون ط4 ، القاهرة ، مطبعة عيسى الحلبي 1958م

الصابوني ، محمد علي : صفوة التفاسير، مكتبة جدة ، مكة المكرمة ، 1976م

الفراء، يحي بن زياد : معاني القرآن ، القاهرة 1955م

الفيروزأبادي ، مجد الدين الشرازي : القاموس المحيط ، مكتبة النوري ، دمشق ، د . ت

الكفوي ، أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني: الكليات (معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ، تح عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، ط2 ، 1998م

المبرد ، أبو العباس محمد بن يزيد :المقتضب ، تح محمد عبدالخالق عضينة ، بيروت ، عالم الكتب ، 1963م

مراح ،عبد الحفيظ مراح : ظاهرة العدول في البلاغة العربية (مقاربة أسلوبية) ، رسالة ماجستير، الجزائر 2006م .

المسدي ، عبد السلام : الأسلوبية والأسلوب ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، ط2، 1982م

مطلوب ، أحمد : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبوعات المجمع العلمي العراقي 1986م

مكرم ، سالم : معجم القراءات القرآنية ، ط7، الكويت ،1984م

المنجد ، محمود نور الدين : التضاد في القرآن الكريم ، بيروت مطبعة دار الفكر، ط1، 1999م
هنداوي ،عبد الحميد أحمد يوسف : الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، بيروت 2001م

ياقوت ، محمود : الصرف التعليمي ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، 1992م

**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 33-54**

# الدولة والسوق ودورهما في التنمية: دراسة حالة الجزائر

***رشيدة أوبختي*** [*]

**الملخص:** إن مسألة دور الدولة ودور السوق في إدارة الاقتصاد لا تحظى بتوافق الآراء. فالمتفق عليه هو رفض التدخل الحكومي الواسع النطاق ورفض إهمال آليات السوق. فما هي حدود تدخل الدولة؟ وما هي حدود آليات السوق؟ وما هي مدى عمل الأسواق دون تدخل؟ إن الاعتماد على آليات السوق لا يلغي وظيفة الدولة في توجيه النشاط الاقتصادي، كل ما في الأمر أن الدولة تمارس وظيفتها من خلال آليات السوق وليس بقرارات وأوامر إدارية وبالتعاون مع قوى السوق الفاعلة. ويتمحور دورها حول توفير الشروط الضرورية من أجل أن تمارس آليات السوق دورها بنجاح في توجيه النشاط الاقتصادي. فالحقيقة أن السوق لا تعمل إلا في ظل دولة قوية تضع الإطار العام للنشاط الاقتصادي، وتحدد الشروط المناسبة لمباشرة هذا النشاط، وتحول دون الخروج عن هذا الإطار.

**الكلمات المفتاحية:** السياسة السعرية، حكومة الحد الأدنى، الإلتراليبرالية، التعديل الهيكلي، الخصخصة.

## *State and market role in development –case study of ALGERIA-*

**RACHIDA OUBEKHTI**

**Abstract:** The question of the role of the state and that of the market in the management of the economy does not enjoy of an agreement in points of sights, it is agreed that the governmental intervention of great scale and the omission of mechanisms of the market are inadmissible. To that effect, what are the limits of the intervention of the state? What are the limits of mechanisms of the market? What is the octant of the action of markets without intervention? The recourse to mechanisms of the market does not exclude neither revoke and it is not opposed to the function of the state in the orientation of the economic activity, it that the state exerts and fulfils its function by the means and through mechanisms of market and not by administrative decisions and orders and this in collaboration with the active forces of the market. Its role concerns the way how to fulfil the necessary conditions so that markets mechanisms can carry out their role to orient the economic activity with success. Indeed, market does not act, only under the auspices of a strong and a vigorous state which establish and prescribe a general framework of the economic activity, determine and settle appropriate conditions to undertake this activity and keep it to exceed the limits of this framework.

**keywords**: price policy, minimal state, ultra-liberalism, structural adjustment, privatization.

[*] كلية العلوم الاقتصادية والتسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، الجزائر، raoubekhti@yahoo.fr

**مقدمـــــة:**

لقد حدثت تغيرات اقتصادية عالمية سريعة في الربع الأخير من القرن العشرين كان لها تأثيرا كبيرا على معظم اقتصاديات العالم؛ تتمثل خاصة في زيادة موجة التحرر الاقتصادي، تزايد قوى التكتلات الاقتصادية الدولية وظهور العولمة التي تدعمها أفكار أساسية عرفت باسم إيديولوجيا "النيوليبرالية" أو "الليبرالية الجديدة" "Neoliberalism". هذه الأخيرة تعود في أصلها إلى الليبرالية والتي هي من سمات الرأسمالية.

هذه التغيرات أظهرت من جديد إشكالية الدولة والسوق. فبعد الانتشار الواسع للعولمة وسيطرة الشركات الكبرى على مختلف الأسواق والتي أصبح لها تأثيرا حتى على سياسة البلدان المنتشرة فيها نظرا لنفوذها الاقتصادي الكبير، صار من الضروري إعادة النظر في دور الدولة ومدى تدخلها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

ولقد اختلفت المدارس الاقتصادية في نظرتها لدور الدولة، فمنها من أعطاها دورًا حياديًا، ومنها من عزّز مكانتها في الحياة الاقتصادية بإعطائها دورًا متقدمًا في السوق وتنظيمه، وهذا تماشيًا والأوضاع الاقتصادية التي تسود الحقبة التي عايشتها هذه المدرسة أو تلك.

إن تدخل الدولة ووجود السوق ما هو إلا جهاز أساسي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، وفي هذا الإطار سنحاول البحث في حدود الاعتماد على كل من الدولة والسوق في تحقيق التنمية الاقتصادية التي أصبحت من أهم الأهداف السياسية للحكومات في مختلف بلدان العالم. بعبارة أخرى هل الاعتماد على آليات السوق يلغي وظيفة الدولة في توجيه النشاط الاقتصادي أم أن الدولة تمارس وظيفتها من خلال آليات السوق؟

وسنحاول أيضا إسقاط المفاهيم السابقة على الاقتصاد الجزائري الذي يسعى للاندماج في النظام الاقتصادي العالمي الجديد، ويولي أهمية كبيرة للنهوض بمجهودات التنمية خاصة بعدما خلفه الاقتصاد المخطط من سوء تسيير للموارد المادية والمالية والبشرية.

**1/ تعاريف:**

***1-1/ التعريف بالدولة:***

إن لمصطلح "الدولة" مفاهيم مختلفة تتغير حسب كل مرحلة تاريخية، حيث لا يوجد مفهوم محدد لها. فالتعريف العام للدولة هو "أنها تنظيم سياسي واقتصادي واجتماعي يندرج تحته الأفراد والتنظيمات".

ويعرفها بعض المفكرين السياسيين بما يلي:

**أ- ماكس فيبر:** الدولة هي مؤسسة سياسية تحتكر شرعية استخدام القوة وتعمل بصفة مستمرة على فرض النظام والقانون.

**ب- جورج بوردو:** الدولة هي كيان مصطنع، تسمح ببقاء الأفراد تحت سيطرتها والخضوع لها، دون الشعور بأنهم يخضعون لآخرين. ويرى أيضا أن الناس اخترعوا الدولة حتى لا يطيعوا الناس.

***1-2/ تعريف اقتصاد السوق:***

إن مصطلح "اقتصاد السوق" "Market economy" يعد من المصطلحات التي انتشرت في التسعينات من القرن العشرين بانهيار المنظومة الاشتراكية. ويعرف أيضا بـ "نظام النشاط الخاص"، وهناك تعاريف عديدة لاقتصاد السوق منها:

1- اقتصاد يتميز بفعالية السير الحقيقي للأسعار (حقيقة الأسعار)، وحتى تظهر هذه الحقيقة التي من خلالها يقوم السعر بوظائفه الأساسية لابد من توفر الشروط الآتية:

- القيام بتحرير الأسعار حتى تلعب دورها في تطابق العرض والطلب وكذلك تعميق دورها في مجال نشر المعلومات؛
- تفعيل وتنشيط آليات المنافسة عن طريق إلغاء الاحتكارات واستقطاب الريوع وجعل السعر بمثابة مرآة للنشاط الاقتصادي؛

- انفتاح الاقتصاد الوطني على الخارج والاستفادة من منظومة الأسعار العالمية للتحكم في الندرة على المستوى الوطني.
2- اقتصاد تكون فيه الوساطة متطورة من حيث تعبئة الادخار وتوزيعه بين العناصر الاقتصادية توزيعا بعيدا عن التدخلات البيروقراطية، حيث يبقى البنك المركزي يقوم بدور الرقابة على التوازنات المالية الداخلية والخارجية، وكذلك التوازنات النقدية.
3- وجود سوق مفتوحة على المنافسة داخليا وخارجيا مقرونة بطلب فعال.
4- وجود عملية قوية ونشيطة للتأهيل والتجديد والتوسيع في الكفايات الإنتاجية وكذلك الهياكل الاقتصادية.
5- وجود قطاع معرفي ومالي في تطور وتقدم.
6- التحول إلى الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج والتي تسمح بتطوير فكرة المؤسسة، الخطر والمنظم...إلخ[1].

## 2/ إشكالية تدخل الدولة:

### 2-1/ *الإطار التاريخي لإشكالية الدور التدخلي للدولة في الاقتصاد:*

مرت الدولة منذ القديم على عدة فترات تطور بها مفهومها من الدولة الحارسة (Gendarme state) إلى الدولة المتدخلة (Interventionist state)، فالدولة المنتجة (Producing state) والدولة المنظمة (regulator state).

### 2-1-1/ سيادة منطق السوق

سادت سياسات الحرية الاقتصادية في القرن التاسع عشر، مجسدة نظرية "أدم سميث" "Adam Smith" كما عرضها في كتابه المشهور "ثروة الأمم" (1776م)؛ كرد فعل على سياسات التدخل المسرفة التي سيطرت في القرن الثامن عشر، فظهر بذلك مفهوم الدولة الحارسة التي تتولى مهام الأمن والعدالة والدفاع والاطلاع بدور مهم في بعض القطاعات الخدمية كالصحة والتعليم، أي أنها تقف حارسة للنشاط الاقتصادي دون التدخل في الآلية التي يعمل بها. فالسوق هو وحده الذي يصنع توازنه الخاص وحلوله الذاتية، والاقتصاد الرأسمالي متوازن وتحكمه حرية السوق واليد الخفية.

### 2-1-2/ تراجع دور السوق وتدخل الدولة:

فرضت أزمة 1929 توسيع دور الدولة التدخلي، هذا الدور الذي تحقق سواء عبر التخطيط والإشراف والتوجيه وعبر التوظيف الاستثماري أو حتى عبر التأميم (كما حدث في أوربا في نهايات ستينات وسبعينات القرن العشرين) وكذلك في مجال تحقيق الضمان الاجتماعي[2].
كما فرض بروز دور الاتحاد السوفياتي وما رافقه من انقسام للعالم عبر ثنائية قطبية على دول المعسكر الغربي، إعادة النظر في آلية المنافسة الرأسمالية وحرية السوق والتوسع اللامحدود؛ حيث توصلت للخروج من أزمتها سنة 1929 إلى ضرورة إعطاء الدولة دورا مركزيا لإعادة ترتيب المجتمع الرأسمالي يتيح مشاركتها في إدارة الاقتصاد بموازاة الدور المركزي للسوق وبهذا أصبح السوق محكوما بسياسات محددة تفرضها الدولة رغم أن ذلك لم يفض إلى إنهاء اقتصاد السوق، وأصبح رأس المال بدوره محكوما بقوانين تفرضها الدولة في مجالات الاستثمار والأجور والضمان الاجتماعي.

---

1- Abdelmadjid Bouzidi, « Comprendre la mutation de l'économie algérienne », société nationale de comptabilité,1992, p 39,40.

2- سلامة كيلة، "عولمة الليبرالية الجديدة"، www.rezgar.com/debat/show.art.aid?asp=8338

وبذلك تأسس مفهوم الدولة التدخلية حيث اتضح من تطور الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية ضرورة التخلص من مفهوم الدولة الحارسة. فتغيرت وظيفة الدولة وأصبح لها دورا متزايدا في النشاط الاقتصادي والاجتماعي بالإضافة إلى الوظائف التقليدية.

ومع ازدياد تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي وازدهار المفاهيم الاشتراكية تعاظم دور الدولة ليس في البلدان التي سارت على طريق الاشتراكية بل وأساسا في البلدان الرأسمالية؛ حيث أظهرت ولادة النظام الاشتراكي حدود النظام الرأسمالي والعيوب والنواقص التي تعتري النظريات التي تروج لدور محدود للدولة، وتسعى إلى إطلاق يد الاقتصاد الخفية.

واعتمد تدخل الدولة في الاقتصاد على ركائز نظرية غذتها أفكار المفكر الاقتصادي الإنجليزي "جون مينارد كينز" "John Maynard Keynes" الذي وضع مبادئ التدخل التعديلي للدولة للتقليص والقضاء على البطالة وبعث التشغيل الكامل[3]، فشاع بذلك "الوفاق الكينزي" المستند إلى نظرية كينز المعروفة في كتابه "النظرية العامة للاستخدام والفائدة والنقود" (1936م)، ومن أهم الأسس الاقتصادية التي يقوم عليها الوفاق الكينزي:

أ- تمكين الدولة من الرد على الكوارث الاقتصادية؛

ب- إعطاء الدولة دور المستثمر المالي المركزي في الاقتصاد الوطني؛

ج- حق الدولة في التدخل لتصحيح الخلل في السوق أو في حركة المال؛

د- دور الدولة في تفادي التضخم والديون وارتفاع الأسعار.

وهكذا تأسس مفهوم جديد للدولة تمثل في دولة الرعاية (الرفاه) (Welfare state)، حيث يعتمد هذا الشكل للدولة على سياسة ميزانية نشيطة وعلى توسيع في الحماية الاجتماعية، إذ يأخذ على عاتقه مسؤولية توفير قدر من الحقوق الاقتصادية والاجتماعية للمواطنين؛ وضمان تحقيق درجة عالية من العدالة والمساواة بينهم.

وقد استمرت دول النظام الرأسمالي في تطبيق هذه السياسات الاقتصادية الكينزية، خلال ما يسمى بالعقود الثلاثة المجيدة (Glorious trentes) من النمو الاقتصادي المتواصل بعد الحرب العالمية الثانية إلى نهاية السبعينات، ولكن هذا العصر الذهبي (الثلاثين المجيدة)، انتهى مع موجة التضخم وتصاعد البطالة في السبعينات والأزمة التي عرفتها دولة الرعاية (الرفاه) نظرا لتراجع معدلات النمو الاقتصادي، وهذا ما جعل الحكومات عاجزة عن التكفل بمشاكل كل المجتمع مثل ما كان سابقا. وبذلك واجه الوفاق الكينزي ثورة مضادة من قبل النظرية النقدية لـ "ميلتون فريدمان" "Milton Friedmam" الذي يؤكد أنه يستحيل تخفيض البطالة باستمرار من خلال تعاظم التضخم، وأن السياسة النقدية هي العنصر الحاسم في السياسة الاقتصادية.

وقاد هذا التوجه نحو إعادة الاعتبار للسوق وإعادة النظر في دور الدولة (الأسس الاقتصادية الكينزية) خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وبهذا انتهى القرن بعودة الحرية الاقتصادية من حيث المبدأ.

### 2-1-3/ العودة مجددا إلى اقتصاد السوق وإعادة النظر في دور الدولة:

منذ بداية الثمانينات، ظهرت إلى حيز الوجود دعوات إلى تقليص دور الدولة في النشاط الاقتصادي لأن دورها التدخلي يعوق فاعلية السوق ويضر بالتراكم الرأسمالي عن طريق ضغط الأرباح. وهكذا بدأ إنعاش الليبرالية وإحياء مفاهيم "أدم سميث" حول حرية السوق واليد الخفية بعودة "مارغريت تاتشر" إلى السلطة في بريطانيا عام 1979 على يد مستشارها الاقتصادي "فردريك فون هايك" "Friedrich Von Hayek"، و"رونالد ريغان" في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1980 ومستشاره الاقتصادي "ميلتون فريدمان" وكلاهما أكدا على أهمية العودة إلى

3- محمد عباس محرزي، "اقتصاديات المالية العامة"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003، ص 22.

قوانين السوق وحرية رأس المال وفق أسس نظرية الليبرالية الجديدة "Néolibéralism" التي تقوم على:
أ- كلما زادت حرية القطاع الخاص كلما زاد النمو والرفاهية للجميع؛
ب- تحرير رأس المال وإلغاء رقابة الدولة في الحياة الاقتصادية وتحرير التجارة العالمية.

**❖ وفاق واشنطن (1989):**

تمت العودة إلى السوق وتراجع دور الدولة بعد نزول "الوفاق الكينزي" عن عرشه بسبب تصاعد البطالة والتضخم وتبني "رونالد ريغان" و"مارغريت تاتشر" للنظرية النقدية، والصعود القوي للثنائي البنك الدولي وصندوق النقد الدولي من خلال فرض برامج التكييف الهيكلي. فعاد الفكر الكلاسيكي للوجود وتجسد في ما سماه الاقتصادي الأمريكي "ويليامسون" "Wiliamson" بـ "وفاق واشنطن" "Washignton Consensus" سنة 1989، الذي يتضمن مجموعة من السياسات والتوصيات ومبادئ التوجيه التي تم التوصل إليها فيما بين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وصندوق النقد والبنك الدوليين بهدف تطبيقها كمرحلة أولية لسياسات الإصلاح الاقتصادي في دول الاتحاد السوفياتي وأوروبا الشرقية المنهارة والبلدان النامية، وتتضمن هذه السياسات المبادئ العامة أو الوصايا العشر التي تقضي بالانضباط الموازني، والإصلاح الضريبي، وتخفيض الإنفاق العام، وتحرير التجارة والأسواق المالية والاستثمارات الخارجية، وإيجاد سعر صرف مناسب والخصخصة والابتعاد عن التضبيط. وقد أضاف البنك الدولي لطريق الخلاص هذا (وفاق واشنطن) مفهوما جديدا يتجاوز الاقتصاد إلى السياسة: وهو مفهوم "الحكم الرشيد" أو"الحكم الجيد" "Governance"[4]، الذي يرتكز إلى نشر ديمقراطية السوق القائم في الدول الغربية الآن على العالم بأسره.

إن تطبيق وفاق واشنطن لم يؤت نتائجه، فقد أحدث بعضا من النتائج الإيجابية على مستوى الاقتصاد الكلي، لكنه سرعان ما ارتطم بحدود لا يتخطاها حيث كذبته الأزمة الآسيوية سنة 1997 من جهة، وانتقده بشدة بعض من أنصاره خاصة الاقتصاديين "جوزيف استجلتز" "J.Stiglitz" و"كروكمان" "Krugman". فقد تحدث "استجلتز" عن عجز توصيات السياسة الليبرالية الجديدة وعن فشل وفاق واشنطن وسجل انتقادات حادة من أهمها:

- أن هذه السياسات كانت محدودة المدى أو ضيقة الأفق، سواء ما يتعلق بالأهداف أم بالوسائل؛
- الخلط بين الأهداف والوسائل حيث اعتبرت الخصخصة وتحرير التجارة وتقليص دور الدولة أهدافا في حد ذاتها لا وسائل لنمو مطرد وعادل وديمقراطي؛
- التعامل مع التنمية من منظور ضيق للغاية حال دون العناية بالجوانب الهيكلية والمؤسسية.

ويعتقد "استجلتز" أن "وفاق واشنطن" عجز عن فهم دقائق عمل اقتصاد السوق ولم يدرك أن توافر الملكية الخاصة والوصول إلى تحرير الأسعار لا يكفيان لجعل اقتصاد السوق يعمل بنجاح فالاقتصاد يحتاج إلى بنية تحتية مؤسسية.

وفي مواجهة هذا النقد لمبادئ "وفاق واشنطن"، وفي ضوء الدروس المستفادة خاصة من أزمة دول جنوب شرق آسيا وروسيا، أعادت أطرافه النظر فيما حققته توجيهاته من سلبيات وإيجابيات لاسيما فيما يتعلق بدور الدولة والتساهل في نسبة التضخم المسموح بها، ووضع ضوابط على حركة رؤوس الأموال، وتيسير نقل التكنولوجيا.

---

4- عرفه "Leftwitch" بأنه النظام السياسي المرتكز إلى نموذج الدولة التي تستطيع تحقيق التنمية، وهي تلك القائمة على نظام مؤسسي عقلاني، والتي يقتصر دورها على ممارسة وظائفها الأساسية، وصياغة السياسات العامة التي لا يستطيع أي فاعل آخر أن يقوم بها بنفس الفعالية ومن ثم فهي دولة منفكة عن السوق بما يكفي، لتستطيع آليات تنظيمه الذاتية أن تحدث كل آثارها.

### 2-2/ أشكال، أهداف وإجراءات تدخل الدولة في الاقتصاد:

#### 2-2-1/ أشكال تدخل الدولة في المجال الاقتصادي:

إن التدخل الحكومي قد يأخذ شكل التوجيه والتنظيم والتشجيع باستخدام مختلف أدوات السياسة الاقتصادية والمالية والنقدية والسعرية. ويتراوح هذا التدخل في المجال الاقتصادي بين الأشكال التالية مع إمكانية الجمع بين أكثر من شكل منها:

أ- توفير رأس المال الأساسي بما هي ذلك القانون والنظام في المجتمع، أي تحديد الالتزامات القانونية والتعاقدية وتنفيذها وإقامة التسهيلات التعليمية والصحية والرفاه الاجتماعي والقيام بالوظائف العسكرية والدفاعية؛

ب- توفير البنية الاقتصادية الارتكازية مثل: المصارف والتسهيلات النقدية والمالية، الطرق العامة وشبكات الخطوط الحديدية، والمرافق العامة الأخرى؛

ج- تطبيق رقابات مباشرة وغير مباشرة من خلال إجراءات متنوعة مثل التعريفة الجمركية، الضرائب والرقابة على الأسعار...إلخ؛

د- إقامة مشروعات تتراوح بين إدارة بعض الصناعات أو بعض المشروعات العاملة في صناعات مختلفة أو الملكية العامة لبعض أو كل وسائل الإنتاج؛

هـ- التخطيط المركزي الذي قد يشتمل على تركز كامل أو جزئي في عملية صنع القرار الاقتصادي في مجلس تخطيط وطني مركزي.

#### 2-2-2/أهداف تدخل الدولة في الاقتصاد:

تهدف الدولة بتدخلها وتأطيرها للنشاط الخاص في المجتمع إلى تحقيق أهداف عامة، منها الأهداف الاقتصادية والمالية، والاجتماعية والسياسية.

فالأهداف ذات الصبغة الاقتصادية والمالية تشمل: استقرار الأسعار وأسعار العملة الوطنية مقارنة مع عملات أجنبية، تحقيق التوازنات الخارجية في المبادلات مع الدول الأخرى؛ وتحسين الإنتاج الوطني لتحقيق النمو والتنمية الاقتصادية.

أما الأهداف ذات الصبغة السياسية، فترتبط بالدولة وحجمها أمام مواطنيها أو مقابل دول أخرى ويكون هذا عبر تحقيق السيادة واستقلالية آرائها وقراراتها وما تملكه من وسائل مادية ومعنوية في تمثيل دورها جيدا.

وتسعى الدولة لتحقيق هذه الأهداف بشكل إجمالي، وفي نفس الوقت ويأتي ذلك من خلال الوظائف التالية:

أ- وظيفة التوجيه والضبط الاقتصادي؛

ب- وظيفة التأثير العام على النشاط المجتمع، والمؤسسات والقطاعات الاقتصادية وغيرها.

وتتم كل من هاتين الوظيفتين باستعمال الصلاحيات والسلطات التي تتحصل عليها هيئات الدولة من المجتمع طبقا لتنظيم الحكم المطبق، وبواسطة الوسائل التشريعية والإجراءات التي تتخذها تلك الهيئات.

ج- السهر على تقديم المعلومات الضرورية للمجتمع ومختلف هيئاته، سواء ما يحدث من تغيرات وتطورات داخلية أو خارجية، وما ينتج عنها من آثار على الوضعية الداخلية، وكذلك ما تؤثر به على الإستراتيجيات والاختيارات على المستوى الوطني؛ والتغيرات التي يجب القيام بها بعد تقدير تلك التأثيرات للمستقبل.

ولهذه الوظيفة أهمية كبيرة في اقتصاد السوق أين تأخذ المعلومات دورا فعالا في السياسات لدى الأعوان الاقتصادية (أشخاص، مجموعات أو مؤسسات) بحيث يعتمدها هؤلاء في اتخاذ قراراتهم اليومية وفي مختلف الآجال المستقبلية. واقتصاد السوق الذي يفترض حرية القرار والتصرف لمختلف المتعاملين الاقتصاديين يمكن الدولة أو الهيئات العمومية التي تمثلها، أن تؤثر في هذا

القرار وتوجهه من خلال حركة المعلومات ومحتواها، عن الظروف والتطورات الاقتصادية والاجتماعية داخليا أو خارجيا، وهو ما يدعو إلى الموضوعية إلى حد كبير في جمع وتوزيع هذه المعلومات ودقتها واحترام وقتها المناسب.

**2-2-3/إجراءات تدخل الدولة في الاقتصاد:**

في المجال الاقتصادي، تمتلك الدولة عدة طرق ووسائل للتأثير على اتجاه المؤسسات. ومن الإجراءات التي يمكن أن تتخذها الدولة في هذا المجال نجد:

**أ- الإجراءات الهادفة إلى تحسين حركة (سيولة) الأسواق:**

وهي تعتمد أساس على إعلام المتعاملين (حالة العرض والطلب)، والمعلومات يمكن أن تكون كمية أو نوعية، حقيقية أو تقديرية والسلطات العمومية يمكنها أن تتدخل بجمع وتوزيع المعلومات، أو بتعريف محاور وأهداف سياستها وهذه الإجراءات لها تأثير على إعانة مختلف الأعوان في تحسين وضعياتهم؛ أو تحقيق نتائج بإتباع طرق مبنية على هذه المعلومات، مثل تنظيم أسواق المال، أو القيام بإعادة تكوين اليد العاملة لنفسها في منطقة وزمن معين للاستفادة من مشاريع جديدة.

**ب- الإجراءات الهادفة إلى تحديد قواعد اللعبة:**

ولها عادة صفة التوجيه، لأنها تحتوي على منع وفرض عناصر، ولكن ما يميزها هو أنها تعتبر عامة لمختلف المتعاملين الاقتصاديين وليست مميزة أو ضد أحد هؤلاء المتعاملين.

**ج- إجراءات دفع:**

تهدف إلى تغيير السلوك أو توجيه القرارات لدى المتعاملين، دون أن يكون لها ميزة الفرض أو المنع، بحيث بمتابعة الدافع يحصل مزية، وعدم اتباعه ينتج تحمل عبء، والاختيار يترك لحرية تحكيم كل عون، فكل منهم يمكن مبدئيا أن يستفيد منها.

**د- إجراءات تعاقدية:**

وتحدد بتسجيل واجب متبادل بين متعامل (غالبا المؤسسة)، يقدم له ميزة خاصة (بترخيص عن القاعدة العامة)، مقابل عمل يعتبر إيجابيا من وجهة نظر أهداف السياسة الاقتصادية، ولها خصائص محددة، حيث الحصول على عقد ليس حقا ومحتواه يفاوض عليه حالة بحالة.

**هـ- إجراءات السلطة:**

فهي تلغي الأسواق أو تصيب بشدة عملها، والمتعاملون لا يمكن لهم أداء اختيارهم، وقراراتهم تملى لهم إلى حد ما من طرف السلطة العمومية وهذه الحالة نجدها في الدولة المركزية لتوجيه اقتصادها أين يتم تقديم أو تحديد جزء من السوق أو نوع من الموارد لكل متعامل.
ونلاحظ من خلال هذه المجموعات الخمسة من الإجراءات، أن النوعين الأول والثاني فقط هي السائدة في النظام الاقتصادي الليبرالي[5].

**3/ الخيار الاقتصادي بين الدولة والسوق:**

***1-3/ الصراع القائم بين "نظرية دور الدولة" و"نظرية دور السوق":***

إن أبرز ما تميز به القرن العشرين هو ذلك الصراع الكوني بين نظريتين، حيث امتد الخلاف لزمن طويل بين (أنصار دور الدولة) في النشاط الاقتصادي وأنصار (اقتصاد السوق).

---

5- ناصر دادي عدون، "اقتصاد المؤسسة"، دار المحمدية العامة، الجزائر، ط2، ص 100-102.

فلقد كان الاتحاد السوفياتي سابقا يتبنى ويتزعم ويقود أنصار النظرية الأولى، وذلك استنادا إلى دور مركزي للدولة لا تحده حدود في ملكية الاقتصاد أدارته على كافة الصعد والوظائف في التخطيط والتنفيذ والإشراف والتوجيه والرقابة؛ وبتجاهل كبير لحقائق السوق وقوانينه ومتطلباته وتفاعله مع المجتمع.

وأدت المغالاة في هذا الاتجاه إلى نتائج كارثية، فكان الإخفاق الاقتصادي هو السر الكبير لزوال هذا النظام وانهياره.

وعلى الجانب الآخر، تتصدر الولايات المتحدة الأمريكية دون منازع زعامة دول الاقتصاد الحر استنادا إلى مبادئ الحرية الاقتصادية وانحسار دور الدولة بل تخليها عن دورها الاقتصادي لصالح الفعاليات الخاصة شركات وأفراد.

وعلى الرغم من كل النجاحات التي حققها أنصار هذه المدرسة، إلا أن ذلك لم يحل دون حدوث الأزمات المتتالية التي تتعرض لها اقتصاداتها؛ كما أن الشواهد تثبت عدم واقعية هذه المدرسة في تخلي الدولة عن دورها الاقتصادي، فلم تزل الحكومات في دول الاقتصاد الحر هي التي ترسم السياسات الاقتصادية وتقوم بالدور الأساسي في الإنفاق الاجتماعي والخدمي والبحث العلمي وتملك أو تشارك في بعض الصناعات الإستراتيجية؛ إضافة إلى دورها في الإشراف والرقابة وتفرض العقوبات الاقتصادية على الدول التي تتعارض مع إرادتها مما يعطل قوانين الحرية الاقتصادية وحرية انتقال السلع ورؤوس الأموال.

من ذلك فإن الخلاف النظري القائم من جانب، على أساس أن دور الدولة الاقتصادي هو حتما دور متعارض مع قوانين السوق. ومن الجانب الآخر على أساس أن السوق يقتضي بالضرورة غياب دور الدولة هو مقولة خاطئة لأنها:

أ- تفتقر إلى مرجعية فلسفية وتتجاهل حقيقة أن القوانين الأساسية لاقتصاد السوق وعلى رأسها قانون العرض والطلب هي قوانين طبيعية نجمت عن انتظام البشر وتوافقهم في مجتمعات تتبادل فيما بينها المنافع والحاجات وفق أعراف وتقاليد ورغبات تناسبها في الزمان والمكان. وهذه القوانين (قوانين اقتصاد السوق) ليست وضعية ابتكرتها الرأسمالية لتحتكرها احتكار المالك لملكه، وإن كانت قد أحسنت في الكثير من الحالات استخدامها وتطويرها واستثمارها إلى الحد الأقصى.

ب- تتجاهل الوقائع التاريخية المثبتة، حيث كانت الدولة منذ أول نشوء لها قبل ظهور علم الاقتصاد راعية للمجتمعات التي تنضوي تحت ولايتها، وكان من أول ما تلتزم به تجاه رعاياها تحقيق الأمن والاستقرار والوفاء بالحاجات وتوفير أسباب المعيشة وتنظيم توزيعها وإحقاق العدل هذا في حالة السلم. وأما في حالة الحرب، فلم تكن تتوانى عن حشد وتعبئة كل ما تتطلبه مستلزمات الحرب من موارد بشرية ومادية.

إن دور الدولة هذا، وإن تطور في الدولة الحديثة وتغيرت نظمه وأدواته، هو ضرورة اقتصادية واجتماعية وسياسة وشرط لتعزيز السيادة والأمن الوطني....

وهذه النتيجة لا تعني أبدا إطلاق يد الدولة في المجال الاقتصادي، وأن يبقى دورها مهيمنا في كافة الأنشطة جامدا في أساليبه وأدواته مغرما بالتدخل في كل صغيرة وكبيرة. لكي لا يكون عبئا على التنمية وعائقا من عوائقها.

إن الدور المنشود هو الذي تحدده شروط التطور الأمثل اقتصاديا واجتماعيا وفي ضوء الظروف والتحديات والمستجدات الطارئة في كل مرحلة من مراحل التطور[6].

6- فؤاد السيد، "التعددية الاقتصادية: اتجاهات المستقبل"،
www.mafhoum.com/syr/articles_01/sayed/sayed.htm

***2-3/ حدود الاعتماد على الدولة والسوق:***

إن مسألة دور الدولة ودور السوق في إدارة الاقتصاد لا تحظى بتوافق الآراء. فالمتفق عليه هو رفض التدخل الحكومي الواسع النطاق ورفض إهمال آليات السوق.

- ولكن ما هي حدود تدخل الدولة؟ وما هي حدود آليات السوق؟ وما هو مدى عمل الأسواق دون تدخل؟ ومتى وكيف وإلى أي حد تتدخل الحكومة لضبط الأسواق والحد من نشاطها؟.

**3-2-1/حدود الاعتماد على السوق:**

*** أنماط فشل السوق:**

هناك عدة أنماط لمواطن ضعف أو فشل السوق. ويقصر معظم علماء الاقتصاد فشل السوق على الابتعاد عن "مفهوم النتائج الكفؤة" عند "باريتو" "Pareto-efficient outcomes"، وبذلك يستثنون القضايا التوزيعية فيما عدا عندما تؤثر الكفاءة على التوزيع. وعلى النقيض من ذلك، فإن الكثيرين من غير علماء الاقتصاد (وحتى بعض علماء الاقتصاد) يرون أن التوزيع ينبغي أن يكون له الأولوية على الكفاءة.

**أ- المؤثرات الخارجية والسلع العامة:**

قد تؤدي النشاطات الاقتصادية إلى حدوث الفوائض سواء في الفوائد يمكن أن يستولي عليها المنتجون، أو فوائض تكاليف يمكن جمعها منهم. وهنا لا تكون نتائج السوق كفؤة بالمعنى التوزيعي.

إن هذه الفوائض بمعنى الفوائد أو التكاليف الخارجية لا تدخل في الحسابات التي تتخذ على ضوئها القرارات الخاصة بالإنتاج، لدى، لن يكون هناك إنتاج عندما تكون هذه الأشياء الخارجية هي صافي الفوائد وسيكون هناك إنتاج كثير عندما تكون هذه الأشياء هي صافي التكاليف.

ومن أمثلة المؤثرات الخارجية (Externalities) نجد:

**1- التعليم**: وهو نشاط يعطي من الناحية الفرضية أمورا خارجية إيجابية (فوائد) للمجتمع عامة، بالإضافة إلى الفوائد التي تعود على المتعلمين مباشرة.

وهذه الأشياء الخارجية (أي الفوائد التي يجنيها المجتمع بصورة غير مباشرة من التعليم مثلا) هي التي تقدم الحجة المنطقية لتدخل الحكومة من خلال الدعم أو العمل المباشر من قبل القطاع العام أو من خلال اللوائح والقوانين للتعويض عن ميل السوق إلى إنتاج منتجات غير كافية ما لم يستحدث على فعل ذلك.

**2- الانبعاثات الكيماوية والضوضائية المنبعثة من الطائرات وغيرها من النشاطات الصناعية:** وهي مؤثرات خارجية سلبية (أي التكاليف). ووجود هذه المؤثرات يعطي الحجة المنطقية للتدخل الحكومي -عن طريق الضرائب أو اللوائح والقوانين المباشرة- للتعويض عن ميل السوق للإفراط في إنتاج المخرجات، لأن هذه التكاليف لم تؤخذ بعين الاعتبار من قبل جهات أخرى غير الحكومة.

وهناك أيضا المصالح الخاصة والمصالح العامة المرتبطة بالمؤثرات الخارجية. فالمصالح الخاصة تعبر عن الحالة التي تجمع فيها معظم الفوائد المرتبطة بالإنتاج من قبل المنتجين أو تدفع معظم تكاليفها من قبلهم. بينما ينطبق تعبير المصالح العامة[7]، عن الحالة التي تتألف فيها معظم نتائج نشاط من النشاطات من الفوائد غير التوزيعية (كالأمن الوطني وهو المثل التقليدي عن الطالح العام) أو التكاليف غير قابلة للجمع (كالجريمة، وهي المثل التقليدي عن الطالح العام).

7- Alain Bruno, « Sciences économiques et sociales », Ellipses, Paris, 2001, P 500.

**ب- العوائد (الأرباح) المتزايدة:**

إن الأسواق قد تفشل في خلق النتائج الكفؤة عندما تكون النشاطات الاقتصادية عرضة لزيادة العوائد أو الأرباح وانخفاض التكاليف الحدية.

**1- في حالة انخفاض التكاليف:**

يكون الإنتاج الأقل تكلفة محققا من قبل منتج واحد، وبالتالي فإن السوق الحرة ستؤدي إلى الاحتكار. وتكون نتائجها غير كفؤة بالمفهوم السكوني والديناميكي للكفاءة، بافتراض أن محتكر السوق لا يستطيع التفريق في الأسعار التي يتقاضاها من المشترين ومن ثم يسود سعر واحد في السوق (تسعير أحادي). ففي المفهوم السكوني، تكون نتيجة السوق غير كفؤة لأن الكمية المنتجة ستكون أقل، وزيادة السعر الذي يتقاضاه المحتكر ليصل بأرباحه إلى الحد الأعلى الممكن ستكون أعلى مما تقتضيه تكاليف الإنتاج.

أما في المفهوم الديناميكي للكفاءة، فإن النتيجة ستكون غير مرضية لأن الحوافز على الابتكار ستكون ضعيفة بالنسبة للمحتكر المطمئن لغياب التحدي والمنافسة مما يمكن أن تكون عليه الحال في ظل نظام المنافسة.

**2- في حالة زيادة العوائد أو الأرباح:**

تتدخل الدولة في هذه الحالة بمختلف أنواع التدخل الحكومي لتغيير نتائج السوق، من خلال:

- تنظيم مباشر للاحتكار الطبيعي عن طريق وضع أسعار أو نسب عوائد مسموح بها على رأس المال، بمستويات أقرب ما تكون لتلك التي تسود في البيئة التنافسية؛
- الحماية القانونية لمنع قيام شركة واحدة من السيطرة ولتشجيع المنافسة.

**ج- عيوب الأسواق:**

تكون النتائج الناجمة عن الأسواق غير فعالة عندما تبتعد الخصائص المثالية للسوق من حيث الأسعار والمعلومات والحركة بصورة كبيرة عن الخصائص السائدة في الأسواق الفعلية، وهذا يشكل مبرر منطقي لقيام الحكومة بالتدخل.

ولا تقوم قوى السوق بالتوزيع العادل ومن ثم لا ينتج الاقتصاد إلا بأقل من قدرته الحقيقية في الحالة التي لا تشير الأسعار ومعدلات الفائدة، لسبب أو لآخر، إلى الندرة النسبية وتكاليف الفرص، أو عندما لا تكون أمام المستهلكين فرص متكافئة للاطلاع على المعلومات المتعلقة بالمنتجات والأسواق، أو عندما لا تكون المعلومات المتعلقة بفرص السوق وتكنولوجيا الإنتاج متاحة بصورة عادلة، أمام جميع المنتجين، أو عندما تقيد قدرة عوامل الإنتاج على التحرك استجابة لمثل هذه المعلومات. وتعم هذه الظروف اقتصاديات الدول النامية كما أنها ليست غريبة على اقتصاديات الدول المتطورة. فهذه العيوب تنطبق إلى حد ما على جميع الأسواق، وإلى حد كبير على بعضها. وفي مثل هذه الظروف، ينبغي على السياسات العامة القيام بالحد من هذه العيوب كأن تسهل إتاحة المعلومات وتخفض من الحواجز التي تحول دون دخول المنافسين الجدد أو دور حركة السوق وغير ذلك.

**د- الابتعاد عن العدالة التوزيعية:**

يستبعد معظم علماء الاقتصاد الآثار التوزيعية عند الحكم على مدى نجاح أو فشل الأسواق. وهذا الاستبعاد يكون مصحوبا عادة بالاعتراف بأن النتائج التوزيعية حتى بالنسبة للأسواق ذات الأداء الجيد قد لا تتلاقى مع معايير العدالة المقبولة اجتماعيا أو مع أفضليات المجتمع بالنسبة لتقليل التناقضات المفرطة في توزيع الدخل والثروة. ومع ذلك، إنه من الصحيح نظريا اعتبار غياب العدالة التوزيعية كمثال عن فشل السوق. ومن هذا المنظور، فإن توزيع الدخل هو نوع خاص من الصالح العام، ولا ينجم التوزيع العادل عن الأسواق التي تعمل بحرية لأن عمل الخير والإحسان يقدمان فوائد تعتبر خارجية بالنسبة للمتبرعين (أي لا تعود عليهم بالفائدة) الذين لا يقوموا هم بتوزيعها على المحتاجين، ولكن الفائدة الناجمة عن عمل الخير والإحسان تعود، عوضا عن ذلك، بالفائدة على المجتمع ككل. ولذلك لو تركت السوق للتصرف وفق أساليبها فإنها ستؤدي إلى إعادة

توزيع للفوائد التي تجنيها هذه السوق أقل مما يرغب المجتمع في كفاءتها، وذلك بسبب مشكلة الشركات التي تحصل على المعلومات والتكنولوجيا مجانا وهي مشكلة مرتبطة بالمؤثرات الخارجية والمصالح العامة[8].

**3-2-2/ حدود الاعتماد على الدولة:**

*** أنماط فشل الدولة (اللاسوق):**

هناك عدة مصادر وأنماط رئيسية خاصة بفشل اللاسوق تتمثل فيما يلي:

**أ- عدم الترابط بين التكاليف والعائدات (التكاليف الفائضة والمتزايدة):**

إن الأسواق حتى وإن كانت ناقصة، تربط تكاليف الإنتاج أو إجراء نشاط ما بالدخل الذي يبقي على ذلك النشاط. وتقوم هذه الصلة على الثمن الذي يجري تقاضيه مقابل الإنتاج السوقي الذي يدفعه المستهلكون الذين يستطيعون اختيار ما إذا كانوا يرغبون في الشراء وما الذي يشترونه. ولكن النشاط اللاسوقي يقضي على هذه الصلة، لأن الدخل الذي يبقي على النشاطات اللاسوقية يأتي من مصادر لا ثمن لها وتحديدا من الضرائب التي تدفع للحكومة أو التبرعات أو مصادر الدخل الأخرى التي لا ثمن محدد لها وتقدم للحكومة أو المؤسسات الأخرى اللاسوقية بجانب الحكومة.

وهكذا فإن غياب هذه الصلة يؤدي إلى فصل ملائمة قيمة الإنتاج اللاسوقي عن التكاليف التي تدفع لقاء هذا الإنتاج. ويعني عدم الترابط هذا زيادة مجال سوء تخصيص المصادر؛ وحيث ما لا تكون أوجه الدخل الذي يبقي على نشاط ما مرتبطة بتكاليف إنتاجه، فقد تستخدم مصادر أكثر مما هو مطلوب للقيام بإنتاج ما، وتزداد عدم الفعالية لأن تكاليف إنتاج نشاط ما لا علاقة لها بالعائدات التي تبرر استمرار القيام بذلك النشاط.

وسواء اتخذت السياسات شكل اللوائح أو إدارة الدفعات التحويلية أو إنتاج السلع العامة بصورة مباشرة، فهناك ميل ينجم عن النشاطات اللاسوقية يتمثل في إظهار فائض تكاليف، ويتمثل في أن تظل التكاليف تتزايد بمرور الوقت. ولو وجدت الإمكانات التكنولوجية للحد من التكاليف أو لزيادة الإنتاجية أو لإقامة اقتصاديات كبيرة فإن من المحتمل أن يجري تجاهل هذه الفرص. كما أن احتمالات استثمارها بصورة كاملة من قبل اللاسوق أقل من احتمالات استثمارها من قبل النشاطات السوقية.

وقد تنجم التكاليف الفائضة عند أي مستوى إيجابي من مستويات المخرجات السوقية، وكذلك عن صعوبة قياس المخرجات (الإنتاج)، ومن تم الحاجة والفرص الناجمة عن ذلك والتي تؤدي إلى تحديد أهداف للوكالات الحكومية قد تكون بعيدة جدا عن الأهداف المرجوة، وتحديدا العوامل الداخلية التي تصبح مقبولة كبديل عن المخرجات السوقية. وقد تستمر التكاليف الفائضة لأن النشاطات اللاسوقية تتم دون منافسة.

فالمسؤولون عن النشاطات السوقية لديهم الحوافز التي تدفعهم إلى التوسع في الإنتاج والتقليل من التكلفة بمرور الوقت بسبب المنافسة الفعلية المحتملة أو بسبب الفرص المتاحة لتحقيق المزيد من الأرباح. وعلى عكس ذلك، فإن المسؤولين عن الإنتاج اللاسوقي قد يدفعون إلى زيادة التكاليف (مثل تعيين موظفين جدد) أو زيادة المخرجات حتى ولو كانت قيمتها المضافة أقل من تكلفتها المضافة، الأمر الذي ينجم عنه تكاليف فائضة تتزايد بمرور الوقت.

**ب- العوامل الداخلية والأهداف المؤسساتية:**

ويقصد بالعوامل الداخلية (Internalities) الأهداف التي تنطبق داخل المؤسسات اللاسوقية لتوجيه وتنظيم وتقييم هذه المؤسسات وهي التي تقدم الحوافز التي تكمن وراء سلوك الأفراد

8- تشارلز وولف الابن (ترجمة علي حسين الحاج)، "الأسواق أم الحكومات -الاختيار بين بدائل غير مثالية-"، دار البشير، عمان، ط2، 1996، ص 37-44.

والسلوك الكلي داخل المؤسسة (ليس الأهداف العامة المحددة في المسؤوليات المقررة للمؤسسة، أو بالإضافة لها). وهكذا، فإذ للمؤسسات العامة أهدافها الداخلية الخاصة، وهي التي تقدم الأهداف الفعلية لها أو التي تؤثر عليها.

إن المعايير الداخلية للمؤسسات السوقية مترابطة، حتى ولو بصورة غير مباشرة، للاستجابة لامتحان السوق والاستجابة لسلوك المستهلكين أو حتى توقع ماهية هذا السلوك، وكذا للإسهام في تقليص تكاليف المؤسسة إلى الحد الأدنى المقبول. فالمبيعات والعائدات والتكاليف كلها تؤثر ماديا على المعايير الداخلية للمؤسسات السوقية.

أما المعايير الداخلية للمؤسسات اللاسوقية لا يمكن الحصول عليها من مصادر مثل سلوك المستهلكين. كما أنه نظرا لغياب المؤسسات المنافسة فإن الحوافز التي تتأتى عن المنافسة وبالتالي تطوير المعايير الداخلية التي ستتحكم في التكاليف تزداد ضعفا. وفي ظل هذه الظروف، فإن الوكالات اللاسوقية غالبا ما تقوم بتطوير أشياء داخلية لا تحمل في ثناياها أية علاقة واضحة أو يعتد بها بينها وبين الأهداف العامة الظاهرة التي يفترض أن تقوم تلك الوكالات بتحقيقها.

ومن الناحية العلمية، فإن العوامل الداخلية (أي الأهداف المؤسساتية) تصبح عناصر من بين المهام المنفعية التي يسعي العاملون في الوكالة للوصول بها إلى الحد الأقصى، ومن هنا فإن العوامل الداخلية تؤثر على نتائج النشاطات اللاسوقية بصورة متوقعة وكبيرة؛ بنفس القدر الذي تؤثر فيه المؤثرات الخارجية نتائج تلك النشاطات ويعني وجود تلك المؤثرات الخارجية أن بعض التكلفة الاجتماعية والفوائد غير داخلة في الحسابات الخاصة لصانعي القرار، ويعني وجود العوامل الداخلية أن من المحتمل أن تهيمن التكاليف والفوائد الخاصة أو المؤسساتية على الحسابات العامة لصانعي القرار. فالمؤثرات الخارجية هي محورية في نظرية فشل السوق، أما ما يجري داخل بيروقراطيات القطاع العام (أي العوامل الداخلية التي تحفز أعمالها وتؤثر على جداول أعمالها) هي محورية في نظرية فشل اللأسوق.

**ج- المؤثرات الخارجية المشتقة:**

قد يؤدي تدخل الدولة لتصحيح فشل السوق إلى خلق آثار جانبية غير متوقعة، غالبا ما تكون في مجالات بعيدة عن تلك التي يراد للسياسات العامة أن تعمل فيها.

وهذه الآثار للنشاطات اللاسوقية مشابهة ولكنها غير متطابقة مع المؤثرات الخارجية الخاصة بالنشاطات السوقية. فالمؤثرات الخارجية في مجال السوق (سواء أكانت متوقعة أم لا) لا يستطيع المنتجون السيطرة عليها، وهم يقدمون الفوائد أو يضطرون للدفع عندما يفرضون التكاليف، أما المؤثرات الخارجية في المجال اللاسوقي فهي آثار جانبية لا تتحقق عن طريق الوكالة المسؤولة عن خلق هذه الآثار، ومن هنا فهي لا تؤثر على حسابات الوكالة أو سلوكها.

كما يزداد احتمال حدوث المؤثرات الخارجية أكثر من ذلك نتيجة لخصائص الطلب والعرض المرتبطة بالمخرجات اللاسوقية، فقد تخلق الضغوط السياسية القوية لقيام التدخل اللاسوقي طلبا فعالا لاتخاذ عمل ما قبل أن يتوافر هناك معلومات مناسبة أو الوقت الكافي لدراسة الآثار الجانبية. وزيادة على ذلك، فإن المؤثرات الخارجية المشتقة من المحتمل بصورة عامة أن تحدث آجلا وليس عاجلا. ومن هنا فإن قصر مدة بقاء اللاعبين السياسيين في السلطة وحاجتهم إلى اختصار الوقت تجعلهم على استعداد لتجاهل المؤثرات المحتملة، وأخيرا فإن المخرجات اللاسوقية التي كثيرا ما يساء تحديد طبيعتها كما ونوعا، تحد من الدوافع، وكذلك من الوسائل، للتفكير الجاد حول آثارها الجانبية المحتملة.

إن تحليل التكاليف والفوائد يحاول السماح بقيام مثل هذه المؤثرات الخارجية، على سبيل المثال عن طريق احتساب الفوائد المتوقعة في المستقبل للمشاريع الكهرومائية بحيث تتضمن السيطرة على الفيضانات والري بالإضافة إلى الطاقة الكهربائية، ولكن نقاط الضعف في مثل هذه التحاليل عديدة ومعروفة، وتنجم في جزء منها، عن الطبيعة غير المتوقعة لبعض الآثار الجانبية.

والمؤثرات الخارجية المشتقة يصعب التنبؤ بها، لأن نتائج السياسات العامة قد تكون بعيدة جدا عن الأهداف التي ترمي للوصول لها. وعلى سبيل المثال، عندما وضعت معايير الانبعاثات الضوضائية من قبل وكالة حماية البيئة للتعويض عن فشل السوق في احتساب هذه الأشياء الخارجية لم يكن في الحسبان أن إحدى النتائج التي ستترتب على ذلك (أي وضع معايير الضوضاء)، هو التوتر في علاقات السياسة الخارجية الأمريكية مع كل من الفرنسيين والبريطانيين بسبب طائرة الكونكورد التجارية التي تسير بسرعة تفوق سرعة الصوت.

**د- اللا إنصاف التوزيعي:**

إن العدالة كمتطلب إلزامي قاطع يحدد أنه ما من عمل شخصي أو فردي سيكون منصفا ما لم يطبق كقاعدة عامة تحكم سلوك الآخرين. وقد تؤدي النشاطات السوقية إلى اللاإنصاف التوزيعي عادة. وهذه النشاطات سواء أكانت تهدف إلى التغلب على اللاإنصاف التوزيعي الخاص بالسوق لمعالجة عيوب الأداء السوقي هي نفسها التي تولد أنماط اللاإنصاف التوزيعي والتي غالبا ما تحمل مؤشر النفوذ والامتيازات أكثر من مؤشر الدخل والثروة[9]، وإجراءات السياسات العامة سواء قصد منها تصحيح عدم الإنصاف التوزيعي أو تنظيم إحدى الصناعات (إما بسبب مؤثرات خارجية أو بسبب زيادة العائدات)، أو إنتاج سلع عامة، أو لإصلاح عيوب سوقية تضع السلطة في أيدي البعض كما يمارسونها على الآخرين. وسواء جرت ممارسة هذه السلطة من قبل أحد العاملين الاجتماعيين أو المسؤول عن إحدى حالات المساعدة الاجتماعية أو مفوض التعريفات الجمركية، أو من يشرف على المرافق العامة، أو باحث في أحد البنوك فإن السلطة توضع عن عمد وبصورة لا مهرب منها في يد البعض ويحرم البعض الآخر منها. وقد تمارس هذه السلطة بضمير ومبادئ أخلاقية وتعاطف وكفاءة، وقد لا تمارس على هذا النحو وقد تخضع للتدقيق والتوازنات، وفق القانون أو الإجراءات الإدارية أو وسائل الإعلام، وكذلك وفق مؤسسات سياسية واجتماعية أخرى، رغم أن هذه القيود قد لا تكون فاعلة أو ناجعة وهناك أنماط من عدم الإنصاف تظهر بوضوح أقل يمكن أن تنجم عن قرارات السلطات المسؤولة عن الانتعاش الاجتماعي عند تصنيف الحالات المحتاجة ومنح المساعدة، أو حجبها عن الأسر التي لا أب لها وبها أطفال يعتمدون على أسرهم، أو الذين يحتمل حصولهم على المساعدة بسب كبر السن.

ويتأتى دور النشاطات اللاسوقية في إحداث أنماط اللاإنصاف التوزيعي، سواء انعكست هذه الأنماط على سوء توزيع السلطة أو الدخل، من خصائص الطلب والعرض المرتبطين بالمخرجات اللاسوقية.

فمن جهة الطلب، فإن الخاصية السببية الرئيسية هي الإدراك العام المتصاعد لأنماط اللاإنصاف المتولد عن السوق والضجة الناجمة عن ذلك للمطالبة ببرامج إعادة التوزيع التي يمكن أن تتولد بفعل هذه البرامج ذاتها. ومن جهة العرض، قد تنجم أنماط اللاإنصاف التوزيعي عن الاحتكار المعتاد لمخرجات اللاسوق في مجال معين. وفي غياب المنتجين المنافسين فإن أولئك الذين يشعرون بالضرر، سواء أكانوا ضحايا السلطة الإدارية العشوائية أو كانوا من دافعي الضرائب من عامة الشعب، ليس لديهم من الوسائل المباشرة والفعالة للتعبير عن عدم رضاهم إلا أقل مما هو متاح لمستهلكي المخرجات المسوقة الذين يستطيعون الامتناع عن الشراء أو التحول إلى منتجين آخرين.

وعلى عكس ذلك، فإن أولئك الذين يحققون فوائد توزيعية خاصة في النشاطات اللاسوقية من المحتمل أن يخلقوا أو يمتلكوا وسائل مباشرة وفعالة للتعبير عن تأييدهم، من خلال التأثير المنظم (جماعات الضغط) ومن خلال المطالبة أكثر مما هو متاح للمستهلكين في السوق.

---

9-Luc Weber, « L'état acteur économique », Economica, Paris, 3ème édition,1997, P 198,199.

إن هذا لا يعني أن عدم الإنصاف في السوق هو أقل مما هو عليه في اللاسوق. وعلى أية حال، فإن هذا يوحي أن هناك عملية محددة يمكن عن طريقها قيام اللاإنصاف من النشاطات اللاسوقية، بمثل ما هو واضح أن اللاإنصاف ينجم عن النشاطات السوقية كذلك[10].

### 3-3/ التكامل بين الدولة والسوق:

إن الاختيار ما بين الأسواق والحكومات أمر معقد، فعوضا عن الخيار القاطع القائل إما الأسواق أم الحكومات، هناك خيار بين مختلف الأشكال المختلطة ما بين الاثنين. فإذا كان الخيار المفضل والمسيطر في صالح السوق، فلا بد أن يظل هناك دور هام لاللاسوق (الحكومة) لأسباب تتعلق بحتمية أنماط الفشل السوقي، ويرتبط هذا الدور بشكل خاص بإنتاج السلع العامة وإقامة الظروف القانونية والبيئية الأخرى والمحافظة عليها، وهي الظروف الأساسية لأداء الأسواق.
ومن ناحية أخرى، إذا كان الخيار المفضل والمسيطر في صالح اتخاذ القرار التخصيصي عن طريق الوسائل اللاسوقية (الحكومية) فلابد أن يظل هناك دور هام للسوق. فحتى في الأنظمة المغرقة في المركزية، فإن النشاط السوقي لابد وأن يظهر في الظروف التي تكون السياسات الحكومية فيها بالغة الصرامة.

### 3-4/ الدولة والسوق حدود إستراتيجية التنمية:

لقد أثبتت تجارب الدول في النصف الأخير من القرن العشرين أن سياسات التنمية التي استندت حصرا إلى تنظيم الحياة الاقتصادية من خلال الدولة فقط أو بإلقاء العبء كاملا على قوى السوق فحسب، قد باءت جميعها بفشل ذريع.
أ- إن أنسب مثال يعبر عن فشل منطق "الدولة هي الكل" "The all state" هي تجربة روسيا الاتحادية. فلقد كان من المفترض أن ترفع مركزية السلطة الاقتصادية النمو بسرعة لتلحق بمستويات المعيشة الموجودة لدى الاقتصاديات الرأسمالية التي كان الاتحاد السوفياتي في منافسة دائمة معها. إلا أنه وبالرغم من النجاحات الأولى في تأسيس الصناعة الثقيلة وتوزيع المصالح الجماعية الأساسية، تعثر النظام السوفياتي بشبه زوال أرباح الإنتاجية، غياب المنفذ إلى الاستهلاك الجماعي والضغوطات السياسية القائمة في ظل النظام التسلطي. وقد تسببت الإصلاحات المتخذة في منتصف الثمانينات لتجاوز هذه العراقيل في أزمة بنيوية (هيكلية) رافقها انهيار تراكمي قرابة عشر سنوات.
فلقد أكدت تجربة روسيا الاتحادية أن إلغاء احتكار السلطة السياسية من حزب واحد وإلغاء التخطيط المركزي في إدارة الاقتصاد لا يكفيان بحد ذاتهما لكي يزدهر اقتصاد السوق. كما أكدت بصورة قاطعة أن السوق لا يملك خاصية إرساء ذاته بنفسه، وفي غياب دولة شرعية قادرة على وضع قواعد اللعبة الجديدة للمؤسسات والإجراءات والتشريعات تسود الفوضى وقانون الغاب.
ب- إن أحسن مثال يبين حدود منطق "السوق هي الكل" "The all market" هي تجربة التشيلي، حيث اضطرت الدولة في منتصف الثمانينات بعد أن انتهجت منهجا ليبراليا كاملا منذ سنة 1973 للتدخل لتصحيح الاختلالات الناجمة عن هذا النهج، وقامت بتطوير الهيئات العامة المعنية بترويج الصادرات وقننت تدفق رؤوس الأموال القصيرة الأجل وحافظت على تصرفها بإيراداتها من تصدير النحاس.
ج- كما أن بعض النجاحات التي حققتها دول أمريكا اللاتينية لا ترجع إلى الاستراتجيات الليبرالية التي اتبعتها، وإنما على العكس إلى مرحلة التصحيح اللاحقة التي أدخلت حدا أدنى من تدخل الدولة، وذلك باعتراف بنك أمريكا للتنمية[11].

---

10- تشارلز وولف الابن، مرجع سابق، ص 90-93.

**4/ دور ومكانة الدولة في الجزائر:**

لقد لعبت الدولة الجزائرية دورًا هامًا في الاقتصاد يمكن ملاحظته من خلال ثلاث مراحل أساسية:

***4-1/ المرحلة الأولى: منذ الاستقلال إلى نهاية الثمانينات***

في هذه الفترة كانت الدولة الجزائرية ذات حضور متعدد في كافة مجالات الحياة (الاقتصادية، السياسية والاجتماعية) حيث تبنت النظام الاقتصادي الاشتراكي وسادت بذلك عملية التخطيط التي بدأ التفكير في تطبيقها ابتداءً من سنة 1966، فعرفت مجموعة من المخططات كان أولها المخطط الثلاثي الأول (1967-1969) والذي يعتبر محاولة أولية تحضيرية في طريق نظام التخطيط والتوجيه المباشر للتنمية من طرف الدولة. وقد تلت هذا المخطط أربعة مخططات أخرى متوسطة الأجل.

وهكذا، فإن هذه المرحلة قد عرفت التدخل الواسع للدولة وتقليص دور القطاع الخاص والتضييق على المبادرة الفردية وتعطيل آليات اقتصاد السوق ومؤسساته. فسادت بذلك "الدولة الليفياتانية" "The Leviathan state" بمعنى الدولة المسيطرة على كافة المجالات.

***4-2/ المرحلة الثانية: عشرية التسعينات:***

بعد الانهيار الحاد لأسعار البترول الخام سنة 1986 المتبوع بأزمة المدفوعات الدولية، وجدت الجزائر نفسها مع نهاية سنوات الثمانينات وبداية التسعينات مجبرة على تبني سلسلة معايير تمكنها من الانتقال باقتصادها من اقتصاد مركزي وموجه ومخطط إلى اقتصاد السوق الحر. في هذا الصدد حاولت الدولة توفير ظروف أفضل للازدهار والأمن والاستقرار من خلال برامج اقتصادية واجتماعية معينة منها: إعادة الهيكلة، الخصخصة، التشغيل، التعليم، التكوين والصحة وتحسين القدرة الشرائية للمواطنين.

ففي هذه الفترة وضعت الدولة:

- برامج لتقليل دور الدولة وتشجيع القطاع الخاص؛
- تطوير اقتصاد العرض عن طريق تحرير الأسواق؛
- تراجع جزئي في المساعدات الاجتماعية؛
- تطبيقات اقتصادية نقدية (مراقبة تطور الكتلة النقدية).

وبهذا عرفت هذه المرحلة تراجعًا في دور الدولة إذ تم البحث عن طرق للخروج من الأزمة وتبني مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية (إعادة الجدولة، برنامج التعديل الهيكلي، السياسة النقدية للبنك المركزي).

***4-3/ المرحلة الثالثة: بداية الألفية الثالثة:***

شهدت هذه المرحلة عودة الدولة باتباعها سياسة كينزية تمثلت في "البرنامج الخاص للإنعاش الاقتصادي" "Special economic stimulus program" و"برنامج دعم النمو" "Program to support growth"[12].

11-Robert Boyer, « Etat, marché et développement : une nouvelle synthèse pour le XXI$^{e}$ siècle ?», www.cepremap.cnrs.fr/

12- FaridYaici, « rôle de l'état et régulation économique : aspects théoriques et référence à l'Algérie », colloque international –mécanismes, instruments et rôle de l'état et l'économie de marché en Algérie-, école supérieure de commerce, Alger, 20 Juin 2004.

*** اقتصاد السوق في الجزائر:**

تبنت الجزائر بعد الاستقلال نهجا اقتصاديا اتسم بسيطرة الدولة على معظم أوجه النشاط الاقتصادي، حيث اقترن تدخلها الذي تميزت به السنوات (1966-1986) بتدخلها المتعاظم في المجال الاجتماعي وتقديمها للخدمات العامة (الصحة، التعليم، النقل والمواصلات).
لكن، هذا النهج الاقتصادي (النظام الاقتصادي الاشتراكي) أثبت عدم فعاليته وتجانسه خاصة مع عدم قدرة القطاع العام على المساهمة بدرجة كبيرة في عملية التنمية، مما أدى إلى إعادة النظر في دور الدولة في الحياة الاقتصادية إثر الأزمة الاقتصادية التي عرفتها البلاد والتي ترجع جذورها إلى الأزمة البترولية سنة 1986.

قامت السلطات الجزائرية بالتخلي عن النظام الاقتصادي الموجه وفتحت الأبواب على مصرعيها في إطار ما يعرف بـ"اقتصاد السوق"، حيث تبنت مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية من أجل تكييف الاقتصاد الوطني مع التحولات الكبرى للاقتصاد العالمي والانتقال المتحكم فيه إلى اقتصاد السوق الذي بدأ التفكير في الانتقال إليه في الجزائر بصفة رسمية سنة 1988.

عرفت البلاد عدة إصلاحات اقتصادية ابتداء من سنة 1980 تمثلت في مجموعة من الإصلاحات الهيكلية لتنظيم الاقتصاد الوطني تمهيدًا للانتقال من اقتصاد اشتراكي مخطط مركزي وموجه إلى اقتصاد السوق. فقد تمت إعادة هيكلة المؤسسات سنة 1982 بإلغاء الشركات الوطنية وإنشاء مؤسسات صغيرة ومتوسطة مما يوحي بالتخلي التام للدولة عن هذه المؤسسات ماليا نتيجة عدم قدرة الخزينة العمومية على التكفل بخسائرها. كما أعطيت الاستقلالية المالية للمؤسسات سنة 1987.

وعرفت الجزائر أيضا عدة تصحيحات ابتداء من سنة 1989 تمثلت في إصلاح جهاز الأسعار وبالتالي رفع الدعم عن السلع الضرورية من أجل تخفيض النفقات، وانتهجت إصلاحًا ضريبيًا بإدخال نظام يتماشى مع الدخول إلى اقتصاد السوق إلى جانب هذا، اتبعت سياسة تقشفية بهدف تقليص النفقات من أجل التحكم في عجز الميزانية. ضف إلى ذلك، الإجراءات التي مست الفئات الاجتماعية المحرومة والمتمثلة في صندوق دعم هذه الفئات. وهكذا، صار التخطيط المركزي يتلاشى شيئًا فشيئًا.

وقد لجأت الجزائر من جهة أخرى إلى سياسة إصلاحية معتمدة ومدعومة من المؤسسات المالية الدولية. فاتفاقية "Standby" مع صندوق النقد الدولي تدخل في إطار الإصلاحات الاقتصادية المهيئة للتحرير الكلي للاقتصاد الوطني، وتضمنت أهدافا عديدة أهمها خصخصة المؤسسات العمومية خاصة منها التي عرفت تدهورًا كبيرًا لعجلتها الإنتاجية، الرفع من النمو الاقتصادي عن طريق تشجيع الاستثمارات وتحفيز الصادرات خارج المحروقات. بالإضافة إلى الحد من ظاهرة البطالة وخلق مناصب شغل جديدة في إطار إنشاء مؤسسات صغيرة وتدعيم المؤسسات العائلية عن طريق القروض الحكومية وكذا التحكم في نسبة التضخم ومستوى الأسعار والأجور[13].

كما طبقت الجزائر أيضا برنامج التعديل الهيكلي (1994-1998) الذي يهدف إلى تحقيق التحرير التدريجي للاقتصاد أو بالأحرى الإطلاق التدريجي للحرية الاقتصادية. فهذا البرنامج يتضمن إجراءات قابلة للتطبيق على المدى القصير ترمي إلى التقليل إلى أقصى حد ممكن من الاختلالات الاقتصادية الكلية وإلى ربط قيمة العملة بالعملات القابلة للتحويل ويتوخى التقليل من

13- سيدي محمد شقاف وعبد الرحيم بن ناصر، "تصحيح السياسة الميزانية للجزائر في ظل الانتقال إلى اقتصاد السوق"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2002-2003، ص 28، 65.

الإنفاق العمومي. أما على المدى المتوسط والطويل، فإنه يهدف إلى رفع معدلات النمو الاقتصادي وترقية الصادرات وترشيد الاستثمارات قصد رفع القدرة التنافسية للاقتصاد بأكمله[14].

إن المؤشرات المالية والاقتصادية الجزائرية قد تحسنت منذ منتصف التسعينات ويعود ذلك لسياسة التعديل الهيكلي والتي ساهمت في وضع حد لنظام التسيير الموجه الذي دام أكثر من عشرين سنة ليعطي دورًا أكبر لقوى السوق[15].

فقد نما إجمالي الناتج المحلي بنسبة 1.4% في عام 2002، وهبطت نسبة التضخم النقدي من مستوى 20% عام 1994 إلى 1.4% عام 2002، كما بلغت الاحتياطات النقدية 23 مليار دولار عام 2002.

إن الجزائر لا تزال في المرحلة الأولى من التحول إلى اقتصاد السوق وعليها:

أ- تغيير الإطار القانوني لصالح التحول للسوق الحر (قوانين الملكية والإفلاس)؛

ب- ترك تحديد الأسعار لقوى السوق (تحرير الأسعار)؛

ج- السيطرة على عجز الميزانية وإصلاح النظام السعري؛

د- تشجيع المنافسة الأجنبية وفتح الأسواق أمامها؛

هـ- جعل العملة الوطنية قابلة للتحويل.

وتتولى الدولة تنظيم اقتصاد السوق من خلال حماية المنافسة وحماية المنتجين والمستهلكين مستخدمة في ذلك عدة وسائل تتمثل في التنظيمات (القرارات التنظيمية)، الاقتطاعات الإجبارية (الضرائب)، الاقتطاعات الاجتماعية (الاشتراكات الاجتماعية) وإعادة توزيع المداخيل (منح البطالة، التقاعد...إلخ).

اتخذت الجزائر خطوات عملية أساسية في اتجاه اقتصاد السوق، فبعد التصحيح الهيكلي المفروض عليها من طرف صندوق النقد الدولي واستقرار المؤشرات الاقتصادية الكلية، دخلت في مباحثات اتفاقية الشراكة مع الاتحاد الأوربي وتقدمت بطلب الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة واتخذت خطوات بطيئة لتحرير عملتها.

ففي 25 ديسمبر 1995، قامت بتقديم طلب الانضمام إلى المنظمة العالمية للتجارة ثم قدمت مذكرة تجارتها الخارجية في جوان 1996، ثم بعد ذلك عقد أول اجتماع يومي 22 و23 أفريل 1998 بـ "جنيف" والذي من خلاله توضحت الصورة حول مدى تطابق نظام التجارة للجزائر مع الإجراءات المتضمنة في الاتفاقيات التجارية للمنظمة العالمية للتجارة.

إن الانضمام إلى هذه المنظمة يحمل في طياته إيجابيات وسلبيات، لكنه رغم ذلك أصبح واقعا حتميًا لا مفر منه. فمن إيجابياته أنه دفع الجزائر للنهوض باقتصادها عن طريق القيام بالإصلاحات الاقتصادية للمؤسسات واتباع خطوات الانتقال إلى اقتصاد السوق. وتتمثل سلبياته في تفاقم مشكل البطالة في المدى القصير نتيجة تسريح العمال من المؤسسات التي لم تستطع الصمود أمام المنافسة الأجنبية.

لدى يتوجب على الجزائر القيام بإجراءات للتخفيف من هذه السلبيات منها: إعادة تأهيل المؤسسات الجزائرية العمومية والخاصة للحصول على القدرة لمنافسة المؤسسات الأجنبية القوية، وبالتالي مراجعة كل المناهج الخاصة بتسيير المؤسسات وذلك بالاعتماد على الطرق الحديثة في إدارة الأعمال.

وفي 22 أبريل 2002، وقعت الجزائر مع الاتحاد الأوربي بـ "فلانسيا" بإسبانيا اتفاق الشراكة الذي يكرس إقرار إطار جديد للتعاون بين الطرفين بغية تعزيز العلاقات الثنائية، ويأتي هذا التوقيع النهائي بعد التوقيع الأولي في 19 ديسمبر 2001، وقد سبق هذا التوقيع عدة جولات من المفاوضات التي انطلقت في مارس 1997، ثم توقفت لتستأنف عام 2000.

---

14- حياة سعيدات ونجاح بوريش، "واقع الدول النامية في ظل تحديات اقتصاد السوق -الجزائر نموذجًا-"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2003-2004، ص 75.

15- رشيد بريكسي رقيق ومحمد بن شرقي ومحي الدين بوسعيد، "التمويل الداخلي والتنمية"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2001-2002، ص 54.

إن الجزائر اليوم تعمل على الاندماج في الاقتصاد العالمي وهذا يحتم عليها التحلي بالجرأة والشجاعة لخوض غمار المعركة أمام هيمنة العالم الخارجي، وأول ما يترتب عليها فعله هو اتباع خطوات مدروسة ورشيدة مبنية على قواعد اقتصاد السوق آخذة في الاعتبار احتياجات ومستويات التنمية. وذلك يتطلب القيام بوضع سياسة اقتصادية شاملة ومتكاملة لتتضمن المحاور الخاصة بالتنمية.

إن هذا الاندماج في السوق العالمي يتم من خلال إعادة تأهيل الاقتصاد، انتهاج سياسات تسيير فعالة، المعرفة الكافية والكاملة لميكانزمات السوق[16]، تأهيل المؤسسات وبناء القدرة التنافسية، تثمين أدوار المؤسسات الصغيرة والمتوسطة، وتشجيع الاستثمار المحلي والأجنبي. وكذلك تعديل وتحديث الهياكل الاقتصادية والاجتماعية مع إعطاء الأولوية لتشجيع وتطوير القطاع الخاص والنهوض بقطاع الإنتاج وإقامة إطار إداري ملائم لاقتصاد السوق، والعمل في نفس الوقت على التخفيف من العواقب الاجتماعية السلبية التي يمكن أن تترتب على التعديل باتباع برامج متعلقة بالفئات الأكثر احتياجًا، بالإضافة إلى إقامة آليات نقل التكنولوجيا.

كل هذه الإجراءات على الدولة أن تتبعها حتى لا تقع في خطر استيراد موضة اقتصاد السوق. ذلك، لأنه من الخطأ أن تتخذ أي خطوة قبل أن يحدد توجهها وتدرس مستلزماتها وآثارها ودون أن يتخذ الاستعداد الكافي لها.

إن اقتصاد السوق يخلق مخاطر من جهة ويفتح آفاق من جهة أخرى، ولدى من الضروري معرفة نقاط ضعف الاقتصاد الوطني والسعي لتداركها لأن الفهم الجيد لاقتصاد السوق والمعرفة الجيدة لمؤسساته وآليات عملها هي ما يمكن من تحويل الإمكانيات والفرص التي تملكها الجزائر إلى واقع مجسد وجعل الصدمات والمخاطر عبارة عن مكاسب ومنافع. وهذا يتطلب إعادة النظر في الإستراتيجيات الوطنية الشاملة والرامية إلى تحقيق التنمية المستدامة.

**** دور القطاعين العام والخاص في التنمية:***

تحتاج التنمية إلى تظافر جهود القطاعين العام والخاص، فهي تستلزم دورا فعالا للقطاع العام ومساهمة نشطة للقطاع الخاص. فالقطاع العام قادر على أن يوفر بتكلفة اقتصادية واجتماعية ملائمة البنية الأساسية اللازمة والمناخ العام المطلوب، حيث يوفر خدمات متنوعة على جبهة عريضة من الأنشطة تشمل الطاقة، النقل والمواصلات، المرافق العامة... وغيرها من الخدمات الاجتماعية الأخرى. وتؤثر كفاءة الاستثمار العام على مستوى العائد الاقتصادي من الاستثمارات الكلية المتاحة للبلاد ويتأثر بالتالي النمو الاقتصادي الإجمالي.

أما في غياب القطاع الخاص النشيط، لا تستطيع الدولة أن تدفع بمعدلات النمو الاقتصادي أو أن تحافظ على مستوياتها[17].

وبناء على هذا، وفي سبيل تحقيق التنمية ينبغي التأكيد على:

1- أهمية تفعيل دور القطاعين العام والخاص معا تفعيلا اقتصاديا ناجحا في جذب وتشجيع الاستثمار ودعمها للمؤسسات والمشاريع الصغيرة والعمل على تذليل العقبات أمامها، وكذا الحاجة الماسة لممارسة دورهما في تدريب الكوادر الوطنية والاستجابة للمنافسة العالمية ببناء وتعزيز القدرة التنافسية في الإنتاج والإدارة والتسويق.

2- ضرورة إصلاح القطاع العام والقطاع الخاص واقتصاد السوق: في ظروفنا الواقعية ليس القطاع العام عاما ولا القطاع الخاص خاصا، ولا السوق سوقا حقيقية، بل هناك الاستخدامات الخاصة الواسعة للقطاع العام والملكية الحكومية والمال العام؛ وهناك جزء كبير من القطاع الخاص يعيش فقط من الامتيازات والاستثناءات والاحتكارات غير الشرعية، وليس من الإنتاج الحقيقي والإبداع والتصدير، وأما سوقنا المحلية فلا تعرف المنافسة الخلاقة، بل يسودها الاحتكار المنظم

16- حياة سعيدات ونجاح بوريش، مرجع سابق، ص 65-67، 87.

17- عبد القادر صافي، "إشكالية خصخصة القطاع العام في الجزائر"، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1995، ص 149.

الذي يضر بالمنتج والمستهلك ويتناقض مع العقلانية. والمطلوب تشريعات وسياسات اقتصادية وإدارات جديدة تعيد القطاع العام والخاص إلى النمو على أساس من الشروط المتكافئة وإحلال المعايير الاقتصادية محل المعايير الذاتية في التعامل مع كل من القطاعين.

3- أن نظام السوق وحده لن يصنع المعجزات، ولا بد من بناء القدرات الذاتية للجزائر المؤسساتية والإدارية والتكنولوجية، وبتعاون القطاعين العام والخاص، حتى تستطيع الجزائر أن تدخل في نادي الأقوياء. فلقد آن الأوان لتنتقل الجزائر إلى العالمية والانفتاح، ولتأخذ دورها الذي تستحقه في هذا العالم الجديد. فمبادئ التنمية المستقلة التي سادت منذ السبعينات سقطت، وأصبحت قوة الدول الاقتصادية تقاس بقدرتها على المنافسة وانخراطها في النظام الاقتصادي العالمي. كذلك فإن الإصلاح الشامل والعميق لم يعد مطلبا لتعزيز عمليتي النمو والتنمية فقط، بل أصبح مطلبا لحماية الأمن القومي الذي يتعزز بالقدرة الاقتصادية[18].

**الخاتمة:**

إن الجزائر كباقي الدول تسعى للانفتاح ولأخذ الدور الذي تستحقه في هذا العالم الجديد، خاصة وأن مبادئ التنمية المستقلة التي سادت في الستينات والسبعينات والثمانينات قد سقطت، وأصبحت قوة الدول الاقتصادية تقاس بقدرتها على المنافسة وانخراطها في النظام الاقتصادي العالمي، كذلك فإن الإصلاح الشامل والعميق لم يعد مطلبا لتعزيز عمليتي النمو والتنمية فقط، بل أصبح مطلبا لحماية الأمن الوطني للجزائر الذي يتعزز بالقدرة الاقتصادية وبتعايش كل من الدولة والسوق من خلال القطاعين العام والخاص لتحقيق التنمية. زيادة على تبني سياسة اقتصادية كلية مستقرة تمكنها من استيعاب التغيرات الخارجية المتسارعة.

وإن الجزائر التي تبنت النظام الاشتراكي بعد الاستقلال والذي اتسم بتخطيط مركزي صلب أدى إلى تجميد المبادرة الفردية وتهميش القطاع الخاص، بدأت في الثمانينات بالتخفيف من حدة المركزية وذلك بإدخال أكبر مرونة في التسيير الاقتصادي أي الاتجاه نحو اللامركزية، وذلك للسعي تدريجيا إلى إعادة الاعتبار لقوانين السوق وتشجيع مبادرات الفاعلين الاقتصاديين بهدف تحقيق فعالية عوامل الإنتاج وتنمية القطاع الخاص. وفي هذا الصدد، تبنت مجموعة من الإصلاحات الاقتصادية التي تعني الانتقال من النموذج التنموي الشمولي إلى النموذج الليبرالي التحرري للتأكيد على قرار الحسم بالتحول نحو اقتصاد السوق وانفتاح الأسواق وحرية المبادلات التجارية.

وفي هذا الإطار ينبغي تأهيل القطاع الخاص ليقوم بدور مستقبلي أكثر فعالية لمواجهة الظروف والمتغيرات الاقتصادية، ويمكن أن يتحقق ذلك من خلال الاستمرار في تهيئة المناخ الاستثماري اللازم لتعميق دور القطاع الخاص في عملية التنمية، كما أصبح من الضروري الاهتمام ببرامج التخصيص الكلي أو الجزئي للشركات الحكومية وشركات القطاع العام بما يساهم في توسيع الطاقة الاستيعابية وتخفيف الأعباء الإدارية والمالية عن أجهزة الإدارة الحكومية وتحقيق الاستخدام الأمثل للكفاءات والموارد المالية المتاحة.

ففي هذا السياق، ومن خلال الدراسة التي قمنا بها والمتعلقة بدور كل من الدولة والسوق يمكننا الخروج بالنتائج التالية:

- لا يمكن تصور اقتصاد قوي في عالمنا المعاصر يتطور بمعزل عن الفعالية الوظائفية للدولة على المستوى المحلي والدولي، فجميع الاقتصاديات لعبت فيها الدولة دورا محوريا واستراتيجيا بل إن دورها يتعاظم من خلال تنوع وظائفها.

- يجب الأخذ بعين الاعتبار بعض المبادئ الأساسية عند إرساء قواعد الانتقال إلى اقتصاد السوق من بينها:

---

18- عبد الحميد ملكاني، "القطاع العام للدول النامية هل هو ضرورة أم ادعاء؟ www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=29825

- تحديد الأهداف المراد تحقيقها أو الوصول إليها؛
- العمل بسرعة متوسطة أي أن تحقيق الأهداف في ظرف قصير من الزمن سوف يشوه الخطة الاقتصادية ويخلق انحرافات عن مجمل التوجهات الاقتصادية الكبرى، فالإصلاح الاقتصادي يتطلب وقتا لوضع أسسه وتحقيق برامجه؛
- يجب ألا يكون هناك تراجع في اتخاذ أي قرار مهم.

- إن اعتماد آليات السوق يعني اعتماد آلية العرض والطلب لتحديد قيم السوق والخدمات المتبادلة فيه وتوزيع الموارد المتاحة بين القطاعات الاقتصادية. وهو لا يعني إلغاء وظيفة الدولة والسلطات الإقليمية التي تتحكم بالسياسة النقدية والمالية وتحد من تقلبات الأسعار في سبيل مرونة السوق.
- ينبغي على الدولة في ظل اقتصاد السوق أن تكون لها القدرة على إنشاء هيئات تضبيطيه تتسم بالكفاءة ووضع قواعد للعبة تتسم بالشفافية والفعالية والعمل على تطبيقها بموضوعية على جميع المتعاملين في السوق.
- إن تحقيق نتائج إيجابية لا يكون عن طريق استيراد النماذج والأساليب ولكن بتكييف هذه الأخيرة مع الواقع الداخلي والسلوكيات الاجتماعية، لأن الاستسلام للأفكار والمعادلات الرياضية المصاغة السهلة التطبيق قد يخفي وراءه الكثير من المجاهيل.
- ينبغي أن تكون الأسواق تحت المراقبة والمتابعة، وأن تتدخل الدولة للتحكم بمساراتها لا أن تلغيها، وأن تساعد في تحسين عملها من خلال توفير البيانات وتيسير الحصول عليها.
- إن السلطة السياسية في الجزائر تريد المرور إلى اقتصاد السوق في ظرف زمني قياسي جدا على غرار الرغبة السياسية في التصنيع السريع التي كانت لدى أصحاب القرار في عقد السبعينات، لكن التحول إلى اقتصاد السوق ينبغي أن يقام بالتدرج المكثف والمدروس وأن يتلازم مع تعميق جهود التنمية حتى يساعد على الاستفادة من الفرص التي تتيحها عملية الانفتاح.
- إن نجاح الدولة في الارتقاء بالاقتصاد الوطني يكون بتبني نظام اقتصادي يقوم على آليات السوق والمنافسة ويلعب فيه القطاع الخاص دورا رئيسيا، إلى جانب قيام الدولة بدور فعال وواع لزيادة معدلات الاستثمار وزيادة درجة الاعتماد على الذات وإحداث تغيرات هيكلية لإقامة مجتمع صناعي يتجه نحو التصدير، كما تقوم بمسؤولياتها في الإشراف والرقابة والتوجيه وتسعى إلى تأكيد البعد الاجتماعي للتنمية وتحقيق عدالة في التوزيع والمساواة في الفرص.
- ينبغي قيام كل من القطاعين العام والخاص بدورهما في عملية التنمية، بحيث يكون للقطاع الخاص دورا مهما في تنفيذ خطة التنمية وتنفيذ الاستثمارات اللازمة مقابل أن يتركز دور القطاع العام في الفروع الإستراتيجية التي ترتفع فيها كفاءته وإيجاد صيغ للمشاركة والتسيير بينه وبين القطاع الخاص المحلي والأجنبي.

**التوصيات والاقتراحات:**

بناء على دراستنا لهذا الموضوع وانطلاقا من النتائج التي توصلنا إليها، يمكن أن نقدم التوصيات والاقتراحات الآتية:

1. ضرورة المرور من سياسة اليد الحديدية للدولة إلى سياسة الدولة المنظمة والمؤطرة، فعلى السلطات العمومية أن تلعب دورا تنظيميا كأداة جديدة لمراقبة حركية الاقتصاد وهذا لقيادة الإصلاحات ومحاربة الرشوة والتهرب الجبائي والسوق غير الرسمي.

2. ضرورة قيام الدولة بدور استراتيجي لتكييف الاقتصاد الوطني وتأهيل منظومته الاقتصادية المؤسسية من أجل تعظيم مصلحة الاقتصاد على المستويين القطري والدولي، بالإضافة إلى توفير بيئة صالحة لتنمية الاستثمار الخاص وتشجيع المنافسة وضبط الاحتكار وتوفير الهياكل الأساسية اللازمة.
3. ضرورة اعتماد سياسة عمومية شاملة واستراتيجية فيما يتعلق بالقيام بالتحولات اللازمة قصد التحكم في تكاليف الانتقال إلى اقتصاد السوق والاندماج في الاقتصاد العالمي مع عدم التسرع في الانتقال إلى نظام السوق والخروج من نفق السياسات الاقتصادية الحالية.
4. ضرورة إعادة هيكلة الإطار المؤسسي والجهاز الإداري بما يتواءم مع اقتصاد السوق وتيسير ممارسة القطاع الخاص لنشاطه ورعاية مصالحه.

هذا ويبقى مفتاح التطور والخروج من بوتقة التخلف واللحاق بركب التنمية يتمثل في العمل الجاد على تحريك الطاقات الكامنة واتباع منهجية واضحة الأسس سليمة المنطلقات في عملية الإصلاح مبدؤها الأساسي ينطلق من الإجابة عن التساؤل "من نحن؟". فالنموذج السليم للتنمية يبقى دائما بحاجة إلى مشاركة المواطنين وتوفير البيئة الملائمة وتحسين تسيير الأمور الاقتصادية.

**المراجـــع:**


1/ بريكسي رقيق رشيد وبن شرقي محمد وبوسعيد محي الدين، "التمويل الداخلي والتنمية"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2001-2002.

2/ سعيدات حياة وبوريش نجاح، "واقع الدول النامية في ظل تحديات اقتصاد السوق -الجزائر نموذجًا-"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2003-2004.

3/ شقاف سيدي محمد وبن ناصر عبد الرحيم، "تصحيح السياسة الميزانية للجزائر في ظل الانتقال إلى اقتصاد السوق"، مذكرة ليسانس، كلية العلوم الاقتصادية وعلوم التسيير والعلوم التجارية، جامعة تلمسان، 2002-2003.

4/ صافي عبد القادر، "إشكالية خصخصة القطاع العام في الجزائر"، مذكرة ماجستير، معهد العلوم الاقتصادية، جامعة الجزائر، 1995.

5/ عدون ناصر دادي، "اقتصاد المؤسسة"، دار المحمدية العامة، الجزائر، ط2.

6/ محرزي محمد عباس، "اقتصاديات المالية العامة"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2003.

7/ وولف (الابن) تشارلز (ترجمة علي حسين الحاج)، "الأسواق أم الحكومات -الاختيار بين بدائل غير مثالية-"، دار البشير، عمان، ط2، 1996.

8/ Bouzidi Abdelmadjid, « comprendre la mutation de l'économie Algérienne », société nationale de comptabilité, 1992.

9/ Bruno Alain, « Sciences économiques et sociales », ellipses, Paris, 2001.

10/ « Mécanismes, instruments et rôle de l'état et l'économie de marché en Algérie, colloque international, école supérieure de commerce, Alger, 20 juin 2004.

11/ Weber luc, « l'état acteur économique », économica, Paris, 3ème édition, 1997.

12/ www.cepremap.fr

13/ www.mafhoum.com

14/ www.rezgar.com

**********

**أمارابك**: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 55-68**

# الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية: دراسة ميدانية على بعض الجامعات الجزائرية

***ناصري محمد الشريف*** (*)

**الملخص:** تناولت هذه الدراسة أحد أهم مشكلات العصر، وهي الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية في بعض المعاهد الجزائرية. ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الوصفي بصورته المسحية، حيث تم اختيار عينة طبقية عشوائية قوامها 145 طالبا وزعت عليها أداة الدراسة وهي استبانة مكون من 30 فقرة موزعة على خمس أبعاد رئيسية، تم التأكد من صدقها وثباتها. وبعد تحليل النتائج التي تم جمعها، تبين أن الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية كانت مرتفعة. كما بينت النتائج عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيا تعزى إلى متغيري المستوى الدراسي في الجامعة ومكان السكن. كما بينت النتائج أيضا عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائيا تعزى إلى متغير الجامعة إلا البعد الثالث والذي يمثل التاريخ؛ فلقد سجلنا فروقا ذات دلالة إحصائية لصالح طلبة جامعة سوق أهراس مقارنة بطلبة جامعة باتنة. وقد اقترح الباحث مجموعة من التوصيات من أهمها ضرورة الاهتمام بالمناهج الخاصة بمعاهد التربية البدنية والرياضية بحث تكون قادرة على تعزيز الهوية الثقافية.

**الكلمات المفتاحية**: الهوية الثقافية، الطلبة التربية البدنية والرياضية.

# Cultural identity among the students of physical education and sports: a field study on some Algerian universities

***Nasri Mohamed Chérif***

**Abstract:** *This study examined one of the most important problems of the times, a cultural identity among the students of physical education and sports in some institutes of Algeria. The sample included (145) students from the Institute of 'Batna' and the Institute of 'Souk Ahras'. The researcher used a questionnaire to measure the cultural identity of students. The research found that the students had strong cultural identities. There were no statically signifying differences between students due to 'the study level' variable. Concerning the variable of university, there were no statically signifying differences between the students of both universities, except for the third dimension 'history', there were statically signifying differences for the students of souk Ahras University compared to the students of Batna University. Concerning the variable of 'location of residence', there were no statically signifying differences between the students of physical education and sports.*

**Key words***: cultural identity, students of physical education and sports.*

(*) معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية، جامعة محمد الشريف مساعدية، طالب دكتوراه في جامعة الجزائر 3، nasrisport@yahoo.fr

**المقدمة:**

الهوية الثقافية، ذلك الطرح الذي أرّق الكثير في عصر العولمة ؛ فكلما أنعمنّا النظر في الواقع الذي نعيشه، في مختلف مستوياته، وبما يحفل به من تناقضات تتصارع وأزمات متصاعدة، نجد أن الخطر الأكبر الذي يتهدد الأمم والشعوب في هذا العصر، هو ذلك الذي يمس الهوية الثقافية والذاتية الحضارية، والشخصية التاريخية للمجتمعات الإنسانية في الصميم، والذي قد يؤدي- إذا استفحل- إلى ذوبان الخصوصيات الثقافية. [1] فكل مجتمع متميز بطابَعه: له خصائصه المتميزة التي قد لا يشترك فيها معه غيره من الشعوب، فهو بحد ذاته تاريخ وحضارة، لغة ودين ومعتقدات، تراث وعادات وتقاليد... لذا فان لكل شعب هوية ثقافية تميزه عن غيره، هذه الهوية لها مستوياتها التي تتحد وفق إطار مرجعي له. فالشعوب في سعيها في تحديد معنى لهويتها الثقافية، إنما تعي ذاتها، وتعي تفرَّدَها، مدركة أن التباين في الهويات الثقافية هو الذي يتيح ثراءً في المحتوى الثقافي العالمي، وأن هذا التباين يستلزم قدرا كبيرا من التسامح للالتقاء والحوار بين الأمم والشعوب. وهنا يصبح الكشف عن منابت الهوية الثقافية واستجلاء محتوياتها أمرا لا مناص منه للحفاظ على هذه الهوية الثقافية التي تتمتع بخصائص لصيقة بها، تميزها عن غيرها من الثقافات، وهذه الخصائص راسخة، بيد أنها غير جامدة أو مغلقة، نسبية غير مطلقة، وهذا سر قدرتها على التجدد والاستمرار[2].

**إشكالية الدراسة:**

تعد الجامعة كغيرها من المؤسسات الاجتماعية عرضةً لتلك التغيرات الهائلة التي شملت العالم المعاصر الذي اخترقته عدة أيديولوجيات وأفكار ومحْدَثات فكريّة متنوعة، مصحوبة بمجموعة من المتقلبات الثقافيّة والاجتماعيّة والعلميّة، التي لم تترك مجالا من مجالات الحياة إلا اخترقته، بحيث ألقت بظلالها على جميع فئاته سواء أكانوا طلبة جامعيين أم أساتذة أم باحثين أكاديميين. ولمّا كان التعليم الجامعيّ أحد أدوات نقل الثقافة القومية والمحافظة عليها وتنقيتها وتطويرها، بما يؤديه من دور حاسم في تشكيل الشخصية القومية لدى الطلاب، والمحافظة عليهم من الانحراف الفكري وتحقيق الأمن والحفاظ على الهوية الثقافية من الذوبان في ثقافات الغير، مما يتطلب أن يكون على درجة كبيرة من الوعي بذاته، وبما يحيط به من ثقافات وعادات تكرّس الهوية الثقافية وعلى درجة كبيرة من الوعي بمتغيرات العصر، مما شكّل إحساسا شديدا بالتخوف من أن نفقد هويتنا وأن نفقد شبابنا وطلابنا في ظل الثقافات المستوردة وتيارات الانحراف الفكري الجارفة [3]. ولما كان الأمر كذلك، فإن اجتهادات كثيرة قدمت في مجال تفسير ودراسة الشباب الجامعي وثقافته في الدول العربية ؛ توزعت ما بين الدعوة إلى اعتبار الشباب يمثلون ثقافة فرعية تحمل سماتها وتوقعاتها وقيمها المتفردة[4].

كما إن (علي حرب) يرى أن مشكلة الهوية الثقافية، عندنا، إنما تكمن في المقام الأول، لا في قوى العولمة أو غزو الأمركة، بل لدى أهل الهوية وحماتها من النخب المثقفة. 5

و انطلاقا مما سبق نطرح الإشكالية التالية:

ما مستوى الهوية الثقافية والأبعاد المؤثرة فيها لدى طلبة التربية البدنية والرياضية؟

**أهداف الدراسة:**

- التعرف على مستوى الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية.
- التعرف على الأبعاد المؤثرة في الهوية الثقافية لدى الطلبة.
- التعرف على الفروق في مستوى الهوية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية تبعا لمتغير المستوى الدراسي في الجامعة.

- التعرف على الفروق في مستوى الهوية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية تبعا لمتغير مكان السكن (داخل مراكز الولايات، وخارج مراكز الولايات)

**أهمية الدراسة:**

تعد هذه الدراسة إحدى الدراسات التي تهتم بالهوية الثقافية لدى طلبة الجامعات في المجتمعات العربية، بصفة عامة، والجزائرية، بصفة خاصة، حيث تسلط الضوء حول العلاقة بين الهوية الثقافية عند شريحة من الشرائح الخاصة في الإقليم الجامعي، وهم طلبة التربية البدنية والرياضية، حيث لم يعنوا بكثير من الدراسة من قِبَل الباحثين، نظرا لحداثة هذا الاختصاص في بعض الجامعات الجزائرية من جهة، وكذلك ضيق أو قصور النظرة إلى مثل هذا النوع من المجالات الأكاديمية في الوطن العربي من جهة أخرى، بالإضافة إلى أن عديد الدراسات توجهت نحو المشكلات الخاصة بالمدربين أو أساتذة التربية البدنية والرياضية في المدارس، متجاهلة الطلبة الذين هم أساتذة المستقبل وبالتالي معالجة المشكلات قبل استفحالها، ومن هنا يتبين حساسية هذا الاختصاص نظرا إلى كونه جزءا من التربية العامة بحكم أن طلبة التربية البدنية ستكون شريحة كبيرة منهم أساتذة المستقبل، فهم ناقلون للمعرفة، وللثقافة إلى الأطفال والمراهقين، مما تضفي أهمية على موضوع. فكيف لهذا الأستاذ المستقبلي أن يعطي دروسا تحوي معاني عظمى وسامية للمجتمع مثل المواطنة، والقيم، والهوية، والتعاليم الأخلاقية في إطار تربوي، إذا كان هو فاقدا لها... ولذا فان هذا البحث يركز على دراسة الطالب وهو متلقٍّ للمعرفة قبل أن يصبح ناقلا لها من خلال مشكلة الهوية.

**الفرضية العامة:**

- يعاني طلبة التربية البدنية والرياضية من مستوى منخفض في الهوية الثقافية.

**الفرضيات الجزئية:**

- لا توجد فروق دالة إحصائيا بين طلبة التربية البدنية والرياضية ترجع إلى المستوى الدراسي في الجامعة.
- لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الهوية الثقافية ترجع إلى متغير الجامعة.
- توجد فروق دالة إحصائيا بين طلبة التربية البدنية والرياضية ترجع إلى متغير مكان السكن.

**التحديد الإجرائي للمفاهيم والمصطلحات:**

**الهوية الثقافية:** إذا ما أردنا تعريف الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، فهي القدر الثابت والجوهري، والمشترك من السمات والقَسَمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات، والتي تجعل الشخصية الوطنية أو القومية طابعا تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى[6].

- أما الباحث فيعرفها بأنها ذلك التفرد الثقافي الذي يميز كل شعب من الشعوب عن غيرها من المجتمعات العالمية، إلا أنها تتدرج من المستوى الشخصي إلى الأسري إلى المجتمعي إلى الوطني إلى الإقليمي... دون تحديد طبيعة هذا التفرد، لأنه يشمل الكثير من الأبعاد طبقا لكل مستوى من المستويات.

**طلبة الجامعة:** هم تلك الفئة من المجتمع المتابعة لتحصيلها العلمي بعد حصولها على الثانوية العامة.

- أما طلبة التربية البدنية والرياضية، وهم فئة الشباب الذين يزاولون الدراسة في المعاهد التي تكوِّن الطلبة بمختلف تسمياتها "معهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية " أو "معهد التربية البدنية والرياضية".

**الدراسات السابقة:**

- دراسة عدوي (2008) "دراسة للهوية الثقافية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى طلاب الجامعة"[7] تهدف هذه الدراسة إلى تعرف العلاقة بين الهوية الثقافية المصرية وبعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى الشباب الجامعي، كما تهدف إلى الكشف عن الفروق بين الطلاب الدارسين باللغة العربية والطلاب الدارسين بلغة أجنبية خريجي مدارس اللغات، والطلاب الدارسين باللغات الأجنبية على مقياس الهوية الثقافية ومقياس الرفاهة النفسية، ومقياس تقدير الذات الجماعي. وكذلك التعرف على الأثر الذي يلعبه المستوي الاقتصادي والاجتماعي في إدراك الفرد لهويته الثقافية وشعوره بجوانب الصحة النفسية الإيجابية وتقديره لذاته وللجماعة التي يعيش فيها. وتكونت عينة الدراسة النهائية من 385 طالبا وطالبة، مع اعتماد مقياس الهوية الثقافية متعدد الأبعاد (من إعداده)، ومقياس تقدير الذات الجماعي (من إعداده) ومقياس الرفاهة النفسية (إعداد كارول ريف Ryff، تعريب الباحث)، وذلك بعد التأكد من صدق وثبات هذه الأدوات. وأسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطيه موجبة ودالة ما بين درجات طلاب العيِّنة على مقياس الهوية الثقافية كدرجة كلية، وأبعاد ودرجات نفس الطلاب على مقياس تقدير الذات، ومقياس الرفاهة النفسية كدرجة كلية وكأبعاد. كما توجد فروق ذات دلالة إحصائية ما بين متوسطات درجات الطلاب الدارسين باللغة العربية ومتوسطات درجات الطلاب الدارسين باللغة الأجنبية خريجي مدارس اللغات على مقياس الهوية الثقافية كدرجة كليّة وكأبعاد لصالح الطلاب الدارسين باللغة العربية.

دراسة كنعان (2008) " الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة". [8] و تستهدف الدراسة تحديد مشكلات الشباب المعاصرة وبيان أسبابها، والوقوف عند نظرة الشباب الجامعي إلى مفهوم الهوية الثقافية، وبيان أثر العولمة في الشباب الجامعي، وتحديد الرؤية المستقبلية لديهم، وبلغت عينة البحث 500 طالب من طلبة جامعة دمشق، ولهذا الغرض قام الباحث بتصميم استبانه خاصة تضمنت ثلاثة محاور ركزت على معرفة اتجاهات الشباب الجامعي إلى مفهوم الهوية الثقافية، والعولمة، والمشكلات التي يعاني منها الشباب الجامعي وسبل مواجهتها، وأخيرًا نظرة الشباب الجامعي إلى المستقبل. وتوصلت الدراسة إلى أن أهم أسباب اتجاه الشباب المعاصر نحو العولمة وأزمة الهوية لديهم هي المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأخلاقية والسياسية والذاتية الشخصية، فضلا عن توقف عند أسباب هذه المشكلات التي يعود بعضها إلى جوانب عدة منها :الأسرة والجنس والمهنة والهوية والإدمان والاغتراب واللامبالاة.

دراسة السيد (2008) "العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية من وجهة نظر الشباب الجامعي"[9] و فيها حاول الباحث التعرف على انعكاسات العولمة على هوية شباب المجتمع المصري ميدانياً، وذلك من خلال تحقيق أهداف الدراسة والتي تمثلت في: تحليل العلاقة بين العولمة والهوية الثقافية، والكشف عن آراء الشباب الجامعي المصري حول انعكاسات العولمة على هويتهم الثقافية في مجالات اللغة، المظهر الخارجي، العلاقة بين الجنسين، الإعلام، التعليم، القيم. وقد استخدم الباحث استبانه اشتملت على (40) عبارة غطت المحاور الستة السابقة. وتكونت عينة الدراسة من (778) طالباً وطالبةً. وكان من أهم نتائجها موافقة أفراد العينة بصورة مجملة على أن عبارات الاستبانه تعكس أفكارهم واتجاهاتهم وسلوكياتهم نحو هويتهم الثقافية التي لا تتأثر كثيراً بانعكاسات العولمة. وأوضحت النتائج أيضاً أن أكثر العبارات التي اتفق أفراد العينة على أنها تدعم هويتهم الثقافية وليس للعولمة انعكاسات سلبية عليها هي عبارة "ديننا وثقافتنا مصدر قوتنا" التي تنتمي لمحور

القيم، وأن عبارة "ساعدت الانترنت والفضائيات على إلغاء الحواجز بين الخصوصيات الثقافية" التي تنتمي لمحور الإعلام هي أكثر العبارات تأثراً بانعكاسات العولمة عليها، ومن ثم، تؤثر على هويتهم الثقافية سلبياً. وفي ضوء نتائج الدراسة ركز التصور المقترح على دور التربية بصفة عامة، والتعليم والإعلام بصفة خاصة، في تعزيز الهوية الثقافية لدى شباب الجامعات المصرية والحفاظ عليها من تداعيات العولمة.

دراسة الحايك (2001) "الهوية الثقافية في مناهج كليات التربية الرياضية في الجامعات الأردنية في عصر العولمة"[10] و قد هدفت الدراسة إلى معرفة مدى تضمين المناهج في كليات التربية الرياضية بالجامعات الأردنية للقيم التربوية المشكلة للهوية الثقافية العربية الإسلامية، كذلك مدى اكتساب الطلبة لتلك القيم خلال دراستهم المنهجية، تبعا لمتغيرات الجامعة والمستوى الأكاديمي والجنس. تكونت عينة الدراسة من (520)طالبا وطالبة موزعين على الجامعات الأردنية الرسمية الأربع وتم اختيارهم بالطريقة القصدية، كما تم تصميم استبانه تكونت بصورتها النهائية من ستة أبعاد و(48) فقرة تعكس القيم التربوية. أسفرت نتائج التحليل الإحصائي عن إجماع الطلبة على انخفاض مستوى القيم التربوية المتضمنة في مناهج كليات التربية الرياضية بالجامعات الأربع. وجاءت القيم التربوية الاجتماعية بالمركز الأول من حيث درجة اكتسابها من قبل الطلبة، ودرجة تضمينها في المناهج، يليها على التوالي القيم الجمالية والوطنية والأخلاقية والإنسانية، وأخيرا العقلية. كما أظهرت النتائج عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين الطلبة الذكور والطالبات الإناث تبعا لمتغير الجنس، ولم تظهر فروق -أيضا- تبعا لمتغير الجامعة، فيما ظهرت فروق بين استجابات الطلبة تبعا لمتغير المستوى الأكاديمي.

دراسة السيد (2006) "أنماط الهوية الثقافية في كتب اللغة الإنجليزية بالتعليم قبل الجامعي". [11] وفي هذا الإطار، قام الباحث بتحليل مضمون كتب اللغة الإنجليزية في التعليم قبل الجامعي للكشف عن أنماط الهوية الثقافية المتضمنة فيها ؛و في ضوء هذا، استهدفت الدراسة التحليل النظري لمفهوم الهوية الثقافية، ومقوماتها، والعوامل المؤثرة عليها، وأنماطها للتعرف على دور التربية في تأصيل أنماط الهوية الثقافية لدى الطلاب. وتوضيح العلاقة بين تعلم اللغات وتأصيل الهوية الثقافية. وتحليل كتب اللغة الإنجليزية بمراحل التعليم قبل الجامعي للكشف عن مدى تناولها لأنماط الهوية الثقافية. ووضع رؤية حول تعزيز الهوية الثقافية الإسلامية وتنميتها لدى الطلاب من خلال كتب اللغة الإنجليزية التي تدرَّس بمراحل التعليم قبل الجامعي. لتحقيق الأهداف السابقة، استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، معتمدة على أسلوب تحليل المضمون بغية التعرف على أنماط الهوية الثقافية المتضمنة في كتب اللغة الإنجليزية بالتعليم قبل الجامعي، وبعد تحديد فئات المضمون الرئيسة والفرعية، وكذلك فئات الشكل، ووحدات التحليل، تمثلت أهم نتائج تحليل مضمون كتب اللغة الإنجليزية بالتعليم قبل الجامعي: جاء ترتيب أنماط الهوية الثقافية في كتب اللغة الإنجليزية بالتعليم قبل الجامعي على النحو الآتي: النمط المصري، فالأجنبي، ثم العام، ثم العربي، فالإسلامي. وتحيز كتب اللغة الإنجليزية للثقافة الأجنبية وتمجيدها مقابل تهميش الثقافة العربية والإسلامية وكذلك المصرية التي غلبت عليها الفرعونية. و بعد تفسير نتائج الدراسة، تم عرض بعض المقترحات التي يمكن من خلالها تدعيم أنماط الهوية الثقافية، وخاصة الإسلامية.

دراسة الثويني (2009) "دور المؤسسات التعليمية في المحافظة على الهوية الثقافية للطفل العربي في ظل تحديات العولمة" [12] و طرح الباحث الإشكالية التالية: ما دور المؤسسات التعليمية في المحافظة على الهوية الثقافية للطفل العربي في ظل تحديات العولمة؟ وأسفرت الدراسة عن عدد من النتائج من أهمها: أن ظاهرة العولمة قد حدثت في الماضي وأن الغرب يسخرها من أجل فرض سياساته المختلفة ومن أهم سياساته تهميش الهوية الوطنية والثقافية تمهيدا لتحقيق الأهداف الاقتصادية. وأن للعولمة أدوات عديدة أسهمت وتسهم في انتشارها كصندوق النقد الدولي والبنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية والشركات المتعددة الجنسية كذلك ساعدت ثورة الاتصالات والمعلوماتية على انتشار هذه الظاهرة في الوقت الحالي. وأن للعولمة تأثيرات كبيرة على الموارد

البشرية عن طريق التأثير في تنشئة وتنمية هذه الموارد من خلال تقليص الإنفاق على التعليم. وخرجت الدراسة بعدد من التوصيات من أهمها: إبراز إيجابيات الإسلام وعالميته وعدالته وحضارته وثقافته وتاريخه للمسلمين قبل غيرهم، ليستلهموا أمجادهم ويعتزوا بهويتهم. وتنشيط التفاعل والحوار الثقافي العربي مع ثقافات الأمم الأخرى وأن نثري ثقافتنا العربية الإسلامية بما نراه ينفعنا ولا يضرنا من الثقافات الكونية الأخرى، وفي الوقت نفسه نعرف تلك الثقافات العالمية بما لنا من تراث وتقاليد وقيم اجتماعية عريقة، مع ضرورة التمسك التام والمحافظة الكاملة على الهوية الإسلامية المُميزة التي ينفرد بها النظام التعليمي في الدول العربية، والحرص على إيجاد تصور إسلامي لهيكل النظام التعليمي المُستمد من مُعطيات تُراثنا الفكري الإسلامي الصحيح.

دراسة الشرقاوي (2002) "أساليب تعزيز الهوية في مواجهة الهيمنة الثقافية، رؤية معاصرة لإدارة التعليم في عصر العولمة". [13] هدفت الدراسة إلى الكشف عن آليات تعزيز الهوية العربية والإسلامية لمواجهة الهيمنة الثقافية في ضوء الرؤية المعاصرة للتعلُّم في زمن العولمة. واستخدمت المنهج الوصفي التحليلي النقدي، وتوصلت الباحثة إلى نتائج منها: سيطرة أمريكا على الواقع الدولي، وتفردها بزعامة العالم، وتكثيف دعاياتها للقبول بهيمنة الحضارة الغربية من خلال النظام الجديد. وكما أشارت الباحثة إلى أن الكثير من القيم الثقافية في حاجة إلى تطوير وتجديد. وإن مفهوم الثقافة والهوية الثقافية هما جزء أساسي من الهوية القومية. وفي ضوء تلك النتائج قدمت الباحثة مقترحات كان منها: على إدارة التعليم مسؤولية الحفاظ على الهوية الثقافية وتعزيزها من خلال تنشئة الطلاب على أيديولوجية الجماعة ومقوماتها. والاهتمام بالإعداد الثقافي للمعلم. وأن تفسح المناهج مكانا أكثر للدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما جوهر الهوية الثقافية. د- دراسة تأثير المخرجات الثقافية على البيئة المحيطة.

دراسة مجاهد (2001) " بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع، ودور التربية في مواجهتها ". [14] هدفت الدراسة إلى محاولة فهم ظاهرة العولمة، ومتابعة تجلياتها المتنوعة، وتقديم تصور مقترح لدور التربية في مواجهة مخاطر العولمة الثقافية. وتوصلت الدراسة إلى أن العولمة عملية مركبة لها أبعادها ومظاهرها المختلفة، وأن هناك شعورا بالاغتراب نتيجة استيراد نماذج ثقافية غربية، وأن هناك ضعفا في الانتماء الوطني وزيادة في التفكك الداخلي، كما إن هناك أهمية لضرورة بلورة إستراتيجية تربوية تسمح للمجتمع بإعظام الفائدة من إيجابيات العولمة، وتحجيم سلبياتها. وقد اقترح الباحث إعادة النظر في مناهج التعليم، وتربية المتعلمين في إطار متوازن بما يكسبهم القدرة على تحليل المعلومات وانتقائها.

دراسة الأغا (2001) " التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته ". [15] ؛ حيث هدف البحث إلى التعرف على مستوى التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بالجامعات وعلاقته بمتغير (الجنس، الكلية، مكان السكن). كما هدف إلى تحديد أسباب التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني وسعى إلى وضع صيغة تربوية لمواجهة التلوث الثقافي والحد منه. ولتحقيق هدف الباحثين أعد استبانه لقياس التلوث الثقافي موزعة على ثلاثة مجالات (المعتقدات والأفكار، السلوك العام، المظهر العام)، وقد تم تطبيقها على عينة من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بنسبة بلغ عددها (129) تم اختيارها بطريقة عشوائية طبقية لتمثل متغيرات الجنس. وقد تبين أن نسبة التلوث الثقافي لدى شباب المجتمع الفلسطيني من وجهة نظر أعضاء هيئة التدريس بلغت (63.15%) وتبين وجود فروق في تقدير أعضاء هيئة التدريس لمستوى التلوث الثقافي يُعزَى لمتغير الجنس لصالح الإناث، وكذلك وجود فروق لصالح الكليات الإنسانية بينما لم يوجد فروق دالة في الجانبين الأول والثاني، كما تبين عدم وجود فروق دالة إحصائياً تعزى لمتغير مكان السكن.

**تعقيب على الدراسات السابقة:**
بعد استعراض الدراسات السابقة، توصل الباحث إلى أن موضوع الهوية الثقافية قد حظي باهتمام كبير من طرف الباحثين العرب وخاصة لدى طلبة الجامعات، حيث تم دراسته من عدة نواحٍ سواء أكان ذلك من حيث المناهج المطبقة أم من حيث علاقتُها ببعض المتغيرات الأخرى. ولقد ربطت عديد الدراسات مشكلة الهوية الثقافية ببروز ظاهرة العولمة والتأثير الذي أحدثته داخل هذه المجتمعات. ولقد استعان الباحث بهذه الدراسات والنتائج التي تم التوصل إليها في عملية بناء الاستبيان والفرضيات، وكذلك مناقشة وتحليل النتائج. وتنفرد هذه الدراسة عن غيرها في أنها تدرس طلبة التربية البدنية والرياضية بصفة خاصة، وهي الفئة التي لم تحظَ بعديد الدراسات على المستوى العربي إلا في القليل النادر، من بينها دراسة (صادق الحايك) التي تناولت المناهج المطبقة في كلية التربية الرياضية. حيث أكدت معظم الدراسات السابقة على أهمية ترسيخ مبادئ الهوية الثقافية لدى طلبة الجامعات.

**منهج البحث:**
إن طبيعة مشكلة الدراسة تقتضي اعتماد المنهج الوصفي التحليلي في دراسة متغيرات البحث، لأننا بصدد تقرير لوضعٍ راهنٍ ومحاولة الكشف عن الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية، وكذلك علاقة كل منها ببعض المتغيرات الأخرى. حيث إن المنهج الوصفي هو" المنهج الذي يبحث عن الأوصاف الدقيقة للعمليات والظواهر، ويقوم على تصوير الوضع الراهن ويحدد العلاقات التي توجد بين الظواهر "[16].
كما يعتمد المنهج الوصفي على جمع البيانات وتصنيفها، ومحاولة تفسيرها وتحليلها من أجل قياس ومعرفة أثر وتأثير العوامل على هذه الظاهرة محل الدراسة، بهدف استخلاص النتائج ومعرفة كيفية الضبط، والتحكم في هذه العوامل[17].

**الدراسة الاستطلاعية:**
إن إجراء الدراسة الاستطلاعية يعد أمرا ضروريا في كثير من البحوث، باعتبارها القاعدة الأساسية للبحث الميدانيّ، وتعمل على تعميق المعرفة بالموضوع المدروس، والكشف عن جوانبه المختلفة، وبالتالي تحدد الإطار العام الذي تجري فيه الدراسة الميدانية. كما تهدف الدراسة الاستطلاعية إلى تحقيق مجموعة من الأهداف يمكن حصرها في ما يلي:
أ- التأكد من الخصائص السيكومترية للمقاييس (صدق وثبات المقاييس).
ب- محاولة التعرف أكثر على مجتمع الدراسة الميدانية.
ج- تحديد الطريقة المناسبة لجمع المعلومات واختيار العينة.
د- محاولة اكتشاف الصعوبات والعوائق التي يمكن أن تعترض الباحث قبل الشروع في الدراسة الميدانية.

**المجتمع:**
مجتمع الدراسة هم كل الطلاب الذين يزاولون الدراسة في السنة الأولى والثانية والثالثة بمعهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بجامعة (سوق أهراس) وجامعة (باتنة) شرق الجزائر والذين بلغ عددهم حسب الإحصاءات الأولية 1325 طالبا.

**عينة الدراسة وخصائصها:**
إن اختيار العينة من أهم المشكلات التي تواجه الباحث فالنتائج العلمية تتوقف على مدى تمثيل العينة للمجتمع الأصلي وجميع فئاته، حيث إن العينة هي ذلك الجزء من المجتمع، التي يجري اختيارها وفق قواعد وطرق علمية بحيث تمثل المجتمع تمثيلا صحيحا، حيث إن استعمال العينة يوفر الكثير

من الوقت والجهد على الباحث، ويسهل الوصول إلى النتائج بسرعة[18]. أما عينة الدراسة فتكونت من145 طالبا اختيروا بالطريقة العشوائية الطبقية، وكانت خصائصها كما يلي:

جدول رقم (1) يبين خصائص عينة الدراسة.

| المتغيرات / الإحصاءات | المستوى الدراسي | | | مكان السكن | | الجامعة | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | السنة الاولى | السنة الثانية | السنة الثالثة | داخل الولاية | خارج الولاية | سوق أهراس | باتنة |
| العدد | 49 | 53 | 43 | 47 | 98 | 69 | 76 |
| النسبة | .33 %79 | .29 %65 | .36 %55 | .32 %41 | .67 %59 | .47 %59 | .52 %41 |

**أدوات الدراسة:**

أعد الباحث استبانه، تتكون من 30 عبارة، وقد تم التأكد من صدقه وثباته بعدة طرق كما سيأتي، حيث بعد الاطلاع على مجموعة من المراجع النظرية والمقاييس التي لها علاقة بالهوية الثقافية أو أحد أبعادها الفرعية تم تشكيل استبيان في صورته الأولية وتم عرضها على مجموعة من المحكَّمين من أجل إبداء الرأي فيها.

ويتكون الاستبيان في صورته النهائية من 5 أبعاد فرعية كلٌّ منها يتكون من مجموعة من العبارات والجدول التالي يوضح ذلك:

جدول رقم (2):يوضح أبعاد استبيان الهوية الثقافية والعبارات الخاصة بكل بعد

| الأبعاد | رقم العبـــــــارة (البند) |
|---|---|
| 1- العادات والتقاليد | 01- 06 - 11- 16 - 21 - 26 |
| 2- الانتماء | 02- 07 - 12 - 17- 22- 27 |
| 3- التاريخ | 03- 08 - 13- 18- 23- 28 - 30 |
| 4-اللغة | 04- 09 - 14- 19- 24 |
| 5- العقائدي الديني | 05- 10- 15- 20- 25- 29 |

طريقة التصحيح: يتم تصحيح الاستجابات في اتجاه الهوية الثقافية وفق طريقة ليكرت إلى خمس درجات كالتالي: أوافق تماما= 5 أوافق =4 غير متأكد=3 لا أوافق = 2 لا أوافق تماما= 1

أما العبارات التي تصحح عكس اتجاه الاستبيان فهي على التولي: 1- 04- 08 – 09-10- 17- 19- 23- 24- 25- 26- 27-29.

و تصحح: أوافق تماما=1، أوافق=2، غير متأكد=3، لا أوافق=4، لا أوافق تماما=5

حيث إن الطالب الذي يتحصل على درجات خام عالية، دل ذلك على مدى تمسك الفرد بهويته الثقافية، وكلما زاد في أحد الأبعاد الفرعية، دل ذلك أن شعوره في ذلك البعد هو المسيطر، كما يمكن أن يزداد في بعد واحد فرعي أو قد يزداد في عدة أبعاد معا. وتم تقسيم مستويات الهوية لدى الطلبة إلى:

- ضعيف =[30-60[
- متوسط=[60-90[
- مرتفع=[90-120[
- مرتفع بدرجة كبيرة=[120-150].

**الخصائص السيكومترية:**

1- **الصدق**: وتم فيه عرض استبيان الهوية الثقافية على مجموعة من المحكمين المتخصصين والذين بلغ عددهم 07 محكَّما، وذلك لإبداء الرأي في العبارات ومدى وضوحها من حيث مستوى الفهم

وخلوها من الغموض، وأن البنود تقيس ما وضعت لأجله وفي ضوء ذلك يتم تعديل العبارة التي يتم الحكم عليها بأنها غير مناسبة والإبقاء على البنود المتفق عليها من طرف المحكمين.

**2- الثبات:** وتم التأكد من ثبات المقياس عن طريق معامل ألفا كورنباخ والذي بلغ 0. 754 وهو معامل عالٍ وذلك ما يؤكد أن المقياس يعطي نفس النتائج إذا ما أعيد تطبيقه.

**الوسائل الإحصائية:**

بعد مرحلة التطبيق، تم تفريغ بيانات الاستبيانات الصالحة لغايات الدراسة والمستوفية الإجابة في الحاسب الآلي بغرض تحليلها ومعالجتها عن طريق البرنامج الإحصائي للعلوم الاجتماعية (SPSS)، لما لهذا البرنامج من مزايا في توفير الوقت والجهد ودقة الحسابات.

**نتائج الدراسة:**

- **الفرضية العامة:** يعاني طلبة التربية البدنية والرياضية من مستوى منخفض في الهوية الثقافية.

وللتأكد من صحة الفرضية تم حساب المتوسطات الحسابية والنسب المئوية لاستبيان الهوية الثقافية ككل لدى طلبة التربية البدنية والرياضية، حيث تبين أن مستوى الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية كان مرتفعا حيث بلغ المتوسط الحسابي **(117,48)** بنسبة مئوية تقدر بـ **(78,32 %).**

وهو ما ينفي الفرضية القائلة أن طلبة التربية البدنية والرياضية يعانون من مستوى منخفض في الهوية الثقافية.

- **الفرضية الجزئية الأولى:** لا توجد فروق دالة إحصائيا بين طلبة التربية البدنية والرياضية ترجع إلى المستوى الدراسي في الجامعة.

و للإجابة على هذا التساؤل، تم استخدام تحليل التباين أحادي الاتجاه والجدول التالي يبين النتائج المتحصل عليها:

جدول رقم (3): يوضح المتوسطات الحسابية لكل بعد من أبعاد الدراسة تبعا لمتغير المستوى الدراسي في الجامعة:

| أبعاد الهوية الثقافية | السنة الاولى | السنة الثانية | السنة الثالثة | كل السنوات |
|---|---|---|---|---|
| العادات والتقاليد | 23,29 | 23,36 | 23,51 | 23,38 |
| الانتماء | 23,26 | 23,53 | 23,72 | 23,50 |
| التاريخ | 28,04 | 28,49 | 28,09 | 28,22 |
| اللغة | 17,63 | 17,55 | 17,51 | 17,56 |
| العقائدي الديني | 25,02 | 24,57 | 24,88 | 24,81 |
| الهوية الثقافية الكلية | 117,24 | 117,49 | 117,72 | 117,48 |

**جدول رقم(4): يوضح الفروق في مستوى الهوية وأبعادها تبعا لمتغير المستوى الدراسي في الجامعة:**

| أبعاد الهوية الثقافية | مصادر التباين | مجموع المربعات | درجات الحرية | متوسط المربعات | قيمة (ف) | مستوى الدلالة | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العادات والتقاليد | بين المجموعات | 1,205 | 2 | ,603 | ,049 | ,952 | غير دال |
| | داخل المجموعات | 1750,933 | 142 | 12,331 | | | |
| الانتماء | بين المجموعات | 4,839 | 2 | 2,419 | ,256 | ,775 | غير دال |
| | داخل المجموعات | 1343,410 | 142 | 9,461 | | | |
| التاريخ | بين المجموعات | 6,146 | 2 | 3,073 | ,197 | ,821 | غير دال |

| | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| | داخل المجموعات | 2212,792 | 142 | 15,583 | | | |
| اللغة | بين المجموعات | ,364 | 2 | ,182 | ,021 | ,979 | غير دال |
| | داخل المجموعات | 1201,264 | 142 | 8,460 | | | |
| العقائدي الديني | بين المجموعات | 5,555 | 2 | 2,778 | ,315 | ,730 | غير دال |
| | داخل المجموعات | 1250,417 | 142 | 8,806 | | | |
| الهوية الثقافية الكلية | بين المجموعات | 5,208 | 2 | 2,604 | ,019 | ,981 | غير دال |
| | داخل المجموعات | 19502,958 | 142 | 137,345 | | | |

التعليق: يتبين من خلال الجدول رقم (03)عدم وجود فروق دالة إحصائيا بين الطلبة ترجع لمتغير المستوى الدراسي في الجامعة وذلك حيث كانت قيمة "ف" غير دالة إحصائيا إن بالنسبة للهوية الثقافية ككل أو بالنسبة إلى أحد أبعادها الخمسة.

**الفرضية الجزئية الثانية:** لا توجد فروق دالة إحصائيا في مستوى الهوية الثقافية ترجع إلى متغير الجامعة.

ومن أجل هذا تم حساب اختبار الفروق (T) بين طلبة التربية البدنية لجامعة (سوق أهراس) وجامعة (باتنة) والجدول التالي يوضح النتائج المتحصل عليها:

جدول رقم (5) يوضح الفروق في مستوى الهوية وأبعادها الخمسة بين طلبة جامعة سوق أهراس وطلبة جامعة باتنة.

| أبعاد الهوية الثقافية | المتغير (الجامعة) | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجات الحرية | قيمة (ت) | مستوى الدلالة | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العادات والتقاليد | باتنة | 22,95 | 3,29 | 143 | -1,573 | ,118 | غير دال |
| | سوق أهراس | 23,85 | 3,66 | | | | |
| الانتماء | باتنة | 23,09 | 3,11 | 143 | -1,681 | ,095 | غير دال |
| | سوق أهراس | 23,94 | 2,96 | | | | |
| التاريخ | باتنة | 27,50 | 3,88 | 143 | -2,357 | ,020 | دال إحصائيا |
| | سوق أهراس | 29,01 | 3,84 | | | | |
| اللغة | باتنة | 17,82 | 2,79 | 143 | 1,096 | ,275 | غير دال |
| | سوق أهراس | 17,29 | 2,99 | | | | |
| العقائدي الديني | باتنة | 24,41 | 3,01 | 143 | -1,749 | ,082 | غير دال |
| | سوق أهراس | 25,26 | 2,84 | | | | |
| الهوية الثقافية الكلية | باتنة | 115,76 | 11,71 | 143 | -1,876 | ,063 | غير دال |
| | سوق أهراس | 119,36 | 11,35 | | | | |

من خلال الجدول السابق، يتبين أنه لا توجد فروق في مستوى الهوية الثقافية الكلي لدى طلبة التربية البدنية والرياضية بين طلبة جامعة سوق أهراس وطلبة جامعة باتنة، كما يظهر من خلال الجدول السابق وجود فروق دالة إحصائيا في متغير التاريخ وذلك عند مستوى دلالة تقدر بـ (0. 05) ودرجة حرية تقدر بـ (143) وهذا لصالح طلبة (سوق أهراس) والذين كانوا أكثر تمسكا بهذا المكوِّن من الهوية الثقافية حيث سجلنا متوسط حسابي يقدر بـ (29. 01) وهو أعلى من طلبة باتنة والذي قدر بـ (27. 50).

**الفرضية الجزئية الثالثة:** توجد فروق دالة إحصائيا بين طلبة التربية البدنية والرياضية، أبعادها ترجع لمتغير مكان السكن.

وللإجابة على هذا التساؤل تم استخدام اختبار (ت) للعينات المستقلة الغير متساوية العدد والجدول التالي يوضح النتائج:

جدول رقم (6): يبن الفروق في مستوى الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية تبعا لمتغير مكان السكن:

| أبعاد الهوية الثقافية | المتغير | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | درجات الحرية | قيمة (ت) المحسوبة | مستوى الدلالة | التقدير |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| العادات والتقاليد | مراكز الولايات | 23,36 | 3,67 | 143 | -,042 | ,967 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 23,39 | 3,41 | | | | |
| الانتماء | مراكز الولايات | 23,21 | 2,83 | 143 | -,772 | ,441 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 23,63 | 3,17 | | | | |
| التاريخ | مراكز الولايات | 28,21 | 4,064 | 143 | -,017 | ,987 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 28,22 | 3,88 | | | | |
| اللغة | مراكز الولايات | 17,30 | 3,17 | 143 | -,772 | ,442 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 17,69 | 2,75 | | | | |
| العقائدي الديني | مراكز الولايات | 25,13 | 3,23 | 143 | ,886 | ,377 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 24,66 | 2,81 | | | | |
| الهوية الثقافية الكلية | مراكز الولايات | 117,21 | 10,96 | 143 | -,188 | ,851 | غير دال |
| | المناطق المحيطة | 117,60 | 12,00 | | | | |

يبين الجدول أنه لا توجد فروق دالة إحصائيا بين الطلبة التربية البدنية والرياضية تبعا لمتغير مكان السكن (داخل مقر الولاية/خارج مقر الولاية) حيث إن قيمة (ت) لم تكن دالة إحصائيا وهو ما يؤكد عدم الاختلاف في مستوى الهوية بين طلبة التربية البدنية والرياضية.

**مناقشة النتائج**

من خلال نتائج الدراسة، يتبن أن طلبة التربية البدنية والرياضية لديهم شعور مرتفع بالهوية الثقافية، وهو ما خالف العديد من الآراء التي ترى أن شباب هذا العصر يعانون من أزمة هوية ثقافية نتيجة لمخرجات العولمة الثقافية مثل ما تشير إلى ذلك دراسة مجاهد (2001)، ودراسة الثويني (2009) التي بينت أن ظاهرة العولمة قد حدثت في الماضي وأن الغرب يسخرها من أجل فرض سياساته المختلفة ومن أهم سياساته تهميش الهوية الوطنية والثقافية تمهيدا لتحقيق الأهداف الاقتصادية. وهو ما يشير إليه كذلك (عزيز الطائي) الذي يرى أن العولمة بشكلها الثقافي تعمل على اقتحام البنى الثقافية والحضارية لشعوب العالم تحت دعوى التوحيد الثقافي، والذي يؤدي إلى تصدع الهوية الثقافية في البلدان النامية والمستهلِكة التي تتأثر بالعولمة [19]. حيث تعد ثقافة العولمة التي تنبثق من الحداثة المادية، بخصائصها تلك، تحتوي على مخاطر عديدة تتهدد الهوية والثقافة، وهو الأمر الذي يستدعي تقوية العلاقة بين العنصرين الرئيسين من عناصر الكيان الوطني للأمم والشعوب، لان في الحفاظ عليهما وقاية من السقوط الحضاري[20]. وبالتالي، فان طلبة التربية البدنية والرياضية ما زالوا محافظين على هذه الروابط وأن مخرجات العصر لم تؤثر عليهم بشكل كبير كما انه. وتؤكد هذه الدراسة ما توصل إليه (محمد عبد الرؤوف)، في إحدى الدراسات التي تؤيد الدراسة الحالية، حول شباب الجامعة في كون هويتهم الثقافية لا تتأثر كثيراً بانعكاسات العولمة عليها، حيث أوضحت النتائج أيضاً أن أكثر العبارات التي اتفق أفراد العينة أنها تدعم هويتهم الثقافية وليس للعولمة انعكاسات سلبية عليها هي عبارة "ديننا وثقافتنا مصدر قوتنا"[21].

كما يرى (و ليد أحمد وعماد عبد الله)، في بحثهم نقلا عن بعض العلماء، أن العولمة الثقافية عملية شاملة يشارك بها الجميع... فوجود نمط ثقافي عالمي لا يعني القضاء على الأنماط الثقافيــة الوطنية والقومية، بل ربما يؤدي إلى المزيد من تأكيدها. [22]

اما كنعان (2008) فقد بين في دراسته ان أهم أسباب اتجاه الشباب المعاصر نحو العولمة وأزمة الهوية لديهم هي المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والدينية والأخلاقية والسياسية والذاتية الشخصية.

ومن هنا، يمكن الإشارة إلى أن طلبة التربية البدنية والرياضية ليسوا في منأى عن هذه التجليات إلا أن هناك مقاومة لها وخاصة أن مكونات الهوية - قيد الدراسة- تمثل أهم ثوابت الأمة العربية والتي تتشكل من الدين، واللغة، والتاريخ والعادات والتقاليد، والانتماء، حيث إن هذه الثوابت هي أبعاد جوهرية في ثقافة الأمة العربية خاصة. وفي هذا الإطار، يشير (الطيب التيزيني) إلى دور الهوية في الشخصية العربية وإلى أن الهوية هي ذات الشخص، بحيث إذا انتزعت منه فقد شخصيته، ولذلك فهي تعني الشيء ذاته، المجتمع ذاته، الأمة ذاتها؛ فإذا انتزعت منها صارت شيئا آخر... حيث إن الهوية لمجتمع ما تتأسس فيه من خلال علاقاته الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية والدينية، ويضيف الباحث: أن هذه الهوية لها تاريخ بحيث لا تنشأ دفعة واحدة، فهويتنا - نحن العرب المعاصرين- الآن، ليست هوية تم إنتاجها في مرحلتنا الراهنة فحسب، ولا في سياق التطور التاريخي فقط، وإنما، أيضا، هي في إطار تراثنا العريق، وهذا دون أن ننسى الانتماء الذي يمثل الوجه الآخر للهوية، والذي يعتبر بأنه الشعور الذي يوجد لديهم منذ الصغر ويقوى من خلال نشأة الفرد والذي يترجم من خلال أفعال تتسم بالولاء لهذه المجتمعات التي ينتمون إليها دون سواها. [23]

كما يشير(صمويل هنتنجتون) إلى أن "اللغة والدين هما العنصران الرئيسيان في أي ثقافة أو حضارة "[24]. ويؤكد (كمال يوسف) إن "اللغة القومية وحدها تسمو بالفكر.... فالذي يتنازل عنها يتنازل عن جوهره، والتربية الصحيحة لا تنازل عنها مطلقا، ولا تتساهل في هذا المجال، بل تسهر بحذر على أن تتبوأ اللغة القومية مركزا يليق بها... فلا أمة واعية بدون لغة قومية، إن اللغة القومية هي لغة الأمة كلها"[25]. كما يمكن الاشارة الى ان الدراسة في معاهد التربية البدنية والرياضية في الجزائر يتم تلقيها باللغة العربية وهو ما يعزز مكانة اللغة كأحد مكونات الهوية الثقافية للطلبة وهو ما يشير إليه عدوي (2008) إلى مدى تأثير الدراسة باللغة العربية على درجة الهوية لدى الطلبة حيث توصل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية ما بين متوسطات درجات الطلاب الدارسين باللغة العربية ومتوسطات درجات الطلاب الدارسين باللغة الأجنبية خريجي مدارس اللغات على مقياس الهوية الثقافية كدرجة كليّة وكأبعاد لصالح الطلاب الدارسين باللغة العربية.

ومن الامور التي يجب اخذها بعين الاعتبار في مستوى الهوية الثقافية لدى الطلبة هي المناهج التي يتم من خلالها تلقي المعرف في الجامعة، وطبيعة القيم التي تتضمنها مثلما يشير الى ذلك الحابك (2001) حيث توصل الى ان درجات القيم داخل المناهج تتفاوت بحسب اكتسابها من خلال الطلبة.

كما توصلت الدراسة إلى أن طلبة التربية البدنية لم يكن هناك فروق بينهم في مستوى الهوية وأبعادها في كل من متغير المستوى الدراسي ولا مكان السكن حيث لم نسجل دلالة إحصائية. أما في ما يخص متغير الجامعة أي الجامعة التي زاول بها الطلبة الدراسة، فلقد كانت هناك دلالة إحصائية في متغير (التاريخ) وهذا لصالح طلبة سوق أهراس، وفي هذا الإطار، فإن الباحث يرى أن هذا قد يرجع إلى البيئة أو المحيط الجامعي بحد ذاته الذي يزاول فيه الطلبة الدراسة، وكذلك المناطق التي جاء منها الطلبة واختلاف التنشئة في كل منطقة من هذه المناطق وفي هذا، تشير (كرستين نصار) إلى أن "... معرفة أثر التاريخ في تكوين الفرد يقودنا إلى الحديث عن المجتمع وتركيبة البنية الاجتماعية كمظهر آخر معبر عن أثر التاريخ في تكوين الفرد"[26]. وتضيف (كرستين نصار) أن "الإنسان في كل زمان ومكان له ثقافته وتراثه الاجتماعي المكونان من مجموعة من المعرفة والمعتقدات والفن واللغة والدين والعادات والتقاليد و... التي يكتسبها الفرد بكونه عضوا في مجتمع معين، لذا من غير المعقول التفكير بدراسة الإنسان المنفرد إذ يتوجب، قبل كل شيء، البحث في تأثير الحياة الاجتماعية في نفسه وفي تكوينه المتكامل " [27].

وعلى هذا الأساس فان الهوية الثقافية لأي شريحة من شرائح المجتمع تتأثر بالعوامل المحيطة، وبكل بعد من الأبعاد والمكونات التي تشكلها، وتخشى العديد من المجتمعات العربية من التلوث

الثقافي الذي قد يصيب شبابها نتيجة لثقافات الدخيلة عليها مثل ما أشارت إليه دراسة الأغا (2001).

**الاستنتاج:**

تعد الهوية الثقافية في مختلف المجتمعات هي أساس التميز الحضاري لها، بل هي أساس التفرد عن غيرها من الشعوب، لذا تعمل كل مؤسسات الوطن الواحد على الحفاظ عليها من الذوبان داخل مخرجات كل عصر من العصور، وذلك من خلال بث قيم الانتماء لذلك المجتمع بمختلف أعراقه.

وفي هذا الإطار، نحن بصدد التكلم على الهوية الثقافية التي تخص وطنا من الأوطان دون تحديد للهوية المميزة لأعراقه، لأن التنوع الثقافي بحد ذاته ثراء للهوية الثقافية داخل المجتمع الواحد، الذي لابد أن لا تفرقه العرقيات أو الهويات الإثنية، كما يجب عدم إلغاء ثقافة هذه الفئات، حتى لا يكون هناك تضارب داخل المجتمع الواحد. كما إن منظومة التعليم العالي بمختلف مؤسساتها داخل هذا الوطن يجب أن تعمل على الحفاظ على الهوية الثقافية له، ودراسة ومتابعة هذه الهوية لدى الطلبة والعاملين والأساتذة على حد سواء، وكذلك من خلال المناهج التي تلقنها للطلبة الذين هم إطارات المستقبل المعوَّل عليهم في بناء الأمة.

**التوصيات والمقترحات:**

1- إجراء دراسات وملتقيات تُعنَى بالهوية الثقافية في المجتمعات العربية.

2- مقاومة تجليات العولمة الثقافية داخل المجتمعات العربية من أجل الحفاظ على الهوية من الذوبان.

3- إعادة صياغة المناهج الخاصة بمعاهد علوم وتقنيات النشاطات البدنية والرياضية بحيث تكون قادرة على تعزيز الهوية الثقافية لدى طلبة التربية البدنية والرياضية.

4- إحياء الثقافة المحلية والوطنية في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي من أجل تعزيز قيم الانتماء والولاء.

5- ضرورة ضمان جودة عالية للتعليم والتكوين العربي في مجال علوم الرياضة وفق أطر حديثة لا تتنافى مع ثقافته.

**هوامش الدراسة:**

[1]- عبد العزيز عثمان التويجري (2004): العالم الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، ص43

[2]- محمد إبراهيم عيد(2002): الهوية والقلق والإبداع، دار القاهرة، مصر، ص13.

[3]- محمد بن احمد عوض(1430 هـ):دور الجامعات العربية في تحقيق الأمن الفكري وتعزيز الهوية الثقافية لدى طلابها "دراسة مقارنة مع الجامعات الصينية"، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الأول للأمن الفكري، جامعة الملك سعود، الرياض، 22-25 جماده الأول، ص8

[4]- نفس المرجع، ص13

[5]- علي حرب(2004):حديث النهايات، ط2، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ص17

6- عبد العزيز عثمان التويجري: مرجع سابق ذكره، ص47

[7]- طه ربيع طه عدوي خليفة(2008) دراسة للهوية الثقافية وعلاقتها ببعض المتغيرات النفسية والاجتماعية لدى طلاب الجامعة، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس.

[8]- أحمد علي كنعان(2008): الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة، مجلة جامعة دمشق، عدد خاص دمشق عاصمة الثقافة، دمشق، سوريا، ص ص 409-439

[9]- محمد عبد الرؤوف(2008): العولمة وانعكاساتها علي الهوية الثقافية من وجهة نظر الشباب الجامعي، مجلة التربية، كلية التربية – جامعة الأزهر، العدد 137، الجزء الثالث، ص ص 165- 245.

[10]- صادق خالد الحايك(2011): الهوية الثقافية في مناهج كليات التربية الرياضية في الجامعات الأردنية في عصر العولمة، مجلة دراسات، العلوم التربوية، المجّلد38 ، ملحق4 ، الجامعة الأردنية، ص ص1470 – 1484.

[11]- محمد عبد الرؤوف (2006): أنماط الهوية الثقافية في كتب اللغة الإنجليزية بالتعليم قبل الجامعي، رسالة دكتوراه غير منشورة كلية التربية بالقاهرة – جامعة الأزهر.

[12]- يوسف بن محمد الثويني (2009): دور المؤسسات التعليمية في المحافظة على الهوية الثقافية للطفل العربي في ظل تحديات العولمة، مجلة رسالة الخليج العربي العدد (114).

[13]- الشرقاوي، مريم إبراهيم(2001): أساليب تعزيز الهوية في مواجهة الهيمنة الثقافية، رؤية معاصر لإدارة التعليم في عصر العولمة، بحث مقدم إلى مؤتمر التعليم وإدارته في مواجهة الهيمنة الثقافية، ص 167-179.

[14]- محمد إبراهيم عطوة مجاهد (2001): بعض مخاطر العولمة التي تهدد الهوية الثقافية للمجتمع ودور التربية في مواجهتها، مجلة مستقبل التربية العربية، مجلد 7، ص ص 157- 206.

[15]- محمود خليل أبو دف ومحمد عثمان الأغا (2001): التلوث الثقافي لدى الشباب في المجتمع الفلسطيني ودور التربية في مواجهته، مجلة الجامعة الإسلامية، غزة، المجلد 9، العدد 2، ص ص 375-424.

[16]- ديوبولد فاندلين (1986):مناهج البحث في التربية وعلم النفس، ترجمة نبيل نوفل وآخرون، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ص312

[17]- رابح تركي(1984): مناهج البحث في علوم التربية وعلم النفس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 23.

[18]- عبد المجيد لطفي(1976): علم الاجتماع، الطبعة 7، دار المعارف، القاهرة، ص 353.

[19]- عزيز الطائي(2011): ثقافة الطفل بين الهوية والعولمة، ط1، منشورات مؤسسة الدوري للثقافة والإبداع، البحرين،، ص25

[20]- عبد العزيز عثمان التويجري: مرجع سابق ذكره، 2004، ص58

[21]- محمد عبد الرؤوف (2008): العولمة وانعكاساتها علي الهوية الثقافية من وجهة نظر الشباب الجامعي، مجلة التربية، كلية التربية، جامعة الأزهر، العدد 137، الجزء 3، ص ص 165- 245.

[22]- وليد احمد مساعدة، عماد عبد الله الشريفين (2010):العولمة الثقافية "رؤية تربوية إسلامية"، مجلة الجامعة الإسلامية، 18، العدد 01، ص255

[23]- الطيب تبزيني (1999): الواقع العربي وتحديات قرن جديد، مؤسسة شومان، عمان، الأردن، ص38

[24]- صامويل هنتنجتون (1999): صدام الحضارات "إعادة صنع النظام العالمي"، ترجمة طلعت الشايب، ط2، ص98

[25]- كمال يوسف الحاج (1978): فلسفة اللغة، دار النهار للنشر، بيروت، ص152

[26]- كرستين نصار(1991): الإنسان والتاريخ، ط1، مطبعة جروس برس للنشر، طرابلس لبنان، ص 64

[27]- نفس المرجع، ص 64

**أمارابك**: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 69-78**

# نماذج الاستثمار في السودان

***محمد حسن محمود فرج*** (*)
***فائزة محمد الحسن خليل***
***منصور أحمد المنصور***

**الملخص**: تهدف هذه الدراسة إلى الحصول على نموذج رياضي يمثل دالة الاستثمار في السودان. واعتمدت الدراسة على بيانات الاستثمار ومحدداته (الناتج المحلي الإجمالي، سعر الصرف، معدل الانفتاح التجاري، تكلفة التمويل، التضخم) في الفترة (1980-2009). تم تحليل هذه البيانات من خلال البرنامجين الإحصائيين (SPSS, E-VIEWS). توصلت الدراسة إلى نموذج نصف لوغاريتمي يربط بين الاستثمار من جهة وكل من (الناتج المحلي الإجمالي، سعر الصرف، تكلفة التمويل، معدل الانفتاح التجاري) من جهة أخرى. كما توصلت إلى وجود اتجاه عام طردي للاستثمار عبر الزمن تمثله الدالة (Ln(I)=5.91 + 0.34t). وأوصت الدراسة بالاهتمام بالاستقرار الاقتصادي وتشجيع الاستثمار واستخدام النماذج القياسية لتحديد محددات الاستثمار في كل ولاية في السودان.

**الكلمات المفتاحية**: الاستثمار، نماذج الاستثمار، السودان.

# Models of Investment in Sudan

***Mohamed Hassan Mahmoud Farg***
***Faiza Mohamed ElHassan Khalil***
***Mansoor Ahmed El Mansoor***

**Abstract**: The aim of this study is to obtain a mathematical model to represent a function of investment in Sudan. The study relied on data of investment and its determinants (GDP, exchange rate, trade openness rate , cost of finance , inflation) during the period (1980-2009). SPSS and E- VIEWS programs were used to analyze the data. The study reached to half logarithm model links between investment on one hand and each of (GDP, exchange rate, cost of finance, trade openness rate) on the other hand, also the study reached to positive trend represented by (LN I=5.91 + 0.34t). The study recommended that to attention to economic stability and encourage investment, and to use mathematical models to identify the determinants of investment in every state in Sudan

.

**Keywords**: investment, models of investment, Sudan.

(*) أستاذ مشارك-إحصاء-جامعة شقراء (ثادق)، المملكة العربية السعودية -جامعة أم درمان الإسلامية، السودان،

## 1- المقدمة

### 1-1 مشكلة البحث:

على الرغم من الاهتمام والتشجيع الذي تقدمه الدولة لدفع عجلة التنمية الاقتصادية والذي يتمثل في رفع كفاءة النشاط الاستثمار ي في السودان إلا أنه لم يحقق المستويات ودرجة الكفاءة المطلوبة منه. ولأهمية دراسة الاستثمار وارتباطه بالتنمية الاقتصادية وطبيعة العلاقة المباشرة والمؤثرة على معدل النمو الاقتصادي كل ذلك يشجع على إخضاع العلاقة بين الاستثمار ومحدداته المتمثلة في (الناتج المحلي الإجمالي، سعر الصرف، معدل الانفتاح التجاري، تكلفة التمويل، التضخم) للدراسة الكمية بالوصف والتحليل بالأساليب القياسية الحديثة.

### 1-2 أهداف البحث:

تتلخص أهداف هذا البحث في الآتي:

1. معرفة أهم المتغيرات الاقتصادية التي تؤثر على تدفق الاستثمار في السودان، وتحديدها بشكل كمي يسهل لواضعي السياسات الاقتصادية اتخاذ القرارات الاستثمارية المناسبة.
2. السعي لإيجاد نماذج قياسية تسهم في شرح علاقة المحددات الاستثمارية واتجاهاتها تستخدم للتبوء بسلوك الاستثمار.

### 1-3 فروض البحث:

1. عدم وجود علاقة ذات دلالة إحصائية - عند مستوى دلالة ($\alpha = 0.05$) - بين محددات الاستثمار المذكورة أعلاه وسلوك الاستثمار في السودان.
2. لا توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم الاستثمار في السودان والزمن.

### 1-4 أهمية البحث:

تأتي أهمية هذا البحث من افتقار المكتبة السودانية من الدراسات الكمية المتعلقة بالنظرية الاقتصادية ونمذجة المتغيرات الاقتصادية الكلية وخاصة الاستثمار باعتباره أحد مرتكزات التنمية والنمو. وكذلك تظهر أهمية هذا البحث في استخدام أكثر من أسلوب إحصائي في تحليل بيانات الدراسة. وأيضاً تأتي أهمية هذا البحث في الحصول إلى علاقة مثلى بين الاستثمار ومحدداته توضح خارطة الاستثمار للدولة والمستثمرين على حد سواء.

### 1-5 حدود البحث ومصادر البيانات:

تشتمل حدود البحث على:

(أ) حدود زمنية: يتناول البحث دراسة وتحليل العلاقة بين الاستثمار ومحدداته لفترة 30 سنة من 1980 – 2009.

(ب) حدود مكانية: اعتمد البحث في جميع بيانات الدراسة على البيانات والإحصاءات المنشورة الصادرة من بنك السودان والجهاز المركزي للإحصاء والمجلس الأعلى للاستثمار بالسودان.

### 1-6 منهجية البحث:

استخدم في هذا البحث المنهج الوصفي لوصف البيانات المتعلقة بالبحث وصفاً إحصائياً يهدف لتكوين رؤية تشكل المسار الذي يسير عليه البحث. والمنهج الإحصائي التحليلي في تحليل البيانات.

**1-7 الأدوات المستخدمة في البحث:**
تم الاعتماد على المراجع الإحصائية والاقتصادية في الجانب النظري، وفي الجانب الوصفي والتحليلي استخدمت الحزم الإحصائية الجاهزة(EVIEWS – SPSS) للوصول إلى أهداف البحث والتحقق من فرضيات الدراسة والتوصل إلى نتائج وتوصيات علمية وموضوعية تساعد في اتخاذ القرارات الاستثمارية بالسودان.

**1-8 الدراسات السابقة:**
هناك العديد من الدراسات السابقة في مجال الاستثمار منها:
1/ دراسة قياسية لمحددات الاستثمار في السودان، كتبها د. طارق محمد الرشيد، كلية النصر التقنية، (مجلة كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية) جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الثاني 2009م، وفيها تناول الباحث محددات الاستثمار في السودان للفترة من (1990-2007م)، وقام بتحليل بيانات متغيرات الدراسة باستخدام تحليل الانحدار، وتوصلت الدراسة إلى نموذج قياسي للاستثمار في السودان.

2/ دراسة ماجستير بعنوان: (مشكلة الارتباط الذاتي في بعض متغيرات الاقتصاد السوداني (1970-2007م) إعداد/ ذو النون محمد حامد عثمان، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا (2006). وفيها تناول الباحث مشكلة الارتباط الذاتي ومسبباته وطرق معالجته ومعرفة تأثير العوامل المحددة للاستثمار في السودان، واتبع الباحث المنهج الوصفي لوصف متغيرات الدراسة والمنهج الاستدلالي وتمثلت فرضية الدراسة في وجود علاقة سببية بين الاستثمار والعوامل المؤثرة عليه (الضرائب، الواردات، الدخل القومي، الاستثمار للسنوات السابقة، سعر الصرف)، وتوصلت الدراسة إلى أن الاستثمار يمكن أن يمثل بمعادلة خطية مع العوامل المؤثرة عليه، وأن أفضل نموذج للاستثمار في السودان هو النموذج الذي يكون فيه الاستثمار دالة في (الواردات، الاستثمارات السابقة) وكذلك توصلت الدراسة إلى وجود مشكلة الارتباط الذاتي في النموذج.

3/ دراسة قياسية لسلوك الاستثمار في الجمهورية العربية السورية، كتبها د. ممدوح الخطيب الكسواني، قسم الاقتصاد، كلية العلوم الإدارية، جامعة الملك سعود، الرياض، (مجلة جامعة دمشق، المجلد الثالث، العدد الأول 1997م)، هدفت الدراسة إلى تحليل سلوك الاستثمار في الجمهورية العربية السورية خلال الفترة (1970-1994م)، وقد تتبع التحليل وتوزيع الاستثمار ات وفق القطاعات الاقتصادية المختلفة، وحاولت الدراسة تقدير دوال الاستثمار في سوريا باستخدام أسلوب المعجل ونموذج تصحيح الخطأ. وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها اقتراح نموذج قياس مبسط لتمثيل السلوك الاستثمار ي في سوريا وذلك باعتماد متغيرات (الناتج المحلي الإجمالي والزمن ومستوى الاستثمار للفترة السابقة).

4/ دراسة اليو أن تكاد UNTCAD , (1998) World Investment Report (1998)
استعرض تقرير الاستثمار العالمي لعام 1998م بعض النتائج التي توصل إليها (يو أن تي كاد) فيما يتعلق بأهم العوامل التي تؤثر في جذب الاستثمار الأجنبي المباشر وقد تم تحديد العوامل المفسرة للاستثمار في حجم القطر المستقبل للاستثمار ومعدل النمو الاقتصادي، متوسط دخل الفرد، وقامت الدراسة بتقدير دالة الاستثمار الأجنبي لتحديد العلاقة السببية لأربع سنوات لعينة ضمت (142) دولة وتوصلت الدراسة إلى النتائج أهمها وجود علاقة ذات دلالة إحصائية بين حجم السوق والاستثمار وكذلك متوسط دخل الفرد، أما النمو الحقيقي للاقتصاد خلال فترة الدراسة ليس له دلالة إحصائية. وكذلك توصلت الدراسة إلى تقدير دالة لتدفق الاستثمار الأجنبي نحو الدول النامية باستخدام نفس العوامل المفسرة بالإضافة إلى عامل الاستقرار السياسي.

## 2- الإطار النظري للدراسة

### 2-1 تمهيد:

يمثل الاستثمار الركيزة الأساسية لتحقيق التراكم الرأسمالي الذي يعد الأساس للتقدم الاقتصادي، وذلك لأن زيادة معدلات الاستثمار تؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية وبالتالي زيادة قدرة المجتمع على إنتاج المزيد من السلع والخدمات مما يترتب على ذلك زيادة الدخل القومي الحقيقي للمجتمع وزيادة قدرة الاقتصاد الذاتية على التطور باستمرار.

### 2-2- مفهوم الاستثمار:

بناء على (قاسم، 1994، ص29)، أن الاستثمار في اللغة مصدر استثمر يستثمر وهو الطلب بمعنى طلب الاستثمار، وأصله من الثمر وله عدة معانٍ منها ما يحمله الشجر وما ينتجه، ومنها الولد يقال: الولد ثمرة القلب، ويقال استثمر المال وثمّره (بتشديد الميم) أي استخدمه في الإنتاج. وحسب (الشمري، 1999، ص51)، أن الاستثمار investment في الاصطلاح يعرف بأنه التوظيف المنتج لرأس المال من خلال توجيه المدخرات نحو استخدامات تؤدي إلى إنتاج سلع أو خدمات بهدف إشباع الحاجات الاقتصادية للمجتمع وزيادة رفاهيته.

### 2-3 الاستثمار في الإسلام:

وفقاً لعبد الساهر (1984)، يعرف الاستثمار في الإسلام بأنه توظيف الأموال وفقاً للضوابط والأسس والقواعد والمقاصد الشرعية والاقتصادية الإسلامية بهدف المحافظة على المال وتنميته وتحقيق مهمة الخلافة في الأرض بما يسهم في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعمارة الكون (ص227).

### 2-4 توصيف متغيرات الدراسة (توصيف النموذج) Model specification

هنالك عدة نماذج قد تم استخدامها في الدراسات الاقتصادية التي تناولت تحليل العلاقة بين متغير الاستثمار والمتغيرات الاقتصادية الأخرى كما في الدراسات التطبيقية والنظرية والاقتصادية المقترحة في أدبيات الاقتصاد وفي هذه الدراسة سوف يتم استخدام نموذج من ستة متغيرات هي:

1/ المتغير التابع Dependent variable: يمثل الاستثمار ويعنى ذلك الاستثمار المحلي والاستثمار الأجنبي.

2/ المتغيرات المستقلة: Independent Variables: تتمثل المتغيرات المستقلة (المفسرة) فيما يلي:

(أ) الناتج المحلي الإجمالي Gross Domestic Product (GDP) ورد عن (عبد الرحيم، 2009، ص13)، أن الناتج المحلي الإجمالي عبارة عن مجموع قيم السلع النهائية والخدمات التي ينتجها الاقتصاد خلال فترة زمنية معينة تكون عادة سنة، لذلك فان هذا المحدد يتعلق بمستوى النشاط الاقتصادي. ووفقاً لنظرية المعجل يرتبط حجم مخزون راس المال المطلوب إيجاباً مع مستوى الطلب، وبذلك يمكن اعتبار نمو الناتج المحلي كمؤشر يمكنه التعبير عن هذا النشاط ويرتبط بمستوى النشاط الاقتصادي بعلاقة إيجابية.

(ب) الانفتاح التجاري (DOP): حسب بلومستروم Blomstrom(1999) أن من المعلوم أن تأثير التجارة الخارجية على النمو الاقتصادي هو تأثير كبير وايجابي فتحرير الواردات يؤدى إلى توسيع القاعدة الإنتاجية وتحديثها عن طريق توفير وسائل الإنتاج الضرورية، وبالتالي يحفز الإنتاج الوطني والأجنبي، ولذلك فأن الانفتاح التجاري يتيح فرصا أكبر للاستثمار ومن ثم الحصول على الموارد الضرورية اللازمة لعملية التنمية الاقتصادية ورفع مستوى المعيشة، إذ توجد دالة موجبة بين معدلات التنمية والانفتاح الخارجي.

(ج) سعر الصرف Exchange Rate (ER): بناء على (يسيري، 2007، ص255)، سعر الصرف هو سعر العملة الوطنية مقابل العملة الأجنبية وبالتالي فهو مقياس للقوة الشرائية للعملة المحلية مقارنة بالعملات الأخرى. كما عرف (عبد الله، سبتمبر1999، ص4)، سعر الصرف بأنه عدد الوحدات بالعملة الأجنبية مقابل وحدة واحدة من العملة المحلية.

(د) التضـــخم (Inflation): وهو الارتفاع العام والمستمر في الأسعار ولا يعني ذلك أن الارتفاع يكون في كل الأسعار إذ أن بعضها قد ينخفض ولكن الاتجاه العام يجب أن يكون تصاعدياً. في ظل التضخم تتزايد الأسعار بصورة غير محددة وتختلف آثار التضخم أو نتائجه باختلاف ما إذا كان التضخم متوقعاً أو غير متوقع، وفي حالة التضخم المتوقع تكون إعادة توزيع الثروة عند حدها الأدنى أما في حالة التضخم غير المتوقع يعاد توزيع الثروة بين الدائنين والمدينين لذلك يتوقع أن تكون هنالك علاقة عكسية بين التضخم والاستثمار .

(هـ) تكلفة التمويل (CFI): تعرف بأنها ما يتحمله طالب التمويل مقابل الحصول على التمويل وعلى هذا يمكن أن تقاس بسعر الفائدة في الأنظمة المصرفية التقليدية، كما يمكن قياسها بهوامش الأرباح ونسب المشاركات من تكاليف الصيغ الإسلامية الأخرى، ونسبة لعدم توفر بيانات كافية عن تكاليف التمويل من الصيغ الإسلامية خلاف المرابحة ستعتمد الدراسة على هوامش أرباح المرابحات الفعلية (متوسط الأرباح)، والتي فيها يأخذ النموذج الصيغ الرياضية I = f (GDP, OP , EX, CFI, INF).

**3- الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة**

سيعتمد هذا البحث في التحليل على أسلوبي السلاسل الزمنية والانحدار مع المقارنة بينهما.

**3-1- السلاسل الزمنية Time Series**

ورد في (أبو صالح، 2003، ص257)، أن السلسلة الزمنية هي مجموعة من قيم ظاهرة في فترات زمنية متعاقبة، طبقاً لأزمنة حدوثها. والسلسلة الزمنية تحتوى على متغيرين احدهما تابع Y ويمثل قيمة الظاهرة محل الدراسة، والآخر مستقل هو الزمن T، ويمكن تمثيل السلسلة الزمنية بنقطة تتحرك عبر الزمن، تاركة خط منكسر يمثل قيم الظاهرة محل الدراسة.

جاء في (النعيمي، 2005، ص237)، أن تحليل السلاسل الزمنية ذو أهمية في فهم السلوك في الماضي وتقويم الانجازات في الحاضر وتخطيط العمليات في المستقبل. وتحليل السلاسل الزمنية هو دراسة تلك المؤثرات للتعرف على ما تعرضت له الظاهرة في الماضي، واستخدام هذه المعلومات للتبوء بقيمة الظاهرة محل الدراسة بالتغير في سلسلة أخرى أو أكثر. ويقول: (قاسم، 1994، ص7)، و(شلبي، 1985، ص205)، و(فلفل، 2005، ص266)، هنالك أربعة مؤثرات تطرأ على الظاهرة عبر الزمن هي الاتجاه العام Secular trend والتغيرات الفصلية أو (الموسمية) Seasonal Variations وهي تقلبات روتينية تطرأ على الظاهرة خلال الفترة الزمنية محل الدراسة تتكرر بانتظام فقد تكون يومية، أسبوعية، شهرية، أو ربع سنوية، ويمكن وصفها بأنها التقلبات التي تطرأ على الظاهرة على مدار المواسم المختلفة للفترة الزمنية موضع القياس. والتغيرات الدورية Cyclical variation وهي تقلبات على مدى أطول من التغيرات الموسمية ومن أهم صفاتها أنها تحدث بانتظام وتعكس تتابع فترات الكساد والرواج التي يمر بها الاقتصاد القومي، والتغيرات العرضية (الفجائية) وتسمي بالتغيرات العشوائية أو حركة الخطأ: Random or erratic variationsوهي تلك التغيرات التي تحدث بشكل غير متنبأ وهي تغيرات قصيرة الأجل وتعرف بأنها تغيرات طارئة تحدث نتيجة حوادث فجائية، فهي لا تحدث طبقاً لقاعدة معينة بل عوامل فجائية كالحروب والفيضانات وغيرها من الكوارث الطبيعية التي تؤثر على الظاهرة محل الدراسة.

**2-3- نموذج الانحدارRegression Model:**

يقول (بشير، 2003، ص149)، إن نموذج الانحدار يعبر عن علاقة بين متغير معتمد (Variable Dependent) وبين واحد أو أكثر من المتغيرات المستقلة (Independent Variable). فإذا احتوى النموذج على متغير مستقل واحد فيعرف بنموذج الانحدار الخطي البسيط ( Simple linear model) وإذا احتوى على أكثر من متغير مستقل فهو نموذج الانحدار المتعدد (Multiple regression Model).

**3 - 3 تقييم النموذج المقدر(اختبار معنوية المعالم المقدرة):**

(Test of significance of Estimated Regression Parameters)

بناء على(عطية، 2005، ص165)، يعتبر اختبار معنوية المعالم المقدرة من المواضيع الأساسية في قياس العلاقات الاقتصادية وذلك لأنه يمكن من التحقق من صحة الفرضية من عدمها، وهنالك معايير مختلفة للتحقق من ذلك، منها المعايير الاقتصادية (النظرية) والقياسية والإحصائية ويطلق على المعايير الاقتصادية (النظرية) والقياسية اختبار من الدرجة الثانية في حين يطلق على المعيار الإحصائي اختبار من الدرجة الأولي، وهذا يؤكد أهمية المعيار الإحصائي لذا سوف يركز البحث على المعيار الإحصائي بالإضافة إلى كل من المعيار الاقتصادي والقياسي.

3-3-1 اختبارات جودة التوفيق Goodness of Fit

اختبار جودة التوفيق هو اختبار أو مقياس للمقدرة التفسيرية للمتغيرات المستقلة في النموذج، ويقصد بجودة التوفيق اختيار أفضل خط ملائم للبيانات، فإذا وقعت جميع نقاط شكل الانتشار على خط مستقيم، فإن الخط يكون بالتأكيد أفضل خط للبيانات ومن الناحية العملية يعتبر هذا الموقف نادر الحدوث، لذلك لابد من توفيق البيانات المتاحة بخط بحيث تكون مربعات الأبعاد الرأسية لنقاط الانتشار أقل ما يمكن.

**4- تحليل البيانات وتفسير النتائج**

يختص هذا المبحث بالدراسة التطبيقية واستخدام الأساليب الإحصائية لتحليل متغيرات الدراسة وذلك بغرض الوصول إلى نموذج قياسي للاستثمار في السودان وسيعرض البحث اولا منهجية الدراسة من حيث طريقة اختيار العينة وجمع البيانات ثم مناقشة الأساليب الإحصائية المختلفة المستخدمة في اختبار فروض الدراسة وأخيراً يتم تحليل نتائج الاختبارات الإحصائية للوقوف على مدى صحة افتراضات الدراسة.

**1-4 وصف وتحليل البيانات:**

تم تحليل بيانات الدراسة باستخدام الحاسب الآلي باستخدام البرامج والحزم الإحصائية الجاهزة (SPSS) وE-Views، وهي من أكثر البرامج الإحصائية شيوعاً واستخداماً في العلوم الاجتماعية. والتحليل كان على النحو التالي:

**أولاً: الوصف الإحصائي لمتغيرات نموذج الاستثمار (القيم بالدولار):**

يتضح من الجدول (1): بلغ متوسط الاستثمار (478796.5) بحد أعلى مقداره (2216531.0) وحد أدني مقداره 146.8) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة الاستثمار لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (3.227) التواء موجب.

* بلغ متوسط الناتج المحلي الإجمالي (1907529) بحد أعلي مقداره (9329965) وحد أدني مقداره (397.2000) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة الناتج المحلي الإجمالي لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (1.32172) التواء موجب، ويلاحظ ارتفاع متوسط الاستثمار والناتج المحلي الإجمالي وهذا يعني تنامي الاستثمار والناتج المحلي الإجمالي.

* بلغ متوسط معدلات التضخم (43.99649) بحد أعلي مقداره (132.7000) وحد أدني مقداره (4.90000) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة التضخم لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (0.99838) التواء موجب.
* بلغ متوسط سعر الصرف (1.00457) بحد أعلي ط7مقداره (2.63340) وحد أدني مقداره (0.00500) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة سعر الصرف لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (0.44088) التواء موجب.
* بلغ متوسط تكلفة التمويل (0.19280) بحد أعلي مقداره (0.41700) وحد أدني مقداره (0.03630) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة تكلفة التمويل لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (0.475086) التواء موجب.
* بلغ متوسط درجة الانفتاح الاقتصادي (29.81250) بحد أعلي مقداره (108.0000) وحد أدني مقداره (1.00000) ويدل اختبار الالتواء على أن بيانات سلسلة الانفتاح الاقتصادي لا تخضع للتوزيع الطبيعي حيث بلغت قيمة معامل الالتواء (2.01092) التواء موجب.

جدول رقم (1): الوصف الإحصائي لمتغيرات نموذج الاستثمار (القيم بملايين الدولارات)

| VAR | I | CFI | DOP | ER | GDP | INF |
|---|---|---|---|---|---|---|
| المتغير | الاستثمار | تكلفة التمويل | معدل الانفتاح الاقتصادي | سعر الصرف | الناتج المحلي الإجمالي | التضخم |
| المتوسط | 478796.5 | 0.192796 | 29.81250 | 1.004571 | 1907529 | 43.99964 |
| الوسيط | 164434.1 | 0.161000 | 21.80000 | 0.174400 | 141486.9 | 28.36500 |
| الحد الأعلى | 2216531. | 0.417000 | 108.0000 | 2.633400 | 9329965 | 132.7000 |
| الحد الأدنى | 146.8000 | 0.036300 | 1.000000 | 0.005000 | 397.2000 | 4.900000 |
| الانحراف المعياري | 655871.4 | 0.091108 | 25.87073 | 1.134667 | 2717133. | 40.42848 |
| الالتواء | 1.418202 | 0.475086 | 2.010923 | 0.440876 | 1.321720 | 0.998380 |
| التفلطح | 3.955174 | 2.493508 | 6.296798 | 1.349026 | 3.697213 | 2.668981 |

**ثانياً: تحليل الاتجاه العام للاستثمار في السودان:**

استخدمت الدراسة نموذج معادلة الاتجاه العام في تحليل السلسلة الزمنية لبيانات الاستثمار خلال الفترة (1980-2009) لقياس الاتجاه العام الذي طرأ على حجم الاستثمار خلال فترة الدراسة.
وتم استخدام النموذج التالي:

$$LNI = B_o + Bt + U$$

يتضح من الجدول(2): أن نموذج الاتجاه العام لحجم الاستثمار خلال الفترة (1980-2009) تحدده الصيغة التالية:

$$LN\ I = 5.91 + 0.34t$$

يتضح من المعادلة أعلاه أن العلاقة بين الاستثمار وعامل الزمن علاقة طردية وذلك من خلال الإشارة الموجبة لمعامل الزمن وهذه النتيجة تدل على أن هنالك تزايد في حجم الاستثمار بصورة مستمرة خلال فترة الدراسة بمعدل نمو مقداره (0.34).

جدول(2): الاتجاه العام للاستثمار في السودان

| Variable<br>المتغير | Coefficient<br>المعاملات | Std. Error<br>الخطأ المعياري | t-Statistic<br>إحصائية - ت | Prob.<br>مستوى المعنوية |
|---|---|---|---|---|
| C | 5.912126 | 0.329995 | 17.91579 | 0.0000 |
| T | 0.340504 | 0.018588 | 18.31825 | 0.0000 |

من الشكل (1): نجد أن معدلات الاستثمار قد تميزت السنوات من 1991م إلى 2004م بارتفاع ملحوظ حيث تجاوزت الاستثمارات المصدقة 400 مليون دولار للجانب الوطني و(255) مليار دولار استثمارات أجنبية ومع تطور العلاقات مع مؤسسات التمويل الدولية والإقليمية وتعميق العلاقات الاقتصادية مع الدول الآسيوية خاصة الصين وماليزيا في مجالات مثل قطاعات البترول وقطاع الكهرباء وغيرها من الأنشطة أدى كل ذلك إلى زيادة الطلب على الاستثمار وبالتالي أصبحت الفترة من (2005م إلى 2009) أكثر جذباً للاستثمار حتى تبوأ السودان المركز الثالث بين منظومة الدول العربية الأكثر جذبا للاستثمار.

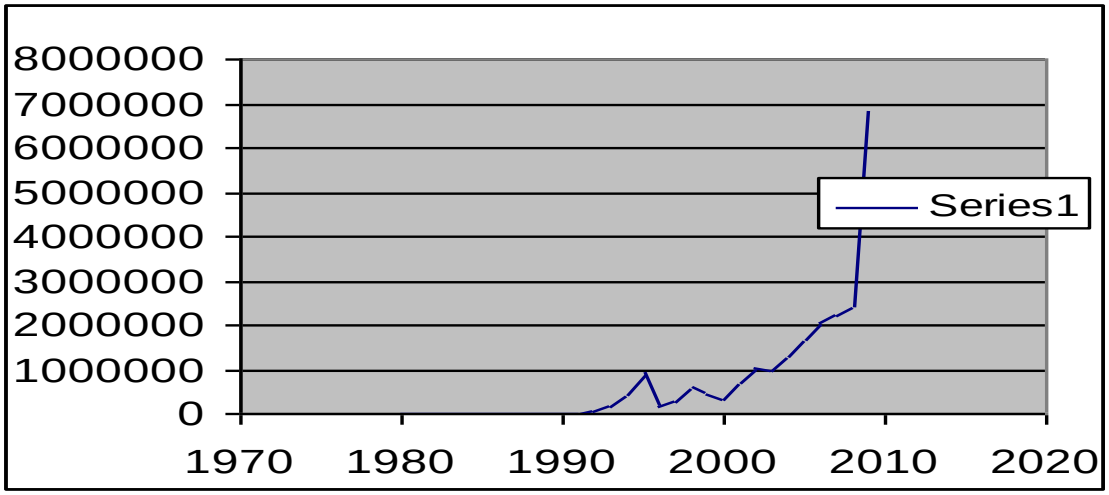


الشكل رقم (1) تدفقات الاستثمار في السودان بملايين الجنيهات

**4-1- نتائج التقدير للعلاقات بين الاستثمار ومحدداته:**

وتشمل نتائج تقدير الانحدار البسيط بين كل من الاستثمار و(الناتج المحلى الإجمالي، سعر الصرف، ومعدل التضخم، والانفتاح الاقتصادي، وتكلفة التمويل)

من البيانات التي في الجدول (3) وباستخدام برنامج (E.VIEWS) يمكن تقدير النماذج المذكورة أدناه واختيار النموذج المناسب والذي يستوفي المعايير الاقتصادية والإحصائية والقياسية من بين النماذج الآتية:

(1) $I = B_o + B_1\ GDP + B_2\ DOP + B_3\ ER + B_4\ CFI + B_5\ INF + U$

(2) $LOG\ (I) = B_0 + B_1\ LOG\ (GOP) + B_2\ LOG\ (DOP) + B_3\ LOG(ER) + B_4\ LOG(CFI) + B_5\ LOG(INF) + U$

(3) $LOG\ (I) = B_o + B_1\ GDP + B_2\ DOP + B_3\ ER + B_4\ CFI + B_5\ Inf + U$

تقييم النماذج: بعد التحليل اتضح أن هنالك نموذجا واحدا هو المعنوي وهو النموذج رقم (3) – النموذج نصف اللوغاريثمي- وفقاً للمعيار الاقتصادي ومن مخرجات (Eviews) التي في الجدول(3) نجد أن معالم النموذج المقدرة:

* قيمة القاطع 5.900658 وهي موجبة الإشارة وهي تتفق مع فروض النظرية الاقتصادية وهي تمثل الاستثمار عندما تكون جميع المتغيرات التفسيرية في الدالة تساوي الصفر أي تمثل الحد الأدنى للاستثمار والذي لا يرتبط بالمتغيرات الموضحة في الدالة.

* قيمة معلمة الناتج المحلي الإجمالي (4.14E-07) وهي موجبة وهذه دلالة على وجود علاقة طردية بين الناتج المحلي الإجمالي وحجم الاستثمار وعليه كلما زاد الناتج المحلي الإجمالي يزداد حجم الإنفاق الاستثماري. وإشارة كل من سعر الصرف وتكلفة التمويل والانفتاح التجاري موجبة

تقييم النموذج رقم (3) وفقا للمعيار الإحصائي: النموذج ذو دلالة إحصائية من خلال إحصائية- ف (F- statistic) عند مستوى معنوي 5%، معلمة الناتج المحلي ذات دلالة إحصائية، تحقق معنوية كل من سعر الصرف تكلفة التمويل ومعدل الانفتاح التجاري. وقيمة معامل التحديد تساوي 0.85 = وقيمة معامل التحديد المعدل تساوي 0.83. وهو يوضح أن 83% من التغيرات في الاستثمار تم تفسيرها من خلال المتغيرات المستقلة بالنموذج بينما 17% من هذه التغيرات يمكن إرجاعها إلى المتغيرات غير المضمنة في النموذج.

جدول (3): مخرجات (E.Views) لتقدير نموذج الاستثمار تحليل لوغاريتم الاستثمار(المتغير التابع)

| Variable<br>المتغير | Configure<br>الفرق بين المعلمة وتقديرها | Std error<br>الخطأ المعياري | T – statistic<br>قيمة ت | Prob<br>مستوى الدلالة |
|---|---|---|---|---|
| ثابت (C) | 5.900658 | 0.670095 | 8.805706 | 0.000 |
| الناتج المحلي الاجمالي (GDP) | 4.14E-07 | 1.73E-07 | 2.394732 | 0.025 |
| سعر الصرف(ER) | 1480415 | 0.394031 | 3.574377 | 0.002 |
| تكلفة التمويل(CFI) | 9.120521 | 3.127901 | 2.915860 | 0.008 |
| معدل الانفتاح(DOP) | 0.034809 | 0.010200 | 3.412573 | 0.002 |
| مربع معامل الارتباط = 0.85 | | متوسط الاستثمار= 10.90149 | | |
| مربع معامل الارتباط المعدل = 0.83 | | الانحراف المعياري للاستثمار= 3.023652 | | |
| الخطأ المعياري للانحدار=1.263446 | | قيمة إحصائية ف = 32.90933 | | |
| مجموع المربعات= 36.71478 | | مستوى الدلالة = 0.0000 | | |
| لوغاريتم الإمكان الأعظم = 43.52393- | | | | |
| إحصائية ديربن واتسون = 1.864248 | | | | |

تقييم النموذج رقم (3) وفقا للمعيار القياسي: من خلال إحصائية ديربن-واتسون ( Durbin - Watson) تم التأكد من أن النموذج لا يعاني من مشكلة الارتباط الذاتي للبواقي حيث بلغت قيمة D.W = (1.86) وهي تقترب من القيمة القياسية (D.w=2). والنموذج خالٍ من مشكلة الارتباط الخطي للمتغيرات المستقلة وذلك من خلال مصفوفة الارتباط الخطي التي في الجدول(4) حيث أن المشاهات*مربع معامل الارتباط (obs-R-square) أكبر من قيمة ف الاحتمالية (Prob-F) فهذا يعني قبول فرض العدم وهو أن التباين متجانس

جدول(4): اختيار تجانس التباين للنموذج(4)

| اختبار التجانس لوايت | | | |
|---|---|---|---|
| 0.387641 | مستوى الدلالة(Prob) | 1.130706 | إحصائية ف |
| 0.0139 | مستوى الدلالة(Prob) | 9.030923 | مربع الارتباط*المشاهدات |

**الاستنتاجات:**

من خلال التحليل الإحصائي لبيانات المتغيرات محل الدراسة توصلت الدراسة إلى الاستنتاجات التالية:

1. تبين من خلال الانحدار المتعدد أن هنالك أثر معنوي لكل من (الناتج المحلي الإجمالي، سعر الصرف، تكلفة التمويل، معدل الانفتاح التجاري) على الاستثمار، وبالتالي يمكن صياغة نموذج للاستثمار في السودان.
2. أثبتت الدراسة بعد فحص النماذج القياسية المقترحة للاستثمار في السودان فحصاً اقتصادياً وإحصائياً وقياسياً بأن نموذج الدالة نصف اللوغاريتمية هو أفضل نموذج لتمثيل الاستثمار في السودان.

**التوصيات:**

اعتماداً على الاستنتاجات التي تم التوصل إليها من خلال التحليل الإحصائي لبيانات الدراسة تمت صياغة التوصيات التالية:

1. تنشيط وتشجيع الاستثمار وتوجيهه نحو القطاعات الإنتاجية وتطوير خارطة الاستثمار لتعكس الفرص الاستثمارية وذلك بالتركيز على الزراعة والصناعة وإنتاج السلع ذات الميزة النسبية (الناتج المحلي الإجمالي).
2. الاهتمام بالاستقرار الاقتصادي وذلك بالتنسيق بين السلطات النقدية والمالية للسيطرة والتحكم في سعر صرف الجنيه السوداني مقابل الدولار.
3. الاستمرار في الاتجاه نحو الانفتاح والعمل على الاستفادة من فرص المنافسة الدولية.
4. إن الاستقرار السياسي وتحقيق السلام العادل، وما يترتب عليه من تطورات في النواحي الأمنية والسياسية والاقتصادية وفتح آفاق التعاون مع الدول الإقليمية ودول العالم يؤدي إلى جذب الاستثمارات والتوجه نحو المشاريع الثنائية.
5. القيام بدراسات إحصائية وقياسية بين المتغيرات الاقتصادية التي لم تشملها الدراسة ومتغير الاستثمار للوصول إلى التخطيط السليم والتنبؤ بسلوك الاستثمار في السودان حسب الخطة الاستثمارية للدولة. وتحديد محددات الاستثمار في كل ولاية.
6. القيام بدراسات إحصائية وقياسية مماثلة في دول تشبه بيئتها الاستثمارية بيئة السودان مع مقارنة النتائج التي تم التوصل إليها في السودان مع تلك النتائج المتحصل عليها في تلك الدول.

**المراجع:**


إبراهيم، بسام يونس وآخرون، (2002)، الاقتصاد القياسي، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، ص151.

أبو صالح، محمد صبحي، (2003) مقدمة في الطرق الإحصائية، دار الأمل للنشر والتوزيع، عمان، ط3، ص 257-259.

بشير، سعد زغلول، (2003)، دليلك إلى البرنامج الإحصائي SPSS الجهاز المركزي للإحصاء، العراق، ص149.

شلبي، عثمان على وآخرون، (1985) مقدمة في الإحصائي التطبيقي، مكتبة حمادة، القاهرة.

الشمري، ناظم محمد نوري وآخرون، (1999) أساسيات الاستثمار العيني والمالي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ص(51).

الطيب، عز الدين مالك، المدخل إلى الاقتصاد القياسي، (2008)، مطبعة جي تاون، الخرطوم، ص25-186.

عبد الرحيم، شيبي ومحمد، شكور، (2009) معدل الاستثمار الخاص بالجزائر، دراسة تطبيقية، بيروت، ص13.

عبد الساهر، شوقي، (1984)، المال وطرق استثماره في الإسلام، المطبعة الحديثة، القاهرة، ط2، ص (227).

عبد الله، مصطفي محمد، (سبتمبر2009)، قياس سعر الصرف التوازني في السودان، مجلة المصرفي، العدد 53، ص4.

عطية، عبد القادر محمد عبد القادر، (2005)، الحديث في الاقتصاد القياسي بين النظرية والتطبيق الدار الجامعية للنشر، الإسكندرية ص 165-168.

علوان، قاسم نايف، (2009)، إدارة الاستثمار بين النظرية والتطبيق، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ص (29).

فلفل، كامل، (2005)، الإحصاء، دار المناهج، عمان، ص226.

قاسم، أحمد رفيق وآخرون (1994)، الإحصائي الاقتصادي، حلب، ص7.

النعيمي، سالم قاسم، (2005)، الإحصائي التطبيقي على الحاسوب، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، ص237.

يسيري، عبد الرحمن، محمد أحمد، (2007)، قضايا اقتصادية معاصرة، الدار الجامعية الإسكندرية، ص(255)

Blomstrom , M, Lipsay , Rand , Zejan , (1996) " is fixed investment the key to economic growth " Quarterly Journal of economic , voll , PP 269.


**********

**أمارابك**: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 79-96**

# فاعلية التسويق الالكتروني في علاج الركود الاقتصادي

***منى محمد الحسيني عمار*** (*)
***سمية عثمان محمد عبدالقادر***

**الملخص:** يتناول البحث فاعلية التسويق الالكتروني في علاج الركود الاقتصادي بالتركيز على سلع التسوق (الملابس- أجهزة المطبخ المنزلية) المعروضة في موقع سوق. كوم بالمملكة العربية السعودية (الرياض وجدة). هدف البحث إلى تقويم فعالية التسويق الالكتروني كوسيلة غير تقليدية يتم من خلالها زيادة الطلب الكلى كعلاج للركود الاقتصادي وذلك لأن الوسائل التقليدية غير فعالة، تم استخدام البيانات الأولية والثانوية في الدراسة وذلك بعمل مسح وتوصيف للسلع المعروضة في موقع سوق. كوم (دراسة حالة) والاعتماد على المراجع ذات الصلة بالموضوع. أظهرت الدراسة دور التسويق الالكتروني كوسيلة تم تطويرها لزيادة الطلب الكلى عن طريق عرض احتياجات العملاء من سلع في مكان واحد بكامل مواصفاتها وبالتالي فإن هذه الوسيلة توفر للعملاء الجهد والوقت لأنها تعمل على تقليل التكاليف لتشجع العملاء على اتخاذ قرار الشراء، زيادة القوة الشرائية والدفع بالطلب إلى الأمام. من أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن للتسويق الالكتروني دور فعال في علاج الركود الاقتصادي وتبين ذلك من خلال موقع سوق. كوم حيث تزايد الطلب على سلع التسوق (الملابس- أجهزة المطبخ المنزلية) وتبين أن الموقع يلبى حاجات الزبائن باستخدام أسلوب التسويق المتكامل. وتمثلت أهم التوصيات في ضرورة تبنى استراتيجيات ابتكارية حديثة في التسويق الالكتروني لجذب العملاء والمحافظة عليهم وتوسيع قاعدة الموقع ليشمل كافة مناطق المملكة.

**الكلمات المفتاحية**: التسويق الإلكتروني، الركود الاقتصادي، الطلب الكلي، حاجات الزبائن.

## The effectiveness of E-marketing in Economic Recession Treatment

***Mona Mohamed E. Ammar***
***Somaia Osman M. Abdelgadir***

**Abstract**: This research investigated the effectiveness of e-marketing in economic recession treatment. The overall objective of the study was to assess the role of e-marketing as non-conventional strategy aims to increase the aggregate demand for economic recession treatment. Both secondary and primary data were collected and used in this study. The former were obtained from the relevant sources, while the latter were collected through a survey of shopping goods (Kitchen machines and clothes) supplied by marketing professionals at the Souq.com website as a case study, in the Kingdom of Saudi Arabia (Jeddah and Riyadh areas). The study appears the role of e-marketing as a mean that developed and adopted by many producers to motivate the aggregate demand through supplying the customer's needs at one place and providing the goods specification at once. It is believed that such strategy saves the customer efforts and time, and money (provides goods as reasonable cost). It is also encourage and facilitates the customer's decisions, increase purchasing process pushing the customer demand forward. The study findings reveal that e-marketing is an effective strategy for economic recession treatment. It was succeeded to increase the aggregate demand for the shopping goods supplied through the Souq.com website, in the study area. It is also indicated that the Souq.com website, in the Kingdom of Saudi Arabia uses integrated marketing strategies to meet the customer's needs. The study recommended the need for development of more e-marketing relevant and creative strategies to meet customers' needs. It is also recommended that the Souq.com website expand its activities cover all the Kingdom of Saudi Arabia areas.

**Keywords**: E-marketing, economic recession, aggregate demand, customers' needs

(*) قسم الاقتصاد، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية،

**المقدمة:**

يعتبر الركود الاقتصادي من أخطر المشكلات التي تعاني منها الاقتصاديات بصفة عامة واقتصاديات الدول النامية بصفة خاصة، وقد كثرت الكتابات حول طبيعة وأبعاد المشكلة وطرق الوقاية والعلاج منها.

فبعضهم يرى أن السبب الرئيس للركود الاقتصادي هو نقص الطلب الفعال. ويرى آخرون أن من مظاهر الركود زيادة المخزون من السلع والبضائع وعدم وفاء التجار بالتزاماتهم المالية، اضافة إلى احجام المؤسسات المالية عن منح التمويل المطلوب للأنشطة الاقتصادية، ويضيف آخرون أن السبب الرئيس للركود الاقتصادي هو ما يجري من أحداث علي الساحة الدولية (مجدي سليمان، 2002).

وأيا كان السبب في وجود هذه الظاهرة الاقتصادية فان الأهم هو طرق علاجها والتي تركز على تحريك الطلب ودفعه للأمام ليتحقق التوازن بينه وبين العرض، وذلك باستخدام احدى الوسائل التقليدية التي تؤدي إلى زيادة الطلب ومنها زيادة الانفاق الحكومي، أو تخفيض الضرائب، أو زيادة كمية النقود (أحمد النجار، 2010).

وبالرغم من أن تلك الوسائل تؤدي إلى زيادة الطلب الكلي الا أنه في بعض الحالات لا يمكن استخدامها اذا كانت الدولة تعاني من ظروف اقتصادية غير عادية كحال غالبية الدول النامية في الوقت الراهن. لذلك كان لابد من البحث عن وسيلة غير تقليدية لزيادة الطلب الكلي وهو ما يعرف بالتسويق الالكتروني (عزام وحسونة والشيخ 2012)، والذي يهدف إلى استخدام الحاسب وتكنولوجيا الاتصالات لتسويق السلع والخدمات، وهو اسلوب تجاري حديث يبحث في الحاجة التي تشعر بها كل الشركات والتجار والمستهلكين علي حد سواء من حيث توفير المنتج وتحسينه وخفض تكاليفه وسرعة الحصول عليه. وهو ما دفع الباحثين لإجراء هذا البحث لمعرفة ما اذا كان للتسويق الالكتروني دور فعال في علاج الركود الاقتصادي؟ أم لا؟

**مشكلة البحث:**

تمر اقتصاديات كل الدول سواء كانت متقدمة أو نامية بعدة مراحل تعرف بالدورات الاقتصادية. ومنها مرحلة الركود الاقتصادي، والتي يعاني فيها الاقتصاد من نقص القوة الشرائية مما يؤدي إلى تغيير الأنماط الشرائية للمستهلكين والتحول إلى شراء منتجات أساسية ذات أسعار منخفضة. كنتيجة لانخفاض القيمة الحقيقية للدخل، علاوة علي عدم توفر الائتمان.(طلعت عبدالحميد 2014)

لذلك تتمثل مشكلة البحث في كيفية توظيف التسويق الالكتروني في المحافظة علي الأنماط الشرائية الإيجابية للمستهلكين في حالة الركود الاقتصادي، من خلال ما يقدمه هذا الاسلوب من ترويج المنتجات وتقديمها بشكل جديد وسعر مناسب وخفض في تكلفة الحصول عليها.

**الهدف من البحث:**

يهدف البحث إلى تقييم دور التسويق الإلكتروني كوسيلة غير تقليدية يتم من خلالها زيادة الطلب الكلي لعلاج الركود الاقتصادي، وذلك لأن الوسائل التقليدية غير فعالة، علاوة علي أنه لا يمكن استخدامها في بعض الحالات نظرا لظروف الدولة التي تعاني من حالة الركود.

**فروض البحث:**

1- ان التسويق الالكتروني وسيلة غير تقليدية لعلاج الركود الاقتصادي، وبالتالي يمكن استخدامه في حالة عدم القدرة علي استخدام الوسائل التقليدية.
2- أن التسويق الالكتروني أكثر فاعلية من الوسائل التقليدية التي تؤدي إلى زيادة الطلب الكلي، حيث أن الوسائل الأخرى لها آثار سلبية سواء على ميزانية الدولة أو علي كاهل المستهلك.

3- للتسويق الإلكتروني دور في الحفاظ على الأنماط الشرائية الإيجابية للمستهلكين عن طريق الحصول على المنتج بجودة عالية وبسعر أقل وسرعة في التوصيل والاستلام.

**منهج البحث:**

تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي بالإضافة إلى منهج دراسة الحالة.

**1) الركود الاقتصادي - أسبابه وطرق علاجه**

الركود الاقتصادي عبارة عن مرحلة حتمية لابد لكل اقتصاد أن يمر بها خاصة الاقتصاديات الحرة. وهو مصطلح يعبر عن هبوط في النمو الاقتصادي لسوق معين نابع من أن الانتاج يفوق الاستهلاك مما يؤدي إلى كساد البضاعة، وانخفاض الأسعار، وعدم قدرة المنتجين علي بيع المخزون. فينخفض معدل الانتاج وتسرح الايدي العاملة، مما يؤدي إلى زيادة البطالة، وزيادة معدلات التضخم، وعدم الاستقرار في أسعار الصرف، وعدم قدرة المنتجين علي الوفاء بالتزاماتهم المالية مما يعرضهم للإفلاس. فضلا على عدم قدرتهم على الاقتراض. وظهور العديد من المشكلات الأخرى منها ظاهرة السلع المحروقة. أي بيع السلع بأقل من تكلفتها. بمعني أشمل أنه في حالة الركود الاقتصادي يصل معدل النمو الاقتصادي إلى الصفر. وهذه من الحالات الاقتصادية الخطيرة التي تستدعي التدخل للخروج منها بشتي الطرق. وفي هذا الجزء سوف نتعرف على ماهية الركود الاقتصادي والأسباب التي تؤدي إلى حدوثه. ثم نعرض الآثار المترتبة علي حدوثه. وأخيرا نعرض الطرق المختلفة المستخدمة لعلاجه.

**1\1) مفهوم الركود الاقتصادي وأسبابه**

❖ **مفهوم الركود الاقتصادي:**

تعددت التعاريف الواردة بشأن الركود الاقتصادي (Economic recession)، ومنها:

- المرحلة التي تتباطأ فيها معدلات النمو الاقتصادي ويعاني فيها الاقتصاد من مشاكل اقتصادية كثيرة كارتفاع معدلات البطالة وتزايد معدلات التضخم، وعدم استقرار أسعار الصرف (قسوم بلال 2005).
- حالة تمر بالاقتصاد يعاني فيها من انخفاض في الطلب الكلي (انفاق استهلاكي خاص وانفاق استهلاكي حكومي وفي الاستثمار وفي الطلب الخارجي) مما يؤدي إلى تكدس السلع في مخازن الشركات وكسادها في الأسواق، بالرغم من انخفاض الأسعار. وينتج عن ذلك تدهور في معدل النمو الاقتصادي وانتشار البطالة (عبدالرحمن السلطان 2013)
- انخفاض في الطلب الكلي الفعلي يؤدي إلى بطء في تصريف السلع والبضائع في الأسواق. ومن ثم تخفيض تدريجي في عدد العمالة في الوحدات الانتاجية وتكديس في المعروض والمخزون من السلع والبضائع وتفشي ظاهرة عدم انتظام التجار في سداد التزاماتهم المالية وشيوع الافلاس والبطالة (مجدي سليمان 2002)

ومع اختلاف التعاريف السابقة في الألفاظ الا أنها اتفقت في المضمون، من حيث تعريف الركود الاقتصادي علي أنه حالة حتمية تمر بها كل الاقتصاديات ناجمة عن انخفاض الطلب عن العرض، وعدم قدرة المنتجين علي ترويج منتجاتهم مما يترتب عليه ظهور العديد من المشكلات الاقتصادية أهمها زيادة البطالة، وشيوع حالات الافلاس، وعدم الاستقرار في سعر الصرف، وعدم القدرة علي منح الائتمان. وكل هذه المشكلات تؤدي إلى الوصول بمعدل النمو الاقتصادي إلى الصفر.

❖ **أسباب الركود الاقتصادي:**

يحدث الركود الاقتصادي (Economic Recession) نتيجة لعجز الطلب الكلي عن شراء السلع والخدمات المعروضة في الأسواق. ويرجع السبب في ذلك إلى عدة قطاعات تتمثل في القطاع الحكومي - نتيجة لانخفاض حجم الانفاق الحكومي (الجاري والاستثماري) اما لعدم توفر مصادر التمويل "ضرائب أو قروض" واما لاستخدام سياسة انكماشية – وقطاع الأعمال من المستثمرين سواء من الداخل أو الخارج – نتيجة لانخفاض حجم الاستثمار الخاص بسبب ارتفاع سعر الفائدة مقارنة بحجم الارباح – والقطاع المصرفي - لتراجع حجم التمويل – وقطاع المستهلكين – نتيجة التغير في النمط الاستهلاكي للأفراد (قسوم بلال 2005)
وسوف نتناول فيما يلي دور كل قطاع من تلك القطاعات في المساهمة في حدوث الركود الاقتصادي.

- **القطاع الحكومي:**

على الرغم من الدور الذى تلعبه الحكومة (Government) في ادارة اقتصادها، الا أنها تقع في العديد من الأخطاء التي يؤدي تراكمها وعدم اصلاحها إلى تكريس حالة الركود الاقتصادي، ومن هذه الأخطاء ما يلي (حسين شحاته 2009):

1- تزايد المديونية الخارجية للحكومة: فحينما تلجأ الحكومة إلى الموردين وشركات المقاولات الأجنبية لإمدادها بالآلات والمعدات لتنفيذ مشروعات استثمارية طويلة الأجل. فهي تقوم بإخراج النقد الأجنبي خارج الدولة في الوقت الذي يتأخر فيه العائد المتوقع من تلك المشروعات نظرا لطبيعة الاستثمار فيها فيحدث حالة راهنة من الركود الاقتصادي.
2- تزايد الدين الداخلي للحكومة: فحينما تقل قدرة الحكومة علي الاقتراض من الخارج، لم يصبح أمامها سوي اللجوء إلى الاقتراض من الداخل عن طريق طرح أذون خزانة للاكتتاب أو الاقتراض مباشرة من البنوك التجارية.
3- وجود عجز في الميزان التجاري ناجم عن زيادة حجم الواردات بشكل مبالغ فيه، في نفس الوقت الذي تنخفض فيه قيمة الصادرات بشكل كبير.
4- تتوقع الحكومات خاصة في الدول النامية حدوث حالة انتعاش كبيرة بعد مراحل الاصلاح الاقتصادي وبالتالي تدفق العديد من رؤوس الأموال الأجنبية مما يؤدي بها إلى التوسع في الانفاق العام، بينما لا تأتي رؤوس الأموال بالقدر المتوقع مما يترتب عليه حدوث عجز في ميزان المدفوعات.
5- التهرب الضريبي: بالرغم من أن الضرائب احدي الوسائل المستخدمة لعلاج الركود الاقتصادي، الا أن هناك عدة ممارسات تخرجها عن الدور المنوط بها منها:
   - عدم كفاية الاجراءات الادارية التي تتبعها مصلحة الضرائب للتوصل إلى حقيقة الانشطة التي يزاولها الممولين.
   - عدم وجود شبكات لربط المعلومات بين مصلحة الضرائب والعديد من الجهات الحكومية.
   - ضعف العقوبة المفروضة علي التهرب الضريبي سواء للمول أو من يعاونه علي اخفاء حقيقة أرباحه.
   - ارتفاع معدل الضريبة وعدم ملائمته للظروف المعيشية، مما يدفع الممولين بالتهرب من أداء الضريبة.

- **القطاع المصرفي:**

على الرغم من الدور الفعال الذي يلعبه الجهاز المصرفي (The banking system) لأي دولة للنهوض بها وتنميتها اقتصاديا. الا أنه يمكن أن يساهم في تعرض الدولة للعديد من المشكلات. ومنها الركود الاقتصادي عن طريق بعض الممارسات، والتي يمكن سردها فيما يلي:

1- قيام البنوك التجارية بالمساهمة في المشروعات العقارية رغم أنه ليس من طبيعة نشاطها، ونظرا لطبيعة تلك المشروعات فإنها تعمل علي سحب قدر كبير من السيولة واحتباسها داخلها.
2- عدم وجود قواعد ائتمانية ثابتة وواضحة لتحديد العلاقة بين الجهاز المصرفي وبين رجال الأعمال، مما أدي إلى التوسع في منح قروض ضخمة دون التأكد من الضمانات وما ترتب عليه من هروب رؤوس الأموال للخارج.
3- عدم سعي البنوك إلى جدولة مديونية عملائها المتعثرين. مما ترتب عليه تعثر المدينين.
4- ثبات سعر الصرف في كثير من الدول. مما أثر بشكل كبير علي الصادرات.

- **قطاع الأعمال:**

يعتبر قطاع الأعمال (Business) أكبر مساهم في حالة الركود الاقتصادي، لكونه المسؤول الأكبر عن رؤوس الأموال المستثمرة في السوق. وبالتالي فأي أخطاء يقع فيها هذا القطاع الهام يكون له تأثير بالغ علي الاقتصاد. ومن هذه الممارسات التي أدت إلى تفاقم حالة الركود الاقتصادي:

1- السلوك غير الرشيد من بعض رجال الأعمال فيما يتعلق بالاستثمار العقاري. فيتم التركيز علي بناء عقارات تشبع رغبات الطبقة العليا من المجتمع، والتي تتميز بسحب قدر كبير من الأموال نظرا لارتفاع تكلفتها. ومع وصول تلك الطبقة إلى حالة التشبع يؤدي إلى وجود مخزون عقاري راكد.
2- الاتجاه المبالغ فيه نحو الاستيراد، والذي تخطي السلع الضرورية ليصل إلى استيراد الكماليات والترفيهيات. مما أدي إلى زيادة كبيرة في حجم الواردات ووجود مخزون سلعي راكد.
3- عد الالتزام بشروط الجودة في المنتجات والتعاقدات الخاصة بين المنتجين والمستوردين. مما ترتب عليه رفض الصادرات لعديد من الدول النامية وبالتالي انخفاض قيمتها.
4- غياب التنسيق في القطاع الخاص بين المشروعات الاستثمارية المختلفة. حيث نجد هناك تشبع في بعض القطاعات في حين هناك نقص في قطاعات أخرى.

- **قطاع المستهلكين:**

بالرغم من أن المستهلك (consumer) هو الضحية الأولي لحالة الركود الاقتصادي، الا أنه بالرغم من ذلك فهو المساهم الأكبر في احداثه. وذلك من خلال اتباعه لأسلوب استهلاكي غير رشيد، فضلا عن تغير أنماطه السلوكية واعتبار سلع كمالية من الضروريات.

**2\1) آثار الركود الاقتصادي وطرق علاجه**

الركود الاقتصادي ظاهرة حتمية في المجتمعات النامية والمتقدمة. وهي نتيجة للفجوة بين الطلب الكلي والعرض الكلي. لذلك فان آثاره لا تختلف من دولة لأخري. وفي هذا الجزء سوف نتناول تلك الآثار الناجمة عن الركود الاقتصادي، كما أننا نتناول الطرق التقليدية وغير التقليدية التي استخدمت لعلاجه.

❖ **آثار الركود الاقتصادي:**

الركود الاقتصادي (recession) ظاهرة سلبية وبالتالي فان النتائج المترتبة علي حدوثه سلبية أيضا وتتمثل في:

1) **زيادة معدلات البطالة:** سبق وأن ذكرنا أن الركود الاقتصادي ناتج من تراجع الطلب الكلي بالرغم من انخفاض الأسعار، مما يؤدي إلى قيام المنتجين بتقليل الانتاج وبالتالي تسريح العديد من العمالة، والتي تتمثل في زيادة معدلات البطالة (unemployment) كما أن معدلات نمو الاستثمار تشهد تراجع كبير في حالة الركود الاقتصادي وذلك نتيجة خفض حجم الانفاق الحكومي أو الاستثمار الخاص، مما ينتج عنه زيادة معدلات البطالة.
2) **زيادة معدلات التضخم:** Inflation في حالة الركود الاقتصادي يتراجع مستوي الناتج المحلي. وذلك بسبب انخفاض القدرة الشرائية للمستهلكين، وتكدس الانتاج في مخازن المنتجين. مما لا يشجعهم علي زيادة الانتاج، وبالرغم من انخفاض الأسعار في تلك الفترة، الا أن المستهلكين لا يقبلون علي الشراء توقعا منهم بانخفاض الأسعار أكثر في المستقبل. وهذه الحالة تسمي بالتضخم الركودي (Stagflation) وتحدث عندما يكون هناك زيادة في الطلب الكلي أكثر من الطاقة الانتاجية المتاحة للاقتصاد فتزداد الأجور لزيادة الطلب علي الأيدي العاملة، وترتفع أسعار عوامل الانتاج الأخرى فترتفع تكاليف الانتاج بصورة عامة، ويلجأ أصحاب الأعمال إلى خفض الانتاج وزيادة أسعار السلع. أي أن التضخم الركودي هو عبارة عن الارتفاع في المستوي العام للأسعار والمصحوب بمعدلات مرتفعة من البطالة.
3) **عدم الاستقرار في سعر الصرف:** يقصد بسعر الصرف (Rate of exchange) هو عملية تحويل عدد وحدات من عملة معينة بعدد وحدات من عملة أخري. وهناك نوعين من سعر الصرف الأول: سعر الصرف الاسمي وهو مقياس لقيمة عملة دولة ما، والتي يمكن مبادلتها بقيمة عملة دولة أخري ويتم تحديد سعر الصرف الاسمي لعملة ما تبعا للطلب والعرض عليها في سوق الصرف في لحظة معينة. أما الثاني: فهو سعر الصرف الحقيقي وهو عدد الوحدات من السلع الأجنبية اللازمة لشراء وحدة واحدة من السلع المحلية. ومن العوامل المؤثرة علي سعر الصرف هو انخفاض معدل النمو الاقتصادي "الركود الاقتصادي" والمتمثلة في أهم مظاهره وهو التغير في الدخل الحقيقي. فتعتبر التغيرات في الدخل الحقيقي للدولة من العوامل الهامة التي تؤثر علي سعر الصرف لعملتها، وذلك لأن زيادة الدخل الحقيقي لدولة ما تؤدي إلى زيادة امكانية الدولة علي الشراء مما يؤدي إلى زيادة الواردات والصادرات (شابرا 1987).

4) **زيادة حالات الافلاس للمنتجين:** يقصد بالإفلاس التجاري (Bankruptcy commercial) هو توقف التاجر المدين عن دفع ديونه التجارية المستحقة، بسبب ظروف سياسية أو اقتصادية طارئة تؤدي إلى نقص أو ضعف في قيمة موجوداته ناتج عن كساد السوق أو سبب آخر. يجعل المنتج غير قادر علي تصريف منتجاته. ونتيجة لالتزام العديد من المنتجين بالتزامات مالية متمثلة في قروض من البنوك، أو مقابل توريدات لعناصر الانتاج. وفي ظل عدم القدرة علي بيع المنتجات نتيجة الركود الاقتصادي "تراجع الطلب الكلي" فيصبح هؤلاء المنتجين غير قادرين علي سداد التزاماتهم المالية وتسديد ديونهم فيعلنون افلاسهم وخروجهم من السوق.
5) **ضعف القدرة على منح الائتمان:** لا يمكن منح الائتمان (The granting of credit) والقروض لأي فرد أو مشروع. بل لا بد من توافر معايير معينة في الفرد والمشروع بالشكل الذي يحفز ويدفع مؤسسة التمويل إلى الثقة في الفرد والمشروع ومنحهما الائتمان والقروض. ومن ضمن هذه المعايير قدرة المقترض علي السداد وسيرته الائتمانية. بمعني أن تطمأن

المؤسسة التمويلية من أن المنشأة التي تحصل علي الائتمان سوف تتمكن من سداد القروض الممنوحة لها مع فوائدها في المواعيد المحددة لها. هناك معيار آخر وهو الظروف المحيطة، بمعني أن تدرس المؤسسة الائتمانية مدي تأثير الظروف العامة والخاصة المحيطة بالعميل طالب الائتمان. ويقصد بالظروف العامة المناخ الاقتصادي العام في المجتمع، ومنها حالة الاقتصاد سواء كان رواج أو ركود. فبطبيعة الحال حالة الركود تؤثر سلبيا علي منح الائتمان حتي وان كان المشروع يحظى بقبول في باقي المعايير.

6) **شيوع ظاهرة السلع المحروقة:** يقصد بظاهرة السلع المحروقة (Goods scorched) هو بيع السلع بأسعار تقل عن تكلفتها أو تقل عن الأسعار السائدة في السوق. ويلجأ التجار إلى ذلك نتيجة ظروف خارجة عن ارادتهم، أهمها التخلص من المخزون الراكد لديهم والناتج عن حالتي الكساد والركود الاقتصادي اللتين تسيطران علي السوق. كما أن هناك صورة أخري لحرق السلع وهي شراء بضاعة بالأجل وبيعها نقدا بسعر أقل لحاجة التجار إلى سيولة، اما لسداد أقساط أو شراء مواد خام. وكلتا الحالتين تمثلان ظاهرة حرق السلع، وهذه الظاهرة تنشأ نتيجة حالة الركود الاقتصادي التي تنتج عنها انخفاض الطلب الكلي عن العرض وتكدس المنتجات في مخازن المنتجين، مما يدفعهم إلى استخدام احدي الصورتين للحصول علي سيولة نقدية (محمد عبد الحليم 2000).

❖ **طرق علاج الركود الاقتصادي:**

تعددت الطرق المستخدمة للخروج من حالة الركود الاقتصادي. منها ما هو تقليدي ومنها ما هو غير تقليدي كما يلي:

**الطرق التقليدية لعلاج الركود الاقتصادي:**

تتمثل الطرق التقليدية لعلاج الركود الاقتصادي فيما وضعه الاقتصادي الشهير "كينز" للعمل علي التأثير في حجم الطلب الكلي الفعلي ودفعه للأمام كوسيلة لإحداث التوازن بينه وبين العرض، وتتمثل هذه الطرق في:

1) **خفض سعر الفائدة:** سعر الفائدة هو احدي أدوات السياسة النقدية (Monetary policy) وأهمها، حيث يتم من خلاله التأثير في المعروض النقدي. وتلجأ إليه الحكومات لتنظيم كمية النقود في المجتمع، وفي حالة الركود الاقتصادي يقوم البنك المركزي بتخفيض سعر الفائدة بهدف المساهمة في حفز النمو الاقتصادي من خلال توفير الائتمان لأنشطة القطاع الخاص المختلفة وتعزيز الاستثمار. ويؤدي خفض سعر الفائدة إلى تخفيض تكلفة الاقتراض للقطاع العام والخاص بما ينعكس ايجابيا في تحفيز الطلب الكلي ليتقارب إلى حجم العرض الكلي ويتحقق التوازن كطريقة لعلاج الركود الاقتصادي وتسمي هذه السياسة بالسياسة النقدية التوسعية. حيث تهدف إلى زيادة الطلب علي السلع والخدمات وبالتالي تنشيط النمو الاقتصادي. كما أن خفض سعر الفائدة يقلل جاذبية الادخار لدي القطاع الخاص مما يرفع نسبة الاستهلاك لديهم مما يدفع بالطلب للأمام ودفع السوق نحو نمو اقتصادي (ضياء مجيد 1999).

2) **زيادة الانفاق الحكومي الاستهلاكي والاستثماري:** الانفاق الحكومي هو احدي أدوات السياسة المالية التي تستخدمها الحكومة لعلاج حالات الركود والتضخم. ففي حالة الركود الاقتصادي تستخدم الدولة سياسة مالية توسعية متمثلة في زيادة حجم الانفاق الحكومي بهدف دفع الطلب الكلي إلى الزيادة ليتناسب مع العرض الكلي، وذلك لعلاج حالة الركود الاقتصادي. وسواء كان الانفاق

الحكومي هذا علي السلع الاستهلاكية أو الاستثمارية ففي النهاية يعتبر أداة لدفع الطلب الكلي للأمام (بامخرمة والعصيمي 1996).

3) **تخفيض الضرائب:** تعتبر الضرائب احدي أدوات السياسة المالية (Financial policy) المستخدمة لعلاج التقلبات الاقتصادية. ومنها حالة الركود الاقتصادي، ففي هذه الحالة تعمل الدولة علي خفض الضرائب لكي تزيد من القدرة الشرائية للأفراد فيزيد الطلب الاستهلاكي وبالتالي يزيد الانفاق الكلي ليتناسب مع العرض ويتم القضاء علي الفجوة الركودية. وتسمي هذه السياسة بالسياسة التوسعية (Expansionist policy).

4) **زيادة كمية النقود:** في حالة الركود الاقتصادي تقوم الحكومة باستخدام سياسات علاجية لهذه الحالة سواء كانت سياسة مالية والمتمثلة في الانفاق الحكومي، والضرائب. أو سياسة نقدية والمتمثلة في سعر الفائدة. والتي سبق الحديث عنها، في حين أنها تملك أدوات نقدية أخري تستطيع التأثير من خلالها علي عرض النقود. ففي حالة الركود تستخدم الدولة ممثلة بالبنك المركزة سياسة نقدية توسعية تهدف إلى زيادة الانفاق أو الطلب الكلي وذلك بزيادة كمية النقود المعروضة. من هذه الأدوات ما يعرف بسياسة السوق المفتوحة (Open Market فيقوم البنك المركزي بشراء السندات الحكومية التي سبق بيعها للجمهور من السوق المفتوحة. بغرض التوسع في حجم الائتمان وزيادة حجم النقود المعروضة. كما أن هناك أداة أخري وهي نسبة الاحتياطي النقدي علي الودائع وهو ما يفرضه البنك المركزي علي البنوك التجارية للاحتفاظ به كاحتياطي بنسبة محددة من قيمة الودائع. ففي حالة الركود الاقتصادي يقوم البنك المركزي بتخفيض نسبة ذلك الاحتياطي مما يعمل علي زيادة عرض النقود من خلال التوسع في الائتمان (Diulio، 1997 Eugene ). بالإضافة إلى أن هنالك أداة أخري تعرف باسم سعر الخصم أو سعر اعادة الخصم (Rediscount rate) وهو السعر الذي يتقاضاه البنك المركزي نظير خصم الأوراق التجارية والأذون الحكومية للبنك التجاري، وهو يمثل أيضا سعر الفائدة الذي يتقاضاه البنك المركزي من البنوك التجارية نظير تقديم القروض لها. ويعتبر سعر اعادة الخصم من الأسلحة الهامة التي يستخدمها البنك المركزي للتحكم في حجم الائتمان. ففي حالة الركود الاقتصادي يعمد البنك المركزي إلى خفض سعر اعادة الخصم مما يعمل علي زيادة مقدرة البنوك التجارية علي زيادة الائتمان. هذا من ناحية، ومن ناحية أخري فان سعر اعادة الخصم هو بمثابة تكلفة تتحملها البنوك التجارية للحصول علي الأموال من البنك المركزي. فعندما ينخفض هذا السعر فانه من الضروري أن ينخفض سعر الفائدة الذي تتقاضاه البنوك التجارية من المقترضين فيزيد حجم الائتمان وتزيد كمية النقود فيزيد الانفاق الاستثماري ويزيد الانفاق الكلي (فايز الحبيب 2007).

**الطرق غير التقليدية لعلاج الركود الاقتصادي:**

بالرغم من قيام الدول باستخدام الطرق التقليدية السابقة لعلاج حالات الركود الاقتصادي التي تمر بها، الا أن تلك الطرق لم تحقق خروجا آمنا من حالة الركود، فضلا عن أنه يصعب في بعض الأحيان استخدام بعض تلك الطرق لعدم ملائمة الظروف الاقتصادية لتطبيقها. لذلك اتجهت بعض الدراسات للبحث عن وسائل غير تقليدية لعلاج الركود الاقتصادي نذكر منها:

- **دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي:**

للزكاة دور فعال في الحد من الركود الاقتصادي من خلال عدة محاور. أولها دورها في التضيق علي عناصر الانتاج المعطلة، والمتمثل في تحريم الاكتناز والدفع بعناصر الانتاج للتشغيل.

وبالتالي انعاش الاقتصاد. فالزكاة دافع للأموال نحو الاستثمار، ونظرا لأن الاسلام لا يتعامل بالفائدة. فان هذه الاستثمارات ستكون في أصول انتاجية تحتفظ بالقيمة الحقيقية لرأس المال في صورة قوة شرائية حقيقية.

والمحور الثاني يتمثل في محاربة الزكاة للبطالة. اذ أوجب الاسلام علي الانسان القادر العمل وشجعه علي ذلك وجعل الزكاة أداة تمويلية لإعانة كل من هو قادر علي الانتاج. وذلك لإيجاد طاقات انتاجية، اضافة إلى تشغيل الطاقات العاطلة وبذلك يتم القضاء تدريجيا علي البطالة (مجدي سليمان 2002).

المحور الثالث فهو يظهر أثر الزكاة في توزيع الدخل والثروة فهي تؤخذ من الأغنياء وتعطي للفقراء، أي يتم تحويل قوة شرائية أو دخل من الأغنياء إلى الفقراء مما يضمن تأمين مستوي من الطلب الفعال يكفي للإغراء بالقيام بإضافة استثمارات جديدة وجذب عدد كبير من العمالة مما يسهم في الحد من الركود الاقتصادي.

المحور الرابع والأخير وهو أن بعض أحكام الزكاة لها تأثير دائم في الحد من الركود الاقتصادي منها علي سبيل المثال:

- من ضمن مصارف الزكاة مصرف الغارمين: والغارم هو الذي عليه دين وعجز عن سداده. وتعتبر الزكاة مصرف من خلال سهم الغارمين أداة لتمكين الافراد من استغلال طاقاتهم الانتاجية وتعيدهم إلى مزاولة أنشطتهم بعد خروجهم منها بسبب أعباء الدين، أو حالات الافلاس. كما أن الدخول التي يحققها الافراد من مزاولة حرفهم وانشطتهم بفض سهم الغارمين توجد طلبا اضافيا، أي زيادة في الانفاق تؤدي إلى زيادة الانتاج الأمر الذي يؤدي إلى انعاش الاقتصاد والحد من الركود الاقتصادي.
- دوام دفع الزكاة طوال العام : ومعني ذلك أن تأثير الزكاة في الحد من الركود الاقتصادي يستمر علي مدار العام بالكامل. ويلاحقه إلى أن تختفي مشكلة الركود الاقتصادي.
- امكانية دفع الزكاة في صنف واحد من الثمانية مصارف: فقد تحدث كارثة لمدينة صناعية أو مجموعة تجار. من هنا أجاز الفقهاء صرف الزكاة في صنف واحد أو أكثر حسب الحاجة. اذ أن مساندة فئة بأكملها ممن أضيروا جراء الركود الاقتصادي سيؤدي إلى التخفيف من شرور الركود وستعمل هذه القوي بكامل طاقاتها من جديد وايجاد فرص عمل جديدة وانعاش السوق الاقتصادي للخروج من أزمة الركود الاقتصادي.
- يمكن التعجيل بدفع الزكاة: اذا كانت موارد الزكاة غير قادرة علي مجابهة حالة الركود الاقتصادي، فان بعض الفقهاء لايري بأسا في أن يخرج المسلم زكاته قبل حلها بثلاث سنوات لأنه تعجيل لها بعد وجوب النصاب، فيمكن تعجيل دفع الزكاة اذا كانت حالة المجتمع ماسة إلى الاموال. وخصوصا المضرورين من الأزمات الاقتصادية ولاشك أن ذلك بغرض المحافظة علي الاستقرار الاقتصادي، وكذلك التخفيف من حدة الركود الاقتصادي.

**2) التسويق الإلكتروني – المفاهيم والمراحل-**

قام العديد من الباحثين بتحديد ما يعرف بالتسويق الإلكتروني. وقد أصبح هذا المصطلح مصطلحاً نمطياً أو معيارياً بالنسبة لمنظمات الأعمال التي تمارس أي تعاملات أو معاملات باستخدام الإنترنت لتسويق منتجاتها أو خدماتها.

**1\2) تعريف وأهداف التسويق الإلكتروني**

❖ **تعريف التسويق الإلكتروني:**

يعرف التسويق الإلكتروني بأنه استخدام الإنترنت والتقنيات الرقمية المرتبطة به لتحقيق الأهداف التسويقية وتدعيم المفهوم التسويقي الحديث. هذا يعنى أن قيام الأفراد بما يسمى بالتسويق الإلكتروني هو عبارة عن استخدامهم لأجهزة الحاسب الآلي لاختيار وشراء العلامات التجارية التي يرغبون الحصول عليها. على أن تتم هذه العملية بالتحويل النقدي الإلكتروني (محمد 2008م).

ويمكن تعريف التسويق الإلكتروني على أنه إدارة التفاعل بين الشركة والمستهلك ضمن البيئة المتوقعة (الافتراضية) من أجل تحقيق التبادل المشترك من منافع مشتركة. أما البيئة الافتراضية للتسويق الإلكتروني تعتمد على ثقافة وتكنولوجيا الإنترنت. ولذلك فإن عملية التسويق الإلكتروني لا تركز فقط على عمليات البيع والشراء وإنما على تطبيق وتنفيذ الأدوات التسويقية إلكترونياً. كما وتركز على إدارة العلاقات بين الشركة والمستهلك من جانب والتكيف البيئي سواء البيئة الداخلية أو الخارجية من الجانب الآخر.(زكى وعبدالباسط ومصطفي 2012م).

يشبه الكثير من الكتاب شبكة الإنترنت بأنها منجم ذهب لمعلومات العملاء المرتقبين فأنت تحصل على معلومات مجانية وفراً، حيث تضع الكثير من الشركات بيانات تفصيلية عن أنشطتها ومنتجاتها وتمكنك من الحصول على المزيد من المعلومات في حالة طلبها أو عن طريق التحادث المباشر معهم عبر الإنترنت. وبهذا المفهوم فإن الإنترنت أكبر شبكة تليفونية عالمية وأكبر شبكة بريد مباشر. في خلال ثوان معدودة يمكنك الاتصال بأي مؤسسات في العالم مقدماً عروض وطالباً لمعلومات وترد على مراسلات وتخاطب الملايين بضغطة واحدة على زر حاسبك الآلي (طلعت 2014م).

❖ **أهداف التسويق الإلكتروني:**

سعى المسوقون من شركات أو أفراد إلى القيام بالجهود التسويقية عبر الإنترنت لتحقيق الأهداف الأساسية التالية: (زكى وعبدالباسط ومصطفي 2012م).

1- تحسين الصورة الذهنية للشركة أو المنظمة.
2- تقديم الخدمات وتحسين العناية بالزبائن.
3- البحث عن مستهلكين جدد وخلق فرص تسويقية جديدة.
4- زيادة معدل الوصول إلى أكبر عدد ممكن من المستهلكين على الصعيد المحلى أو الدولى وزيادة نطاق السوق المحلية والعالمية.
5- تخفيض التكاليف وتحقيق السرعة في أداء الأعمال.
6- تقديم قيمة مضافة وفائدة حقيقية للمستهلكين.

**2\2) التسويق الإلكتروني- المراحل وعناصر المزيج**

❖ **مراحل التسويق الإلكتروني:**

التسويق عبر الإنترنت يشتمل على عدة مراحل هي (زكى وعبدالباسط ومصطفي 2012م):

1- **مرحلة الإعداد:** يقوم البائع أو المنتج في هذه المرحلة بدراسة السوق من حيث حاجات ورغبات المستهلكين ليتم عرض سلعته أو الخدمة التي يستطيع إنتاجها حسب طلب المشترين والطلب

في السوق المحلى أو الخارجي لتوفير قاعدة البيانات اللازمة لهذه المرحلة. إن التحديد الدقيق لرغبات وحاجات المستهلكين المحليين أو المرتقبين أو الفعليين وحجم الأسواق والمنافسة تساعد الشركة في إنتاج سلع وخدمات تتماشى مع حاجاتهم ورغباتهم وطرحها في الأسواق الإلكترونية عبر الإنترنت لكى تحقق أهداف المنظمة بفعالية أكبر من منافسيها وتمنحها الصفة الدولية.

2- **مرحلة الاتصال:** في هذه المرحلة تستخدم الشركات العديد من وسائل الاتصال المختلفة للتواصل مع الزبون وفي الوقت نفسه للترويج عن منتجات الشركة من خلال وسائل الإعلان المختلفة بطريقة سهلة وواضحة ومفهومة للمستهلكين ومحاولة إقناعهم وحثهم على الشراء. وتستخدم الشركات الوسائل الإلكترونية في عملية الإعلان والترويج من خلال ما يعرف بصفحة الإنترنت كما يمكن للمستهلك معالجة المعلومات التي تحملها الوسائل الإلكترونية في عملية الإعلان والترويج المتعلقة بمنتجات الشركة من خلال نموذج AIDA ويتكون من المراحل التالية:

أ- مرحلة جذب الإنتباه.
ب- مرحلة توفير المعلومات اللازمة.
ج- مرحلة إثارة الرغبة.
د- مرحلة الفعل والتعرف السلوكي.

**3- مرحلة التبادل:** وهى مرحلة القبول والاتفاق ما بين الشركة أو البائع والمستهلك، أى يكون قد إلتقى العرض بالقبول ومن ثم يصدر المشترى قراره بالشراء إلكترونياً من خلال الدفع بأسلوب البطاقات الإئتمانية عبر الإنترنت والتي تكفل الآمان والحفاظ على السرية وكذلك المصداقية وإذا تحقق ذلك قد يصاحب الأمر بالشراء إصدار أمر بالدفع وذلك بإستخدام النقود الرقمية/ عمليات التبادل النقدى وغير النقدية من خلال ما يعرف ب (الإنترنت بنك).

**4- مرحلة ما بعد البيع:** بعد عملية التنفيذ من وجود خدمات إسناد ودعم إضافية فالعملية التسويقية لا تتوقف عند إستقطاب زبائن جدد بل أيضاً المحافظة على هؤلاء الزبائن في ظل المنافسة الموجودة من خلال:

1- إيجاد غرف محادثة أو مجتمعات إفتراضية.(Chat rooms)
2- المتابعة والتواصل عن طريق الوسائل الإلكترونية وتزويد المشترى بما هو جديد.
3- الإجابة وتوفير على قائمة الأسئلة المتكررة. FAQ Frequently Ask Question

❖ **عناصر المزيج التسويقى عبر الإنترنت:**

يمكن تطوير عناصر المزيج التسويقي عبر الإنترنت على النحو التالي: (بشير وحميد 2001م)

**أ- تطوير المنتج عبر الإنترنت:** تتضمن عملية التطوير المرن للمنتج القدرة على الإستثمار الأمثل لكل المتغيرات المتعلقة بالمنتج وما حوله من عوامل بيئية وتضمينها في المنتج نفسه حتى يستجيب المنتج لكافة التغيرات التي تحدث حوله جراء التغير المستمر في عوامل البيئة الداخلية والخارجية، أن الهدف الأساسي لتطوير المنتجات هو تقصى أو تحسس حاجات العميل وإختيار الحلول الفنية لدمج حاجات العملاء معها ووضع المرونة قيد الإختيار والعمل على إشباع الحاجات من خلال توفير المنتج الذى سيعمل على تحقيق أقصى ما يمكن من إشباع للحاجات والرغبات لدى العملاء.

**ب- التسعير عبر الإنترنت:** بدأ يأخذ التسعير منحنى أخر جديد في عصر الإنترنت وهو ما يطلق عليه التسعير المرن حيث يجد تطبيقاته من خلال الإنترنت الذى أضاف قناة تسويقية جديدة لعالم الأعمال والتسويق حيث تتوفر تطبيقات متطورة وهائلة تمكن المشترى من إستخدام تقنية أو برامج لتساعده في البحث عن أفضل الأسعار المتوفرة عبر الإنترنت إضافة إلى ذلك فإن المناقصات والمزادات العلنية عبر الإنترنت أحدثت ثورة في عالم التسعير. وتتمثل إجراءات التسعير عبر الإنترنت في الآتي:

- دراسة وفحص البيئة التسويقية.
- ربط التسعير بالسوق المستهدفة والمكانة التنافسية والمنتج.
- دراسة التكاليف وعلاقتها بالطلب على المنتج.
- إجراء جدول لمعرفة زيادة أو إنخفاض المبيعات وفقاً للأسعار
- إختيار السعر وفقاً للتكاليف ومرونة السعر والإستراتيجية الأفضل.

**ج- الإعلان عبر الإنترنت:** تتميز الإعلانات عبر الإنترنت بخصائص فريدة مقارنة بالإعلانات التقليدية وهى:

- إن الإعلانات عبر الإنترنت أشبه باللوحة الإعلانية الصغيرة والتي تأخذ شكلاً معيناً يظهر في أعلى الشاشة أو أسفلها ويتضمن صور ورسومات أو كلاهما معاً، إذ يتطلب من الزبون الضغط على الرسومات للدخول والتي يبحث عنها الزبون.
- إن القوة الإقناعية للوحة الإعلانية في حث الزبون على الدخول على الموقع تعمل من خلال القناة المركزية التي تعتمد على المنطق والقناة المحيطة التي تعتمد على الجاذبية والمشاعر.
- يتطلب الإعلان عبر الإنترنت أعلى درجات الإهتمام من حيث التصميم والإخراج للصور والصوت والحركة والنص.
- البحث عن أفضل المواقع لوضع الإعلان عليه وذلك للتأكد من وجود عدد كبير من الزوار لمثل هذه المواقع.

**د- التوزيع عبر الإنترنت:** توفر شبكة الإنترنت إمكانية إستحداث أنماط وأشكال جديدة من الوساطة بين منظمات الأعمال والزبائن حيث تعمل الشبكة على إستحداث قنوات جديدة للمعلومات والخدمات مثل البحث والتقييم وأفضل الأسعار السائدة وتقدير الحاجة وتطابق المنتج وخدمات الإسترجاع والضمان، وهذه المعلومات كلها تسهل عملية إتخاذ قرار الشراء من قبل الزبون، في الأسواق الإلكترونية لا تكون العلاقة مباشرة ما بين طول القناة وعدد الوسطاء وذلك لأن الأسواق الإلكترونية تتألف من قنوات مادية ومعلوماتية.

**3) دور التسويق الالكتروني في زيادة الطلب الكلي**

يتم في هذا الجزء القاء الضوء على الإستراتيجيات التسويقية الحديثة، ودورها في إنعاش حركة الشراء، والتأثير في النمط الإستهلاكى للمستهلك. من خلال استعراض حالات عملية لذلك، مع تقييم دور تلك الاستراتيجيات في علاج الركود الإقتصادى.

**3\1) الاستراتيجيات الحديثة للتسويق الالكتروني**

هناك العديد من الاستراتيجيات التسويقية المطورة التي تعمل علي دفع الطلب الكلي وتحريكه للأمام. من هذه الاستراتيجيات ما يلي:

**1) <u>إستراتيجية تطوير المنتجات الجديدة</u>**

تتطلب إستراتيجية تطوير المنتجات الجديدة إبتكاراً ينبنى أساساً على حاجات ورغبات المستهلكين ومقدرة الشركة على تلبية هذه الحاجات بشكل دائم ومتجدد، إن هذا التحول نحو الإبتكار والشركات القائمة على الإبتكار يعود إلى حقيقة أن الشركات أصبحت تمتلك الموارد الكبيرة والتقنية العالية والخبرات الفنية والإدارية الخاصة بالتعامل مع الإبتكار بوصفه نشاطاً منظماً ومتميزاً من أجل الوصول إلى ما هو جديد كلياً أو جزئياً (الإبتكار التدريجى أو التحسين). إن الإبتكار يعنى التوصل إلى ما هو جديد، فالجديد قد يكون فكرة أو مفهوم جديد ورغم أهمية الفكر والمفهوم إلا أنهما لا يكونان كافيين إذ لا بد من التطبيق الجديد في منتج جديد أو عملية جديدة. لهذا فإن الإبتكار هو التوصل إلى ما هو جديد بصيغة التطور المنظم والتطبيق العملى لفكرة جديدة مما يعنى أن الإبتكار لا يقف عند عتبة الفكرة الجديدة وإنما يعبرها إلى التطبيق العملى في تحقيق الشركة لأهدافها في السوق(نجم 2003م).

تتطلب إستراتيجية تطوير المنتجات متطلبات فنية ومتطلبات وتفاصيل مرتبطة بعناصر المزيج التسويقى ومتطلبات خاصة بوجود خطط وإستراتيجيات عملية للتعامل مع الظروف الطارئة بهدف التكيف معها وبما يضمن إستمرارية تحقيق الموارد للمؤسسات. يجب أن تخضع عملية التطوير للمنتجات لمجموعة من الإعتبارات أهمها (محمد 2004م)

1- تهيئة بيئة مناسبة للتحديث والإبداع والإبتكار.
2- تبنى إستراتيجية التطوير كأحدى إستراتيجيات التنمية الشاملة والمستدامة.
3- أن تعتمد إستراتيجية التطوير على أهداف ممكنة التنفيذ.
4- توفير الموارد المادية والبشرية الكافية لإحداث عملية التطوير على المستويين الكلى والجزئى.

مع فكرة تطوير المنتجات يجب التفكير في وجود علامة تجارية عالمية أو رمز موحد لكافة المنتجات يميز المنتج عن غيره من المنتجات مع الإهتمام بعملية التعبئة والتغليف وتطويرها بما يتناسب مع أذواق المستهلكين والتكنولوجيا الحديثة ووضع برنامج خاص بخدمات ما بعد البيع والضمان وقراءة المنافسة وتتبع المنافسين. بالإضافة إلى الآتى حتى يتحقق التميز والنجاح:

1. أن المرونة مطلوبة بشكل كبير عند الحاجة إلى إحتلال موقع في السوق وخاصة مع قوة المنافسين.
2. إستخدام سياسة واضحة للغاية وممكنة للتطبيق.
3. أن التوقيت عصب عملية التشكيل، فإستخدام الوقت بشكل تنافسى يعطى للشركة مجموعة من المميزات على المنافسين.
4. أن الإعتماد في الحصول على المركز المميز ليس بجودة المنتج فقط، بل يمكن أن تتعدد أسس الحصول على المركز المميز...

أ-إمكانية تميز السلعة بعوامل حاكمة (الجودة- الشكل- الأداء- طول العمر- التحمل).

ب-التميز في الخدمة المقدمة بعد البيع مثل خدمات التسليم- التركيب- تدريب العميل- الإستشارات- خدمات الإصلاح والصيانة.

ج-تميز المنشأة ذاتها مثل الصورة الذهنية والمحافظة عليها وإمكانية الاتصال بسهولة بأى مسؤول في المنشأة.

**2) إستراتيجية تسعير المنتجات:**

التسعير هى إحدى الجوانب المهمة الجاذبة للشراء وينبغى على الشركات إنتهاج سياسات تسعيرية مختلفة ومناسبة على حسب نوعية المنتج والخدمات المقدمة ودرجة التكنولوجيا المستخدمة في التصنيع. من المزايا الإستراتيجية التي تزيد من فرص نجاح الشركات الرائدة هى: (طلعت 2014م)

1- أصنع هدفاً سعرياً متعدد الأغراض يؤدى إلى تعظيم الربح من خلال زيادة إيرادات المبيعات، وتحقيق زيادة مستمرة في الحصة السوقية وتؤدى إلى خلق مركز مميز بين المنشآت المنافسة والمتماثلة.
2- وضع تصوراً للطلب على منتجاتك، وتنبأ بالكميات المتوقع شراؤها وفقاً لمستويات الأسعار المختلفة.
3- ضع أسعار المنافسين نصب عينك وحللها بإستمرار حتى تحدد لنفسك مكاناً مميزاً لسعرك بما يحقق أهدافك التسويقية.
4- تخير الطريقة المثلى لتسعير منتجاتك ويمكن الإختيار من بين الطرق الآتية:

- كشط السوق: وحيث تركز على أصحاب الدخول العالية، الجودة، الخدمة والتسليم والعناصر الأخرى في المزيج التسويقي.
- الإختراق: هو تقديم المنتجات بسعر يقل عن الأسعار المنافسة في السوق وبما يمكن من الإستحواذ على أكبر حصة ممكنة من السوق.
- التسعير التنافسي: وذلك عن طريق تسعير المنتجات أما بأسعار عالية تكسب المنتجات إحتراماً في السوق أو عن طريق إستخدام الأسعار الكسرية.

**3) إستراتيجية التوزيع:**

يعد التوزيع الشامل مهماً في ترغيب المستهلكين في الحصول على المنتجات بالسرعة المطلوبة، ومن أهم عوامل نجاح الشركة في مجال التوزيع الآتى:

1- سرعة التسليم: من خلال نظام محكم معد على الحاسب الآلى يمكن الشركة من إجراء رقابة على فروعها، مما يؤدى إلى وصول المنتجات المطلوبة في الوقت السليم تماماً وليس متأخراً أو متقدماً وبالتالي تتحقق مطالب العملاء بصورة أفضل.
2- تحديد شريحة السوق المرتقبة للمنتجات الملائمة: تحدد الشركة الشريحة التسويقية من حيث الدخل والطبقة الإجتماعية.
3- توفير قوة بيعية مدربة: لايقف تعرف رجال البيع ومديرو الفروع على المعلومات العلمية، بل عليهم أن يفكرون بمستوى الإستراتيجية الموضوعة وبالتالي فهم يساعدون في جذب وحماية الفرصة التسويقية عن علم كامل بأبعادها.
4- الرغبة في التطوير والتجربة: تقوم الشركة بتبني نموذج للتطوير المتكامل وتلقى أفكاره وجمعها ودراستها على كل المستويات خاصة بالنسبة لمناطق التوزيع، ودراسة المناطق

الجغرافية وإضافة خدمات جديدة للعملاء، وتقديم مجموعة متعددة من المتاجر الكبيرة جداً والصغيرة جداً في ضوء التكلفة والعائد. ويؤمن الجميع في الشركة أن النجاح لا يستمر دون أن نقاتل من أجل ذلك.

5- العناية بالتفاصيل الدقيقة: أن التعامل في ظل التوسع الأفقي وخاصة في السلع الإستهلاكية من الأمور التي تعتمد على ملاحظة دقيقة لسلوك المستهلك وفقاً للظروف الإقتصادية المحلية، ومدى تطور سلوك المنافسين في كل منطقة. حيث تجمع كل التفاصيل ويتحدد على أساسها الجودة المدركة للمنتجات. والخدمة وتقديمها، وكذلك تقييم للجهود التسويقية الأخرى. وبالتالي يمكن للمنشأة مواءمة سياساتها مع متغيرات المناطق التي تتوافر فيها المتاجر.

**3) <u>إستراتيجيات الترويج:</u>**

الترويج هو إحدى الدوافع الأساسية للقيام بعملية الشراء وتحريك الطلب، من وسائله: الإعلان، البيع الشخصي، تنشيط المبيعات، النشر، العلاقات العامة والتسويق المباشر.

تمتلك الكثير من المنشآت في العالم العربي موقعاً خاصاً على الإنترنت Website والذى قد يكون مميزاً في تكوينه إلى أقصى مدى، وتقدم مجموعة من الخطوات الطريق المتكامل لجذب العملاء لزيارة الموقع هي:

1- ضع عنواناً مناسباً لموقعك: يكون قصيراً ومعبراً.
2- إبحث عن كافة الكلمات المعبرة والملتصقة بنشاطك.
3- أكتب وصفاً واضحاً للصفحة المزمع عملها.
4- ضع صفحتك على مواقع البحث الهامة.
5- ضع صفحتك أيضاً على كل 300 موقع بحث مختلفة.
6- أطلب حلقة وصل في المواقع التي تنتمى إليها صناعتك.
7- ضع موقعك بشكل واضح على كل مطبوعاتك وبطاقات موظفيك.
8- ضع ترويجاً لموقعك مستخدم كل الوسائل الإعلانية التقليدية.
9- أجعل في موقعك شيئاً فريداً يبحث عنه الناس بشكل مجانى.
10-قم بالتعديل الدائم لموقعك وتطويره وتقديم مجموعة من الأخبار الجديدة.
11-أطلب وسائل ربط لصفحتك مع مواقع الأعمال المرتبطة بك.
12- أبحث وأحصر أكبر عدد ممكن من البريد الإلكترونى للعملاء.
13- قم بإصدار نشرة شهرية أو أسبوعية على الإنترنت.
14- قم بتطبيق توقيعك على كل مراسلاتك.
15- إرتبط بشريط تبادلي حيث تتم الموافقة على إمكانية عرض شريط إعلاني للآخرين عند عرض صفحتك في مقابل أن يقوم الغير بتبادل هذا الأمر معك.
16- قم بشراء مجموعة من الشرائط الإعلانية.
17- قم بشراء أو إستئجار قوائم للبريد الإلكتروني التي يتم طلبها وتقديمها من المنشآت المتخصصة أو المواقع التي تقوم ببيع هذه العناوين وبأسعار قليلة للغاية.
18- قم بإعداد خطة إرتباط متكاملة مع المواقع الأخرى.

19-أطلب من عملائك تسجيل بريدك الإلكتروني وصفحتك تسجيل مباشر في بريدهم الإلكترونى.

20- لا تنسى أن تضغط على دوافع الناس وعواطفهم ورغباتهم في الربح.

الأمر يتطلب بنك معلومات متكامل من مطالب العملاء وعناوينهم على الإنترنت وعناوينهم المنزلية، والذى يمكن أن يستخدم في البيع المباشر.

**3\2) حالات عملية للاستراتيجيات التسويقية الحديثة**

**سلع التسوق Shopping Goods:** وهى السلع التي لا يقرر المستهلك شراؤها إلا بعد إجراء المقارنة اللازمة بين الأصناف المعروضة في السوق. حيث تتم المقارنة بين الأصناف المتاحة عند كل عملية شراء تقريباً، وذلك بغرض المفاضلة بين السعر وخصائص المنتجات، والجودة والضمان والخدمات المقدمة، وبحيث يحصل المستهلك على أفضل الشروط المعروضة، ومن امثلة هذه السلع الأدوات المنزلية، والملابس والأثاث والأدوات الكهربائية المنزلية....الخ. ويبذل المستهلك وقتاً أطول في عمليات البحث بالمقارنة بالسلع الميسرة، ويطلق عليها بعض الكتاب (السلع الإنتقائية).

**سوق دوت كوم:** يعتبر موقع سوق.كوم من أشهر وأفضل المواقع للتسوق في العالم العربى في كل من الإمارات، مصر، الكويت، والمملكة العربية السعودية، سوف نتناول موقع المملكة العربية السعودية في الرياض وجدة بالتركيز على نموذج أجهزة المطبخ المنزلية، ونموذج الملابس. يهتم الموقع بعرض تفاصيل أدوات المطبخ والتخزين ويتم عرض مختلف أنواع الملابس بآخر صيحات الموضة وبمقاسات مختلفة وتشكيلات متنوعة وبسعر مناسب بالإضافة إلى حقائب يد، إكسسوارات، فساتين، جاكيتات، نظارات....الخ. يبرز الموقع تفاصيل كل وحدة من الوحدات السابقة بعرضها بصورة واضحة ومرئية، حيث عرض الموقع ما يقارب 1195 ألة مطبخ متنوعة بأشكال وأحجام ومقاسات مختلفة، وموضح مع كل آلة سعرها بالريال وهناك عروض وتصفيات وخصومات في السعر تصل إلى نسبة 70%. مما يسهل على المستهلك قرآة السعر ومقارنته بالخصومات هذا بالإضافة إلى معاينة السلعة وتفحصها في كل الأوقات وفي كل الأماكن وهذه ميزة يوفرها التسوق عبر الإنترنت. يوضح الموقع كيفية إتمام عملية الشراء من خلال توضيح سياسات وإرشادات عرض المنتجات للبيع، كيفية الشراء، رسوم البيع، كيفية البيع، سياسة إرجاع السلع، ووضع رقم خاص بالاتصال بخدمة المستفيدين وتحديد أيام و أوقات الاتصال وهى يومى الخميس والسبت من الساعة 8 صباحاً إلى الساعة 12 منتصف الليل، ويوم الجمعة من الساعة 2 ظهراً وحتى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل. ويوضح الموقع طريقة الدفع بالكاش أو بالفيزا ويتم الدفع عند الإستلام. وهذه الإجراءات تساعد المستهلك في إتخاذ قرار الشراء وتقلل من تكلفة التنقل والبحث عن السلع في الأسواق المختلفة وسرعة توصيل السلعة وضمان جودتها وسلامتها.

**3\3) تقييم دور التسويق الإلكترونى في علاج الركود الإقتصادى:** استخدمت كل من السياسات المالية والنقدية بأدواتها المختلفة، في علاج حالة الركود الاقتصادي. ولكنها لم تستطع الحد منه بالدرجة المتوقعة، وذلك لأن أدوات السياسة المالية والمتمثلة في "زيادة الانفاق الحكومي" و "تقليل الضرائب" لم تستطع الحد من الركود الاقتصادي فقط. بل كانت سببا من أسباب حدوثه، حيث أظهرت العديد من المشكلات عند التطبيق، والتي سبق وأن أوضحناها عند تناول اسباب الركود الاقتصادي. كما أن أدوات السياسة النقدية والمتمثلة في "سياسة السوق المفتوحة " و "سياسة اعادة سعر الخصم" لم تحقق الهدف منها في علاج الركود الاقتصادي. خاصة في الدول النامية، بسبب عدم كفاءة الأسواق المالية في تلك الدول. علاوة علي أن الطرق غير التقليدية والمتمثلة في

"الزكاة" لم تستطع الحد من الركود الاقتصادي بالرغم من فاعليتها، لأنها لاتستخدم بشكل جبري في تلك الدول. لذلك كان الأمل معقودا علي طرق أخري تستطيع التأثير علي السلوك الشرائي للمستهلك، وبالتالي تدفع الطلب الكلي للامام. والتي كان منها ماعرف بالتسويق الالكتروني، وقد وجدنا أن هذه الأداة الجديدة استخدمت عدة استراتيجيات، كان الهدف منها تطوير المنتج، وتقديمه بشكل جديد بما يناسب رغبات المستهلك، وربط المنتج في ذهنه بعلامة مميزة، مع الاهتمام بالتعبئة والتغليف، كما ركزت علي التسعير باعتباره أحد الجوانب المهمة الجاذبة للشراء وبالتالي تحريك الطلب للأمام. بالاضافة إلى تطوير الاستراتيجيات الخاصة بالتوزيع، والتي تهدف إلى حصول المستهلك علي المنتج بالسرعة المطلوبة، وأخيرا قدمت تطورا هائلا في الترويج باعتباره دافع أساسي في القيام بالعملية الشرائية وتحريك الطلب. ومن خلال استعراض الحالات العملية التي طبقت تلك الأداة "التسويق الالكتروني" ومثال لها "سوق. كوم" وجدنا أنه كان لها أثر كبير في زيادة العمليات الشرائية وبالتالي تحريك الطلب الكلي، عن طريق ماقدمته من وسائل ترغيبية للمستهلك، ووسائل تسهيلية أيضا منها توصيل المنتج للمستهلك، وتخييره في طريقة الدفع، علاوة علي ماتوفره للمستهلك من امكانية الاطلاع علي جميع المنتجات بتفاصيلها دون الانتقال من مكانه مما يقلل التكاليف ويوفر الوقت والجهد للمستهلك. وتلك العوامل كان لها أثر بالغ في زيادة العمليات الشرائية وبالتالي الدفع بالطلب الكلي للامام. أي أنه يمكن القول أن للتسويق الالكتروني أثر بالغ الفاعلية في تحريك الطلب الكلي وهو وسيلة ملائمة وفعالة في علاج الركود الاقتصادي.

## النتائج والتوصيات:

### أولا: النتائج:

1- أن الركود الاقتصادي بالرغم من أنه حالة حتمية من حالات الدورات الاقتصادية، الا أنه لابد من علاجه، أو الحد منه لكي لايصل إلى حالة أكثر خطورة وهي حالة الكساد.
2- أن الطرق التقليدية لعلاج الركود الاقتصادي والمتمثلة في السياسات المالية والنقدية لم تحقق فاعلية في علاج الركود الاقتصادي.
3- للتسويق الإلكترونى دور فعال في علاج الركود الإقتصادى كما تبين ذلك من خلال موقع سوق. كوم حيث تزايد الطلب على سلع التسوق كأجهزة المطبخ المنزلية والملابس.
4- بالنظر لموقع سوق. كوم تبين أن المعروض من السلع يناسب الفئات الموجود في هذه المناطق بحاجاتهم ورغباتهم ومقدرتهم المادية، كما أن هناك إمكانية للإتصال المباشر مع الجمهور ومتفاعل معهم لاستخدامه أساليب التسويق المتكامل المتمثل في تطوير المنتجات بأشكال وأحجام مختلفة، وإنتهاج سياسات تسعيرية مناسبة للجمهور المستهدف، والإعلان عن المنتجات بشكل واضح ومميز.

### ثانيا: التوصيات:

1- التنقيب عن وسائل مختلفة لعلاج المشكلات الاقتصادية المعاصرة.
2- وضع إجراءات ووسائل وقائية للحد من مشكلة الركود الإقتصادى من خلال إنتهاج أساليب حديثة في الإعلان والترويج بإعتبارهما من أهم دوافع عملية الشراء.
3- ضرورة تبنى إستراتيجيات إبتكارية في التسويق الإلكترونى لجذب العملاء والمحافظة عليهم.
4- دراسة حاجات ورغبات المستهلكين بشكل دائم لتلبيتها والتعرف على المقدرة الشرائية والتي تؤثر على الطلب الخاص بالسلع.

## المراجع:


أحمد سعيد بامخرمة ومحمود حمدان العصيمي – **المساعد في مبادىء الاقتصاد الكلي** – دار الزهراء للنشر والتوزيع – الرياض 1996.

أحمد محمد النجار – **لمحة عن علاج آثار الدورة الاقتصادية-** 2000.

بشير العلاق، وحميد الطائى، **تسويق الخدمات**، عمان، دار زهران للنشر، 2001م.

حسين شحاتة – **الركود الاقتصادي ونقص السيولة** – مركز صالح كامل جامعة الأزهر 2009.

رند عمران مصطفي الأسطل، رسالة ماجستير منشورة، كلية التجارة، الجامعة الإسلامية، غزة، 2009م.

زكريا أحمد عزام و عبد الباسط حسونة و مصطفي سعيد الشيخ، **مبادىء التسويق الحديث (بين النظرية والتطبيق)**، عمان، دار الميسرة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة 2012م.

ضياء مجيد – **النظرية الاقتصادية "التحليل الاقتصادى الكلى"** – مؤسسة شباب الجامعة – الاسكندرية 1999.

طلعت أسعد عبد الحميد، التسويق الفعال**(كيف تواجه تحديات القرن 21)**، القاهرة، رؤية للطباعة والتجهيز الفنى، 2014م.

عبدالرحمن السلطان – ما هو الركود الاقتصادي – مجلة الاقتصادية – العدد (7410) سنة 2013.

على قاسم حسن العبيدى،جاسم عبدان المعمورى، جليل كاظم مدلول، مجلة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 19، العدد1، 2011م.

فايز ابراهيم الحبيب – **مباىء الاقتصاد الكلي** – مكتبة الملك فهد الوطنية – الرياض 2007.

قسوم خيرى بلال – **أشكاليات الاقتصاد والتنمية في السودان** – 2005.

مجدي عبد الفتاح سليمان – **دور الزكاة في علاج الركود الاقتصادي** – مجلة الوعي الاسلامي – الكويت العدد 445 سنة 2002.

محمد إبراهيم عبيدات، **تطوير المنتجات الجديدة(مدخل سلوكى)**،عمان، دار وائل للنشر والتوزيع،2004م.

محمد عبد الحليم عمر – **مشكلة الاغراق وحرق الأسعار** – مركز صالح كامل – 2000.

محمد عبد العظيم أبو النجا، **إدارة التسويق(مدخل معاصر)**، الإسكندرية، الدار الجامعية،2008م.

محمد عمر شابرا – **نحو نظام نقدى عادل** – المعهد العالمي للفكر الاسلامي – الطبعة الاولي 1987.

نظام موسى سويدان وشفيق إبراهيم حداد، **التسويق**، عمان، دار الحامد، 2003م.

Komenar, M, 2000, **Electronic Marketing**, New York John Wiley

and sons.- Lawrence, E.1998, Internet Commerce, Digital Models for business, New York, John Wiley and sons.

Porter, M. 2001**, Strategy and the Internet,** Harvard Business Review, march.

Chaffey, D., Mayer, R., Johnston, K. and Ellis Chadwick. F. 2000, **Internet Marketing**, Person Education Limited, Harlow.

Diulio, Eugene; Macroeconomics, 3rd ed., schaums outlines series, McGraw-Hill, 1997.


**********

**أمارابك**: مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 97-110**

# دور معايير المحاسبة الدولية في تحسين الإفصاح المحاسبي

***الطيب حامد إدريس موسى*** (*)
***الفاتح الأمين عبد الرحيم الفكي*** (**)

**الخلاصة**: تمثلت مشكلة البحث في عدم الاهتمام بالإفصاح المحاسبي وتطبيق معايير المحاسبة الدولية عموماً في السودان كواحدة من المتطلبات الأساسية لمواجهة التحديات المعاصرة. ويهدف البحث إلى إيضاح أن تطبيق معايير المحاسبة الدولية يعتبر طريقة لتحسين الإفصاح المحاسبي، كما هدف إلى إيضاح واقع العمل المحاسبي في ظل تطبيق معايير المحاسبة الدولية في السودان. واستخدم الباحثان المنهج الاستنباطي عند اختيار مشكلة البحث وعند صياغة الفروض العلمية للبحث، بالإضافة لاستخدام العديد من مناهج البحث والتي منها المنهج التاريخي بالإضافة إلى التحليل الإحصائي الذي تم الاعتماد عليه في الدراسة الميدانية. تمثل مجتمع الدراسة في مجموعة من المحاسبين والمراجعين الممارسين للعمل المحاسبي بالإضافة إلى الأكاديميين. ومن أبرز النتائج التي تم التوصل إليها؛ يؤدى تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة إلى تحسين الإفصاح المحاسبي، كما أنّ هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي.

**الكلمات المفتاحية**: الشفافية، التدفقات النقدية، التقارير المالية، الإفصاح المحاسبي، السياسات المحاسبية

# The Role of International Accounting Standards to Improve the Accounting Disclosure: Case Study

***Altait Hamid E. Musa***
***Alfateh A. A. Alfaki***

**Abstract**: The problem of the lack of attention to research in the accounting and disclosure of the application of international accounting standards generally in Sudan as one of the basic requirements to meet the challenges of today. The research aims to clarify the application of international accounting standards is a way to improve the accounting disclosure, as the goal to clarify the reality of accounting work in light of the application of international accounting standards in Sudan. The researcher used deductive approach when choosing a research problem and in the formulation of scientific hypotheses for research, in addition to the use of many of the research methods, which include the historical method in addition to the statistical analysis that has been relied upon in the field study. The sample of the study represent in a group of accountants and auditors practitioners of accounting work in addition to academics. The main results that have been reached; leads the application of international accounting standards in a proper way to improve the accounting disclosure, and that there is a relationship between the application of international accounting standards and accounting disclosure.

**Keywords**: Transparency, Cash flows, Financial reporting, Accounting disclosure, Accounting policies.

(*) أستاذ المحاسبة المساعد بكلية إدارة الأعمال بعفيف-جامعة شقراء-معار من جامعة أم درمان الإسلامية-السودان،
(**) أستاذ المحاسبة المساعد كلية العلوم والدراسات الإنسانية بالدوادمي –جامعة شقراء –معار من جامعة كسلا- السودان،
drfatohey@yahoo.com

**تمهيد:**
تولى الأوساط العلمية والثقافية والسياسية في الآونة الأخيرة اهتماما بالغاً بمعايير المحاسبة الدولية، وقد انعكس هذا الاهتمام على تحسين الإفصاح المحاسبي. وإن الاهتمام بدراسة المعايير المحاسبية الناجمة عن ممارسة المشروعات لأنشطتها وقضية الاهتمام والمحافظة على المعايير بصفة خاصة في أرجاء العالم ويتبع هذا الاهتمام قيام المهنة بالبحث عن الدور الفعال في مجال تطوير الإفصاح المحاسبي وذلك كمساهمة من القائمين على أمر مهنة المحاسبة في تقديم المعاونة في مجال الحفاظ على تطبيق المعايير المحاسبية.

**مشكلة البحث:**
تتمثل مشكلة البحث في عدم الإفصاح المحاسبي وتطبيق معايير المحاسبة الدولية في السودان كواحدة من المتطلبات الأساسية لمواجهة التحديات المعاصرة. وعدم الخبراء وقلة اهتمام المؤسسات الأكاديمية والمهنية بالإفصاح المحاسبي نتيجة اقتناعها بان تطبيق المعايير المحاسبية ومكافحة المشكلات التي تواجه تطبيق المعايير ومنعها والتحكم فيها قبل حدوثها هو الهدف والوسيلة لتحسين الإفصاح المحاسبي، فلا زال هناك قصور واضح في تطبيق معايير المحاسبة والإفصاح عنها وكلها تنعكس سلبا على المجتمع، فلا زال هنالك حاجة لإنشاء معايير محاسبية دقيقة، مفيدة وموثوق فيها بدرجة عالية من الإفصاح وهنالك غموض بخصوص تفاصيل تطبيق المعايير المحاسبية، ونجد أن الإفصاح المحاسبي في المنشآت يختلف من منشأة لأخرى قد ينقصه المصداقية. ويمكن صياغة مشكلة البحث في التساؤلات التالية:
1/ هل يؤدى تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة إلى تحسين الإفصاح المحاسبي؟
2/ هل هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي؟

**أهداف البحث:**
يهدف هذا البحث إلى النقاط التي تتعلق بدور معايير المحاسبة الدولية في تحسين الإفصاح المحاسبي وهى تتمثل في الآتي:
1- إيضاح أن تطبيق معايير المحاسبة الدولية يعتبر طريقة لتحسين الإفصاح المحاسبي
2- التعرف على معايير المحاسبة الدولية
3- التعرف على الأسس والقواعد المحاسبية التي تتعلق بالإفصاح المحاسبي.
**4-** إيضاح واقع العمل المحاسبي في ظل تطبيق معايير المحاسبة الدولية في السودان.

**أهمية البحث:**
تنبع أهمية البحث العلمية من خلال الاهتمام بدراسة معايير المحاسبة الدولية والالتزام بالقوانين واللوائح الموضوعة من جانب الحكومات للحفاظ على سلامة الإفصاح المحاسبي. وتأتى الأهمية العملية في هذا البحث من ضرورة تطوير المعايير المحاسبية في المجتمع من اجل مواجهة التحديات المعاصرة، ولاسيما تلك التي تفرضها المتطلبات المحاسبية من خلال إصدارات المنظمات المعنية بسلامة تطبيق المعايير المحاسبية الأمر الذي يتطلب إيجاد إطاراً فكرياً لتحسين الإفصاح المحاسبي في المنشأة.

**مناهج البحث ومصادر جمع البيانات والمعلومات:**
تم استخدام المنهج الاستنباطي لاختيار المشكلة وصياغة الفروض والمنهج الاستقرائي لإثبات مدى وصحة الفروض والمنهج التاريخي للدراسات السابقة والمنهج الوصفي ومنهج التحليل الإحصائي، وتم الاعتماد على الكتب والدوريات والمقابلات الشخصية لجمع المعلومات، والاعتماد على الاستبيان كأداة لجمع البيانات من عينة الدراسة.

**حدود البحث:**
الحدود الزمنية: العام 2013م
الحدود المكانية: ولاية الخرطوم
الحدود البشرية: الأكاديميين والمحاسبين والمراجعين في السودان

**فرضيات البحث:**
يسعى هذا البحث إلى تحقيق الفرضيات التالية:
1/يؤدى تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة إلى تحسين الإفصاح المحاسبي
2/ هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي

**الدراسات السابقة:**
**دراسة فائزة محمد أحمد آدم 2004م:**
ركزت مشكلة الدراسة على طريقة حجم الإفصاح المحاسبي التي تقوم به الشركات وخصوصاً الشركات القابضة فيما يتعلق بمعلومات تحدث في الشركات التابعة لها، وهدفت الدراسة إلى التعرف على الإفصاح ومشاكله وأهميته، توصلت الدراسة إلى أن عدم الالتزام بالمعايير ينتج عنه نتائج مضللة وأن الإفصاح عنها ذات أهمية قصوى ويساعد في التعرف على الموقف المالي الحقيقي للمجموعة وثم اتخاذ القرارات الاستثمارية المحاسبية، وان الالتزام بالمعايير والضوابط المحددة كان سبباً رئيسياً في الإفصاح التام في قوائم المجموعة قبل التجمع وإجراء التسويات المحاسبية اللازمة وثم التأكيد على ضرورة وإيضاح ما تحتويه البنود. يرى الباحثان هذه الدراسة ركزت على الإفصاح المحاسبي في الشركات ولم تتناول معايير المحاسبة الدولية كما تناولته الدراسة الحالية.

**دراسة: عبد العال إبراهيم علي 2005م**
تناولت هذه الدراسة أثر تطبيق معيار المحاسبة الدولي رقم (1) المتعلق بالإفصاح على جودة نوعية الإفصاح في القوائم المالية، وهدفت الدراسة إلى معرفة إمكانية تطبيق معايير المحاسبة الدولية في السودان ومن ثم بيان دور المعيار المحاسبي في تحسين جودة المعلومات وبيان أثر تطبيق المعيار المحاسبي الدولي في الإفصاح والعرض على القوائم المالية، وتعرضت هذه الدراسة لمشاكل منها أن ضعف دور المنظمات والجمعيات المهنية بالسودان باستخدام الطرق والممارسات المحاسبية التي تتوافق مع مصالحها وأن الاختلاف والتباين في نوعية وكمية المعلومات المحاسبية في القوائم المالية مما تصعب مقارنتها وغياب دور السلطات الحكومية في إصدار التعليمات الملزمة باستخدام معايير المحاسبة وتوصلت الدراسة إلى أن تطبيق معيار المحاسبة الدولي يؤدي إلى زيادة التبادل التجاري تدفق الأموال من الداخل والخارج إلى المنشآت المحلية والقوائم المالية التي يتم إعدادها وفقاً لهذه المعايير تكون أكثر مصداقية وشفافية وينتج عنها معلومات محاسبية ملائمة يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات الرشيدة وأن معيار المحاسبة الدولية تتوافق مع الظروف البيئية للمنشآت والمؤسسات السودانية.

**دراسة هاريس وأولسن Harris and Olson 1997م:**
هدفت الدراسة إلى اختيار ملائمة الإفصاح المحاسبي عن الاحتياجات ضمن الإفصاح المكمل وتوصلت الدراسة إلى أن طريقة تطبيق معيار المحاسبة يؤدى إلى نتائج حقيقية في القوائم لأنها أكثر ملائمة بمبادئ المحاسبة المتعارف عليها لذلك فإن الأرباح التي تظهر هي الأكثر دقة والأقرب إلى الصواب.

**دور معايير المحاسبة الدولية في تحسين الإفصاح المحاسبي**

**المبحث الأول: معايير الإفصاح المحاسبي الدولية:-**

مجلس معايير المحاسبة المالية الأمريكي وهو الملزم باتخاذ قرارات تؤثر في رفاهية المجتمع وقد حاول بدون نجاح في نظر منتقدي المجلس لمعالجة هذه المسألة بالرجوع إلي الصفقات النوعية للمعلومات المحاسبية والتي يعتقد بأنها يجب أن تمتلك معلومات مفيدة ويقول المجلس بان المعلومات يجب أن تكون أيضا موثوق بها ومحايدة وعدم التحيز وتتصف بالتمثيل الصادق الأمين وهنا عندما تتصف المعلومات بهذه الصفات ستكون ذات منفعة وفائدة للمجتمع، بالإضافة إلي ذلك إذا تم التركيز علي أهمية المعلومات المطلوبة بالنسبة للمستثمرين الأكثر دراية فإن أحد الأهداف يجب أن يكون عرض معلومات كافية لتسمح بالمقارنات للنتائج المتوقعة فقابلية المقارنة مع ذلك، يمكن تطبيقها علي الأقل بطريقتين مختلفتين الأولي تزويد إفصاح كافي عن كيفية قياس الأرقام المحاسبية واحتسابها لتسمح للمستثمرين لتحويل المبالغ من المنشأة المختلفة إلي مقياس والتي تكون قابلة للمقارنة مباشرة وهذا يعني الافتراض بأن الأرقام المحاسبية المعدلة لعدة منشآت يمكن استخدامها من قبل المستثمرين لتحديد درجات الاختلاف فيما بينها فعلي سبيل المثال بالنسبة لمعدلات النمو لصافي الدخل أو أرباح الأسهم والطريقة الثانية لتطبيق قابلية المقارنة وهي السماح للمستثمرين من إجراء مقارنات تفاضلية للمدخلات المتعددة في نماذج القرار فعلي سبيل المثال يمكن للمستثمر مقارنة المخاطر للمنشأتين ويستنتج فقط بأن أحدهما أكثر أو أقل مخاطرة من الأخرى، حيث يعتبر الإفصاح الذي ينص عليه المعيار بجميع بنوده وفقراته هو المقياس الذي يتم علي أساسه تقدير مدي التزام الشركات المساهمة بتطبيق هذا المعيار. ( Eldons. Hendrickson (and Michael. F. p 28

ويحدد هذا المعيار متطلبات العرض والإفصاح العام في القوائم المالية للمنشأة الهدف الربح وكذلك مقتضيات العرض والإفصاح العام المتعلقة بالقوائم المالية الموحدة والقوائم المالية للمنشأة التي لا تزال في مرحلة الإنشاء كما أنه يحدد كيفية معالجة التغيرات المحاسبية والمكاسب والخسائر المحتملة وفضلا عن ذلك فإنه يحدد متطلبات إفصاح وتعريف الوحدات المحاسبية وطبيعة عملها وطبيعة كل في القوائم المالية والسياسات المحاسبية والارتباطات والأحداث اللاحقة لإعداد القوائم المالية. (أمين عبد الله، 1995م ص 44.)

فقد بين مجلس معايير المحاسبية المالية الأمريكي FASB أهداف الإفصاح على النحو التالي:

1- وصف البنود المعترف بها وتذويد مقاييس متعلقة بها غير تلك المقاييس الواردة في القوائم المالية.
2- وصف للبنود غير المعترف بها وتذويد بمقاييس مفيدة لهذه البنود. تذويد معلومات لمساعدة المستثمرين والدائنين في تقييم واحتمالية حصول كل من البنود المعترف بها وغير المعترف بها.
3- توفير المعلومات الهامة والتي تسمح لمستخدمي القوائم المالية بإجراءات المقارنة بين الفترات المالية المتعاقبة.
4- توفير معلومات حول التدفقات الداخلة والخارجة والمستقبلية لمساعدة المستثمرين في تقييم العائد على استثماراتهم.
5- يجب أن ينصب التركيز في الإفصاح عما يفضله المستثمرون والمحللون الماليون من ذوي الخبرة الواسعة وعلى قياس درجة المخاطرة في المنشأة

**المعايير الدولية التي خصصت للإفصاح:-**

المعيار رقم (1) بعنوان الإفصاح عن السياسات المحاسبية والسياسات المعنية هي المبادئ والأعراف والأحكام والإجراءات التي تتبعها الإدارة في إعداد القوائم والتقارير المالية.

المعيار رقم (5) بعنوان المعلومات التي يجب الإفصاح عنها في البيانات المالية.

المعيار رقم (30) المعلومات التي يجب الإفصاح عنها في البيانات المالية للبنوك والشركات المساهمة. كل من المعايير الأخرى خصصت قواعد خاصة بالإفصاح عن المعلومات الخاصة بالموضوع الذي يعالجه المعيار. **(محمد مطر، 2004م. ص،ص 13 – 14.)**

لقد أولت معايير المحاسبة الدولية والتي أصدرتها لجنة معايير المحاسبة الدولية (IASE) عناية كبيرة نحو اعتبارات الإفصاح عن المعلومات المحاسبية فبالإضافة إلي وضع ثلاثة معايير خاصة في هذا الشأن.

1/ لجنة المعايير الدولية (IASC) (المسمى الحالي لها مجلس المعايير الدولية):-

أصدرت هذه اللجنة (41) معيارا محاسبيا مختلفا في الإفصاح الذي ورد في هذه المعايير بالتفصيل لقد حل المعيار المحاسبي رقم (1) المعدل لعام 1997 محل المعيار المحاسبي الدولي رقم (1) الإفصاح عن السياسات المحاسبية على المعيار المحاسبي الدولي رقم (5) المعلومات التي يجب الإفصاح عنها في القوائم المالية والمعيار المحاسبي رقم (13) عرض الأصول المتداولة والالتزامات المتداولة ويسرى مفعول تطبيق هذا المعيار ابتداءً أو بعد **(FASB, , 1995.**

2/ مجلس معايير المحاسبة المالية الأمريكي(FASB):

نجد أن أهم المتطلبات التي ركز عليها تتمثل في، الإفصاح عن مصروفات البحث والتطوير، واثر التغيرات المحاسبية على صافى الدخل، ومتوسط دخل السهم. اثر الديون المعدومة كبيرة القيمة.

3/ لجنة المبادئ المحاسبية وأهم المتطلبات التي ركزت عليها **(Kenneth's, 1992)** تتمثل في مكافأة نهاية الخدمة للعاملين، وضريبة الدخل المدفوعة منها، واستهلاك الأصول , وطرق الاستهلاك ومجمع الاستهلاك وعائد السهم.

**متطلبات الإفصاح الدولية وفقآ للمعايير المحاسبية:**

تقتضي متطلبات الإفصاح العامة ضرورة إعداد مجموعة من المبادئ المحاسبية المقبولة بالإضافة إلي المذكرات والإيضاحات المرفقة بها تقرير مراجع الحسابات وتقرير مجلس الإدارة ويتضح من خلال هذه المتطلبات أن متطلباته العامة من المعلومات المالية أو غير مالية تعتبر بالتقارير المالية كما أن استخدام أي طريقة مناسبة من الطرق السابقة تتوقف علي درجة الإفصاح المرغوب فيها وأهميتها، وهذا قد وصفت بعض الجهات العلمية والمهنية متطلبات خاصة بالإفصاح تتعلق بالاستثمارات وطريقة معالجتها محاسبا ومصروفات البحوث والتطوير وأثر التغيرات المحاسبية علي صافي الدخل وغيرها من المتطلبات الخاصة. (Eldon 1992 PP 859- 860)

**الإفصاح في ضوء متطلبات الهيئات المحاسبية الدولية:-**

وضعت بعض الجهات العلمية والمهنية الدولية متطلبات خاصة بالإفصاح ومنها FASB,SEC,IASC,APB وسيتم عرض كل من المتطلبات التي ركزت عليها هذه الجهات وبما يتعلق بالإفصاح عن المعلومات المالية وغير المالية والتي يجب الإفصاح عنها لزيادة كفاءة المعلومات الإعلان عنها. (Roberts Kay and D 1989 p.27)

**المبحث الثاني: مفهوم وأهداف ومراحل وفروض الإفصاح المحاسبي:**

**أهمية الإفصاح:-**

أهمية الإفصاح المحاسبي أن القوائم والتقارير المالية هي المصدر المهم أن لم يكن الوحيد للعديد من المستثمرين للحصول علي المعلومات المهمة حول المنشأة وبالتالي حتى تكون القوائم والتقارير المالية موضوعية ومفيدة وتحظي بثقة المستخدمين وتلبي احتياجاتهم، ولا بد من أن يتم إعدادها وعرضها بطريقة منظمة ومقبولة بين جميع الطوائف التي لها مصالح بالمنشأة، وزيادة الثقة في القوائم المالية من خلال مراجعتها بواسطة طرف خارجي محايد يساهم في ظهور الإفصاح المحاسبي وزيادة أهميته (بدوى، 1998، ص ص222- 223).

**مفهوم الإفصاح المحاسبي :-**

الإفصاح المحاسبي هو شمول القوائم المالية علي كافة المعلومات المهمة والملائمة التي تجعلها تعبر بصدق عن نتيجة النشاط والمركز المالي للمنشأة الاقتصادية (العبيد 1991م، ص 1331). كما يعرف الإفصاح المحاسبي بأنه النشر والعلانية للبيانات التي تحتويها القوائم والتقارير المالية وعن حذف أو كتمان أي معلومة ذات أهمية ومنفعة للمستثمرين، مع الأخذ في الاعتبار عدم سرد كل المعلومات المتعلقة بالمشروع لأن ذلك يؤدي إلي زيادة تكلفة إعداد تلك القوائم مقارنة بالمنافع المرجو منها(الصحن وآخرون، د ت، ص 21). ويستخدم مصطلح الإفصاح في المحاسبة ليعبر عن عملية إظهار المعلومات الضرورية والتقارير المالية لابد أن تكون مفهومة للقارئ الواعي دون لبس أو تضليل، لأن الإفصاح المحاسبي يعتبر أحد أدوات الاتصال، بدون الاتصال لن تكون هنالك فائدة من مخرجات النظام المحاسبي(حلوة حنان، 1998م، ص ص 406-407)

لأن الإفصاح المحاسبي هو العملية التي تصل المنشأة من خلالها بالعالم الخارجي، ومفهوم الإفصاح المحاسبي علي جانب كبير من الأهمية من الناحية النظرية والتطبيقية علي حد سواء. (سمير الصبان، 2000، ص ص106-107)؛ فهو يشير إلي إرفاق إيضاحات بالقوائم المالية التي تناولت إيضاح أو تفصيل المعلومات الخاصة بالبنود الواردة في صلب القوائم المالية للمنشأة مضللة(توفيق , 2004، ص 105).

ويقصد بالإفصاح هو أن تظهر القوائم المالية وجميع المعلومات الرئيسية التي تهم الفئات الخارجية عن المشروع التي تساعدها علي اتخاذ قراراتها الاقتصادية نحو المشروع بصورة رشيدة(بهجت، 2008 م، ص ص 310- 311)، وكذلك يقصد بالإفصاح أن يتضمن القوائم والتقارير المالية للوحدة الاقتصادية والمعلومات التي يحتاجها مستخدموها مع الابتعاد عن أي تضليل أو إخفاء للمعلومات.(السيد، 2004م، ص 77.)

والإفصاح هو عرض المعلومات الضرورية للتشغيل الأمثل للأسواق المالية ذات الكفاءة وهذا يعني بأن المعلومات كافية ويجب عرضها لكي تسمح لعملية التكهن ويجب أن ينصب التركيز في الإفصاح علي ما يفضله المستثمرون والمحللون الماليون من ذوي الخبرة الواسعة وعلي قياس درجة المخاطرة للاستثمار في المنشأة. (الدسوقي، 1985، ص 272.)

ويعني ذلك عرض معلومات تسمح بالتنبؤ باتجاهات التوزيعات المستقبلية واختلاف تغير الإيرادات المستقبلية وذلك لتقييم المخاطر النسبية للمنشأة (دهمشي، 1995، ص 206.)

ويرى الباحثان: بأن الإفصاح المحاسبي هو النشر والعلانية للبيانات التي تحتويها القوائم والتقارير المالية وعدم حذف أو كتمان أي معلومات تكون ذات أهمية أو منفعة للمستثمرين.

**أهداف الإفصاح المحاسبي:-**

**على الرغم من ذلك فإن** أهداف الإفصاح المحاسبي تتمثل في الآتي.**(النقيب، 2004م، ص 204)**

1/ تقديم معلومات مفيدة للمستثمرين لمساعدتهم على اتخاذ قرارات اقتصادية رشيدة.

2/ يجب أن تشمل القوائم المالية على معلومات تساعد مستخدميها على توجيه مدخراتهم نحو الاستثمار في المنشأة ذات العائد الحقيقي المجزي الأمر الذي يترتب عليه توزيع أمثل للموارد الاقتصادية المحدودة.

3/ إزالة الغموض وتجنب التضليل في عرض المعلومات المالية والمحاسبية.

**يستنتج الباحثان:** أن أهداف الإفصاح المحاسبي تكمن في توضيح الأساليب والوسائل الفنية والمحاسبية وتوضح شكل محتوى التقارير المالية لبيان كمية ونوعية البيانات والمعلومات المحاسبية الكافية التي تمكن المستخدمين من اتخاذ القرارات المتنوعة لتحقيق أهدافهم.

**مراحل الإفصاح المحاسبي**

**يمر الإفصاح المحاسبي بالمراحل التالية: (حماد، 2004. ص 316.)**

**المرحلة الأولي:-** عندما كانت الوحدات الاقتصادية نشأت فردية وشركات أشخاص وحينئذ كانت المعلومات المحاسبية من الأسرار الشخصية التي لا يجوز الإفصاح عنها.

المرحلة الثانية: - عندما تزايدت شركات الأشخاص وتزايد حجمها وتباينت العلاقات بين الشركاء وحينئذ أصبح الإفصاح المحاسبي اختياريا يستهدف تقنين العلاقة بين المدير المالك من ناحية وباقي الملاك من ناحية أخري. (البشير، 5، 2002م، ص 130.)

**المرحلة الثالثة:-** عندما ظهرت شركات الأموال وانفصلت الإدارة عن الملكية وتزايد اعتماد الشركات علي أموال جمهور المستثمرين، وأصبح الإفصاح المحاسبي إجباريا لحماية المواطنين وتحقيقا للمصلحة العامة. (حلوة حنان، 1998م ص ص 443-445.)

يتضح أن نشأة الإفصاح كانت مقصورة في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية وفي نطاق التشريعات والقوانين دون أن تكون للفكر المحاسبي أو المراجعة ولهذه الدولتين فضل السبق في نشأة تطور الإفصاح المحاسبي.

**فروض الإفصاح المحاسبي:**

وقد بني المنادون بضرورة الإفصاح الشامل وجهة نظرهم علي أربعة فروض هي: (المبارك، 2004م ، ص 64).

1. أن احتياجات المستخدمين الخارجين للقوائم المالية يمكن تلبيتها بتصوير القوائم ذات الغرض العام
2. هنالك احتياجات مشتركة يمكن تلبيتها إذا ما اشتملت القوائم علي معلومات ملائمة عن الدخل والقيمة.
3. إن دور المحاسب محدد بإعداد القوائم الرئيسية الأربعة حد أدني وهي
4. قائمة المركز المالي وقائمة الدخل وقائمة التدفقات النقدية وقائمة تغيرات حقوق الملكية.
5. إن القوائم ذات الغرض العام تعتبر أنسب وسائل الإفصاح مقارنة بالأساليب الأخرى ومن ناحية مقارنة التكلفة بالعائد.

يستنتج الباحثان أن الإفصاح المحاسبي يساعد في استخلاص عصارة هذه البيانات المالية الناتجة عن تشغيل الأنظمة المحاسبية وتقديمها في شكل معلومات للجهات المعنية بصورة يسهل فهمها التعامل بها.

**العوامل التي تؤثر في الإفصاح:**

يوجد عدد من العوامل التي تؤثر في درجة الإفصاح بالتقارير المالية فيما يلي إيضاح لها:

1- عوامل بيئية تتعلق بالمجتمع الذي تعد فيه التقارير المالية: تختلف التقارير المالية من دولة لأخرى لأساليب اقتصادية واجتماعية وسياسية وعوامل أخري ناتجة عن حاجة المستفيدين إلي مزيد من المعلومات الإضافية عن التغيرات البيئية وأثرها في المشروع بهدف المقارنة بين الوحدات الاقتصادية وتحديد المسئولية الاجتماعية لكل منها (لطفي، 2004. ص99).

2- عوامل تتعلق بالمعلومات المالية التي يتعين الإفصاح عنها: تتأثر درجة الإفصاح في التقارير المالية بالمعلومات التي يتم الإفصاح عنها ومدى توافر عدد من الصفات للحكم علي كفاءتها وأهمها أن تكون هنالك ثقة في هذه المعلومات عند الاستفادة منها بالإضافة إلي قابليتها للتحقيق والمقارنة وفي رأي الباحثان أن المعلومات الواردة بالتقارير المالية ليست إلا إدارة مثل أية أداة تتوقف منفعتها على مدى لاستفادة منها (Eldon, 1992).

**المبحث الثالث: الدراسة الميدانية:**

**أداة جمع البيانات:**

تم الاعتماد على الاستبيان كأداة لجمع البيانات الأولية، احتوى الاستبيان على جزأين رئيسين، الجزء الأول خاص بالبيانات الشخصية على المبحوثين أما الجزء الثاني فيشتمل على أسئلة الدراسة التي تهدف إلى جمع البيانات اللازمة لاختبار فروض البحث. وتم الاعتماد على مقياس ليكرت الخماسي حيث تم وضع الأوزان كالآتي(5 = أوافق بشدة، 4= أوافق، 3= محايد، 2 = غير موافق، 1= لا أوافق بشدة)، فإذا كان متوسط الإجابات من 1 -1.79 يعني ذلك غير موافق بشدة، من 1.80 – 2.59 غير موافق، من 2.60 – 3.39 محايد، من 3.40 – 4.19 موافق، من 4.20 – 5 موافق بشدة

**الأدوات الإحصائية المستخدمة في تحليل البيانات:**

تم استخدام برنامج (SPSS) لتحليل البيانات وقد تم استخدام الأساليب الإحصائية الآتية:

1/ التوزيعات التكرارية والنسب المئوية.

2/ الوسيط والانحراف المعياري لإجابات المبحوثين.

3/ تحليل ANOVA

4/ تحليل الانحدار البسيط للمربعات الصغرى لاختبار الفرضيات.

**مجتمع البحث وعينة الدراسة:**

يتكون مجتمع البحث من المحاسبين والأكاديميين، والمراجعين لذلك تم الاعتماد على العينة العشوائية الصدفية.

تم توزيع 100 استمارة استبيان على المبحوثين تم توزيعها كالآتي:

20 استمارة تم توزيعها على المراجعين، 30 استمارة تم توزيعها على المحاسبين50استمارة تم توزيعها على الأكاديميين.

**ثبات صدق المقياس:**

تم اختبار ثبات صدق المقياس بإتباع الأساليب الإحصائية المتعارف عليها (تحكيم الاستبيان، ثم حساب معامل الثبات باستخدام كعادلة كرونباخ فبلغ 0.98. وهو مرتفع وموجب الإشارة، لذا يمكن الاعتماد على نتائج الاستبيان. وفيما يلي توضيح لإجابات المبحوثين عن فرضيتي الدراسة:

جدول (1) يوضح التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الأولى وهى تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي.

| الرقم | العبارة | موافق بشدة | موافق | محايد | غير موافق | غير موافق بشدة | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تطبيق معايير المحاسبة بطريقة سليمة يؤدى إلى جودة الإفصاح. | 48<br>%51,1 | 21<br>%22,3 | 5<br>%5,3 | 9<br>%9,6 | 11<br>%11,7 | 94<br>%100 |
| 2 | معلومات الإفصاح الدقيقة دليل على مصداقية تطبيق المعايير المحاسبية. | 43<br>%7’45 | 36<br>%38,3 | 4<br>%3’4 | 5<br>%5,3 | 6<br>%6,4 | 94<br>%100 |
| 3 | تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة دليل على كفاءة وخبرة المحاسبين | 37<br>%39,4 | 44<br>%46,8 | 3<br>%3,2 | 5<br>%5,3 | 5<br>%5,3 | 94<br>%100 |
| 4 | يترتب على عدم تطبيق المعايير الدولية التطور المستمر لقلة المشاكل المحاسبية | 38<br>%40,4 | 40<br>%42,6 | 3<br>%3,2 | 6<br>%6,4 | 7<br>%7,4 | 94<br>%100 |
| 5 | إتباع الإجراءات والقوانين السليمة يؤدى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح المحاسبي. | 52<br>55,3 | 29<br>%30,9 | 4<br>%4,3 | 3<br>%3,2 | 6<br>%6,4 | 94<br>%100 |

جدول (2) يوضح التكرارات والنسب المئوية لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الثانية.
وهى هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي

| الرقم | العبارة | موافق بشدة | موافق | محايد | غير موافق | غير موافق بشدة | المجموع |
|---|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 | تطبيق المعايير المحاسبية ناتج عن جودة الخبراء ويؤدى إلى إفصاح محاسبي سليم. | 70<br>%74,5 | 15<br>%16 | 5<br>%5,3 | -<br>- | 4<br>%4,3 | 94<br>%100 |
| 2 | اختيار المؤشرات والمعايير التي تتعلق بالمحاسبة دليل على كفاءة ووعى المحاسبين. | 56<br>%59.6 | 33<br>%35,1 | 1<br>%1,1 | 1<br>%1,1 | 3<br>%3,2 | 94<br>%100 |
| 3 | وجود فريق من المحاسبين الأكفاء يؤدى إلى زيادة فاعلية الإفصاح المحاسبي | 38<br>%40,4 | 56<br>%59,6 | -<br>- | -<br>- | -<br>- | 94<br>%100 |
| 4 | النتائج الحقيقية من عملية الفحص والتقويم للسياسات المحاسبية دليل على تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة. | 26<br>%27,7 | 60<br>%63,8 | 2<br>%2,1 | 1<br>%1,1 | 5<br>%5,3 | 94<br>%100 |
| 5 | تطبيق المعايير المحاسبية السليمة يؤدى إلى زيادة التأهيل العلمي والعملي ويؤدى إلى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح. | 47<br>%50 | 39<br>%5'41 | 2<br>%2,1 | 4<br>%4,3 | 2<br>%2,1 | 94<br>%100 |

**تحليل نتائج الاستبيان واختبار فرضيات الدراسة:**

للإجابة على تساؤلات الدراسة والتحقق من فرضياتها تم حساب المتوسط لكل عبارات الاستبيان والتي تبين أراء عينه الدراسة بخصوص دور معايير المحاسبة الدولية في تحسين الإفصاح المحاسبي؛ حيث تم إعطاء الدرجة(5) كوزن لكل إجابة (أوافق بشدة)، والدرجة(4) كوزن لكل إجابة (أوافق) والدرجة (3) كوزن لكل إجابة (محايد)، والدرجة (2) كوزن لكل إجابة (لا أوافق) والدرجة (1) كوزن لكل إجابة(لا أوافق بشدة) إن ما سبق ذكره وحسب متطلبات التحليل الإحصائي _ يهدف إلى تحويل المتغيرات الاسمية إلى متغيرات كمية، وبعد ذلك سيتم استخدام اختبار مربع كاي والمربعات الصغرى لمعرفة دلالة الفروق في إجابات عينة الدراسة على عبارات كل فرضيه.

الجدول (3) يوضح المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الأولى وهي تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي.

| م | العبارة | المتوسط الحسابي | لانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| -1 | تطبيق معايير المحاسبة بطريقة سليمة يؤدى إلى جودة الإفصاح. | 3.91 | 1.42 |
| -2 | معلومات الإفصاح الدقيقة دليل على مصداقية تطبيق المعايير المحاسبية. | 4.12 | 1.13 |
| -3 | تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة دليل على كفاءة وخبرة المحاسبين | 4.10 | 1.06 |
| -4 | يترتب على عدم تطبيق المعايير الدولية التطور المستمر لقلة المشاكل المحاسبية | 4.02 | 1.17 |
| -5 | إتباع الإجراءات والقوانين السليمة يؤدى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح المحاسبي. | 4.26 | 1.12 |

يتضح من الجدول (3) أن معظم المبحوثين اتفقوا على أن تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي.، وفيما يلي توضيح لذلك:

1. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الأول 3.91، بانحراف معياري قدره1.42 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين على أن تطبيق معايير المحاسبة بطريقة سليمة يؤدى إلى جودة الإفصاح.
2. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الثاني 4.12 ، بانحراف معياري 1.13وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين بشدة على أن معلومات الإفصاح الدقيقة دليل على مصداقية تطبيق المعايير المحاسبية.
3. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الثالث 4.10، بانحراف معياري

1.06 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين على أن تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة دليل على كفاءة وخبرة المحاسبين.

4. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الرابع 4.02، بانحراف معياري 1.17وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين على أنه يترتب على عدم تطبيق المعايير الدولية التطور المستمر لقلة المشاكل المحاسبية.
5. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الخامس 4.26، وبانحراف معياري 1.12وتعني هذه القيمة أن إتباع الإجراءات والقوانين السليمة يؤدى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح المحاسبي.

جدول رقم (4) يوضح المتوسط والانحراف المعياري لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الثانية وهى هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي

| م | العبارة | المتوسط الحسابي | لانحراف المعياري |
|---|---|---|---|
| -1 | تطبيق المعايير المحاسبية ناتج عن جودة الخبراء ويؤدى إلى إفصاح محاسبي سليم. | 4.56 | 0.93 |
| -2 | اختيار المؤشرات والمعايير التي تتعلق بالمحاسبة دليل على كفاءة ووعى المحاسبين. | 4.47 | 0.85 |
| -3 | وجود فريق من المحاسبين الأكفاء يؤدى إلى زيادة فاعلية الإفصاح المحاسبي | 4.40 | 0.49 |
| -4 | النتائج الحقيقية من عملية الفحص والتقويم للسياسات المحاسبية دليل على تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة. | 4.07 | 0.91 |
| -5 | تطبيق المعايير المحاسبية السليمة يؤدى إلى زيادة التأهيل العلمي والعملي ويؤدى إلى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح. | 4.33 | 0.88 |

يتضح من الجدول (4) أن معظم المبحوثين اتفقوا على أن تطبيق المعايير وكفاءة المحاسبين وتأهيلهم يؤدى إلى نتائج حقيقية في عملية الفحص، وفيما يلي توضيح لذلك:

1. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الأول 4.56، بانحراف 0.93 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين بشدة على أن تطبيق المعايير المحاسبية ناتج عن جودة الخبراء ويؤدى إلى إفصاح محاسبي سليم.
2. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الثاني 4.47، بانحراف 0.85 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين بشدة على أن اختيار المؤشرات والمعايير التي تتعلق بالمحاسبة دليل على كفاءة ووعى المحاسبين.
3. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الثالث 4.40، بانحراف 0.49 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين بشدة على أن وجود فريق من المحاسبين الأكفاء يؤدى إلى زيادة فاعلية الإفصاح المحاسبي.
4. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الرابع 4.07، بانحراف قدره 0.91 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين على أن النتائج الحقيقية من عملية الفحص والتقويم للسياسات المحاسبية دليل على تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة.
5. بلغت قيمة المتوسط لإجابات أفراد عينة الدراسة على السؤال الخامس 4.33، بانحراف معياري قدره 0.88 وتعني هذه القيمة أن غالبية أفراد العينة موافقين بشدة على أن تطبيق المعايير المحاسبية السليمة يؤدى إلى زيادة التأهيل العلمي والعملي ويؤدى إلى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح.

الجدول (5): نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لإجابات المبحوثين حسب نوع المبحوثين(أكاديميين، مراجعين، محاسبين) على الفرضية الأولى وهى تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي

| السؤال | الوظيفة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | ف | الاحتمال |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1- تطبيق معايير المحاسبة بطريقة سليمة يؤدى إلى جودة الإفصاح. | مراجع | 20 | 5.00 | 0.00 | 75.23 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.93 | 0.25 | | |
| | أكاديمي | 44 | 2.72 | 1.26 | | |
| 2- معلومات الإفصاح الدقيقة دليل على مصداقية تطبيق المعايير المحاسبية | مراجع | 20 | 5.00 | 0.00 | 45.14 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.77 | 0.43 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.27 | 1.13 | | |
| 3- تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة دليل على كفاءة وخبرة المحاسبين | مراجع | 20 | 5.00 | 0.00 | 36.84 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.57 | 0.50 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.36 | 1.08 | | |
| 4- يترتب على عدم تطبيق المعايير الدولية التطور المستمر لقلة المشاكل المحاسبية | مراجع | 20 | 5.00 | 0.00 | 40.44 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.60 | 0.50 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.18 | 1.19 | | |
| 5- إتباع الإجراءات والقوانين السليمة يؤدى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح المحاسبي. | مراجع | 20 | 5.00 | 0.00 | 47.59 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 5.00 | 0.00 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.41 | 1.15 | | |

يتضح من الجدول (5) وجود فروق ظاهرية في المتوسطات الحسابية وفقا لطبيعة عمل المبحوثين (مراجعين محاسبين، أكاديميين) ، لكل سؤال من أسئلة الفرضية الأولى. وللتحقق من دلالة هذه الفروق، تم استخدام تحليل التباين الأحادي، وأظهرت النتائج كما توضحها قيمة "ف" الدلالة الاحصائية عند مستوى 0.001≥ في جميع الأسئلة، وبذلك تم قبول الفرضية الأولى التي تنص على "تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي".

الجدول (6): نتائج تحليل التباين الأحادي لدلالة الفروق لإجابات المبحوثين حسب نوع المبحوثين (أكاديمي، مراجع، محاسب) على الفرضية الثانية وهى هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي.

| السؤال | الوظيفة | العدد | المتوسط الحسابي | الانحراف المعياري | ف | الاحتمال |
|---|---|---|---|---|---|---|
| 1 تطبيق المعايير المحاسبية ناتج عن جودة الخبراء ويؤدى إلى إفصاح محاسبي سليم. | مراجع | 20 | 5.00 | 00 | 15.21 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 5.00 | 00 | | |
| | أكاديمي | 44 | 4.07 | 1.19 | | |
| 2- اختيار المؤشرات والمعايير التي تتعلق بالمحاسبة دليل على كفاءة ووعى المحاسبين. | مراجع | 20 | 5.00 | 00 | 36.98 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 5.00 | 00 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.86 | 0.93 | | |
| 3- وجود فريق من المحاسبين الأكفاء يؤدى إلى زيادة فاعلية الإفصاح المحاسبي. | مراجع | 20 | 5.00 | 00 | 97.56 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.6 | 0.50 | | |
| | أكاديمي | 44 | 4.00 | 00 | | |
| 4- النتائج الحقيقية من عملية الفحص والتقويم للسياسات المحاسبية دليل على تطبيق المعايير المحاسبية بطريقة سليمة. | مراجع | 20 | 5.00 | 00 | 27.61 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.20 | 0.41 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.57 | 1.00 | | |
| 5- تطبيق المعايير المحاسبية السليمة يؤدى إلى زيادة التأهيل العلمي والعملي ويؤدى إلى نتائج حقيقية في عملية الإفصاح | مراجع | 20 | 5.00 | 00 | 55.20 | 0.001≥ |
| | محاسب | 30 | 4.90 | 0.31 | | |
| | أكاديمي | 44 | 3.64 | 0.84 | | |

يتضح من الجدول (6) وجود فروق ظاهرية في المتوسطات الحسابية وفقا لطبيعة عمل المبحوثين (مراجعين محاسبين، أكاديميين) ، لكل سؤال من أسئلة الفرضية الثانية. وللتحقق من دلالة هذه الفروق، تم استخدام تحليل التباين الأحادي، وأظهرت النتائج كما توضحها قيمة "ف" الدلالة الاحصائية عند مستوى ≥0.001 في جميع الأسئلة، وبذلك تم قبول الفرضية الثانية والتي تنص على أن" هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي".

جدول (7) يوضح: تحليل الانحدار البسيط للمربعات الصغرى لجميع عبارات الفرضية الأولى وهي تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي.

| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | ف | القيمة الاحتمالية |
|---|---|---|---|---|---|
| المنسوب إلى الانحدار | 128.33 | 9 | 14.26 | 6.61 | ≥0.001 |
| المنحرف عن الانحدار | 181.13 | 84 | 2.16 | | |

يتضح من الجدول أعلاه تحليل الانحدار البسيط حيث يكون لدينا مصدران للتباين هما المنسوب إلى الانحدار والمنحرف عن الانحدار (أو الباقي) حيث نلاحظ أن القيمة الاحتمالية 0 لوجود تطبيق معايير المحاسبة الدولية بطريقة سليمة يؤدى إلى تحسين الإفصاح المحاسبي.وهي اقل من 0.05 نستنتج أن المركز الوظيفي تأثير ذو دلاله إحصائية على جميع عبارات الفرضية.

جدول (8) يوضح: تحليل الانحدار البسيط للمربعات الصغرى لجميع عبارات الفرضية الثانية وهي هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي.

| مصادر التباين | مجموع المربعات | درجة الحرية | متوسط المربعات | ف | القيمة الاحتمالية |
|---|---|---|---|---|---|
| الانحدار المتعدد | 109.48 | 9 | 12.16 | 5.11 | ≥0.001 |
| الانحراف عن الانحدار | 199.98 | 84 | 2.38 | | |

يتضح من الجدول أعلاه تحليل الانحدار البسيط حيث يكون لدينا مصدران للتباين هما المنسوب إلى الانحدار والمنحرف عن الانحدار (أو الباقي) حيث نلاحظ أن القيمة الاحتمالية 0 للفرضية الثانية وهي هنالك علاقة بين تطبيق معايير المحاسبة الدولية والإفصاح المحاسبي. وهي اقل من 0.05 نستنتج أن للمركز الوظيفي تأثير ذو دلاله إحصائية على جميع عبارات الفرضية.

**مناقشة النتائج:**

من التحليل السابق ومقارنةً مع الدراسات السابقة نجد أن هناك اتفاق بين نتائج هذه الدراسة ودراسة كل من (هايس وولسون 1997) إذ أن هناك اتفاق في أن تطبيق معايير المحاسبة الدولية يؤدي إلى نتائج حقيقية في القوائم المالية. كما أن هذه الدراسة تتفق في ما توصلت إليه دراسة عبد العال (2005) في كون أن القوائم المالية التي يتم إعدادها وفقاً لمعايير المحاسبة الدولية تكون أكثر شفافية وينتج عنها معلومات ملائمة يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات. أيضاً تتفق الدراسة مع ما توصلت إليه دراسة فائزة (2004) في أن عدم الالتزام بمعايير المحاسبة الدولية ينتج عنه نتائج مضللة وأن الإفصاح عنها ذات أهمية قصوى ويساعد في التعرف على الموقف المالي الحقيقي للمنشأة ومن ثم اتخاذ القرارات الاستثمارية.

**النتائج والتوصيات**

**أولاً: النتائج:**

بناء على ما تقدم، ومن خلال ما تم في الدراسة الميدانية من تحليل ومعالجة إحصائية واختبار الفرضيات يستخلص الباحث النتائج التالية:

1/ أثبتت الدراسة أن وجود معايير محاسبية دقيقة يجعلها أكثر مصداقية في الإفصاح المحاسبي.

2/ أوضحت الدراسة أن إتباع الإجراءات والقوانين السليمة يؤدى إلى نتائج حقيقية في الإفصاح المحاسبي.

3/ أثبتت الدراسة أن غياب معايير المحاسبة ناتج عن قلة جودة خبراء المحاسبين.

4/ أوضحت الدراسة أن تطبيق معايير المحاسبة الدولية المستخدمة في المحاسبة يساعد في تحقيق الأهداف والبرامج والخطط.

5/ أوضحت الدراسة أن الالتزام بالمعايير الدولية في المحاسبة يؤدى إلى نتائج حقيقية في درجة الإفصاح المحاسبي.

**ثانياً: التوصيات:**

من النتائج التي تم التوصل إليها فإن الباحث يوصى بالاتي:

1/ قيام المتخصصين بوضع معايير معترف بها وتلقى القبول العام وتكون خاصة بالإفصاح المحاسبي.

2/ إعادة تأهيل المحاسبين، وذلك من خلال التعرف على المعايير والسياسات التي تتبناها المنشآت، إضافة للمعايير ذات العلاقة بعمل المنشآت

3/ ينبغي أن يتم تطبيق المعايير بواسطة فريق من الخبراء لتحديد مدى التزام المنشآت بالقوانين واللوائح والتشريعات وتحديد كفاءة وفاعلية أداء الأنشطة المحاسبية المختلفة.

4/ يجب تعيين وتدريب كوادر فنية تكون قادرة على الإفصاح المحاسبي، أو اللجوء إلى انتداب خبراء عن طريق التعاقد لتقديم المساعدة بخصوص الجوانب المتخصصة في المحاسبة وتطبيق معاييرها.

5/الاهتمام بعقد المؤتمرات والندوات لتبادل وجهات النظر والتركيز على الموضوعات والمستجدات التي يمكن أن تسهم في تفعيل دور تطبيق معايير المحاسبة الدولية في إيجاد مجتمع أفضل من خلال المساهمة في تحسين ودعم الإفصاح المحاسبي.

6/ الاهتمام بوضع نموذج مقترح لتفعيل دور معايير المحاسبة الدولية في تحسين الإفصاح المحاسبي.

**7/** نوصي الباحثين بتوسيع دائرة البحث عن الإفصاح وخاصةً الإفصاح المرتبط بالمسؤولية الاجتماعية للمنشآت

**المصادر والمراجع:**

**المراجع العربية:**

1-العبيد محمد بدودي وآخرون (1991م)، معجم أسماء العرب، (عمان، مكتبة لبنان).

**2-**أمين السيد احمد لطفي (2004)، المحاسبة الدولية للشركات متعددة الجنسية ، مصر- الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر.

**3-**. خالد أمين عبدا لله(1995م)، دوره في تنشيط التداول في أسواق المال العربية، عمان، المحاسب القانوني العربي العدد 92

**4-**رضوان حلوة حنان (1998م)، مشاكل العرض والإفصاح في القوائم والتقارير المالية , مكتبة دار الثقافة والنشر والتوزيع، عمان.

**5-** سمير الصبان (2000), القياس والتقييم والإفصاح المحاسبي، مصر الدار الجامعية للنشر.

6-صالح محمد السيد (2004م)، الإفصاح المحاسبي بين النظرية والتطبيق، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، السودان، الخرطوم، رسالة دكتوراه غير منشورة.

7-عبد السميع الدسوقي (1985)، المدخل الملائم لتقديم المعلومات المحاسبية ، مصر، مجلة المحاسبة والإدارة التأمين، العدد .13

**8-**عبد العال على (2005م)، أثر تطبيق معيار المحاسبة الدولي رقم (1) في الإفصاح والعرض للقوائم المالية، الخرطوم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة،.

9- عبد الفتاح الصحن وآخرون أصول المراجعة (د.ت)، الإسكندرية، الدار الجامعية للنشر.

10-فائزة محمد أحمد آدم (2004)، مشاكل الإفصاح في القوائم المالية، الخرطوم، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، رسالة ماجستير غير منشورة

11-فؤاد بن أحمد المبارك (2004م)، مجلة البحوث التجارية المعاصرة، جامعة الملك فيصل، العدد الأول السعودية المجلد الثاني عشر، يونيو عام.

12- د. فؤاد بن احمد المبارك (2004م)، مجلة البحوث التجارية المعاصرة، السعودية، الرياض، المجلد الثامن عشر, العدد الأول، يونيو.

13-محمد البشير (2002م)، الإفصاح والمعايير المحاسبة الدولية، الأردن، عمان، جمعية مدققي الحسابات القانونيين الأردنيين، مجلة المدقق العدد، 5.

14- د. محمد رضوان حلوة حنان، د. حسين قاضي (1998م)، تطور الفكر المحاسبي، الأردن، عمان، مكتبة دار الثقافة للنشر.

15-محمد شريف توفيق (2004)، مشاكل ومداخل الإفصاح في القوائم المالية – مصر – الدار الجامعية للنشر.

16-محمد عباس بدوى (1998)، تطور الفكر المحاسبي، عمان دار وائل للنشر الطبعة الثانية.

17- محمد فؤاد الدين عبد المعطي بهجت(2008)، الإفصاح في القوائم المالية موقف المراجع الخارجي منه، مصر الدار الجامعية بالإسكندرية.

18-محمد مطر (2004م)، التأمين النظري للممارسات المهنية المحاسبية في مجالات القياس والعرض والإفصاح، الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي

19-. نعيم حسين دهمشي (1995)، القوائم المالية والقوائم المحاسبية (الأردن، عمان، مطبعة الجامعة الأردنية،)

20- نعيم حسين دهمش (2002)، تجانس معايير المحاسبة الدولية مقارنة مع معايير الولايات المتحد والمملكة المتحدة (الأردن – عمان ورقة بحث، المؤتمر العلمي المهني الرابع الفترة من 24 إلى 25 أيلول).

**- المراجع الأجنبية:**

1- Eldon Hendrickson and Michael f. Van Breda (1992)" accounting theory. Fifth Edition. Chicago: Irwin ".

2- FASB (1995), accounting standards , vol. New York , MC Craw , Hill, Corporation.

3- Harris, T.S and Ahlsom , J.A. (1987) "accounting disclosures and the markets valuation of oil and Gas" the accounting Review. Vol. no,62october

4-Kennrths – most(1992), Accounting theory , Second Edition Grid publishing

5-Roberts.Kay and D. Gerald sear fess (1989), Hand book of accounting and. Auditing , second Edition Boston – warren , Gorham and Lamont , Inc)

**********

**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 111-126**

# الحكاية في الفكر النحوي: دراسة لسانيّة في ضوء التداوليّة

**عمر محمد علي أبونواس[1]**

**الملخص:** عمل النحاة على وضع أنماط اللغة ضمن أُطر محدّدة المعالم، فجهدوا في لملمة شتاتها، وجمع متفرقاتها، والتوفيق بين متناقضاتها، ليس هذا فحسب، بل إنهم عملوا على وضع الفكر النحوي في مستوياته المختلفة بمنهجية تتلاءم وطبيعة العقل العربي، وتتماشى مع النهوض بالأداءات اللغوية من واقعها الراكد إلى فضاءات منهجية قائمة على التداول المعرفي للظاهرة اللغوية. من هنا، يحاول هذا البحث الوقوف عند ظاهرة من الظواهر التي برز فيها هذا الفكر، ألا وهي ظاهرة الحكاية، لما لهذه الظاهرة من خصوصية بأنماطها وأداءاتها، ويسعى لاستكشاف معالم المنهج العلمي اللساني المحكم الذي اتبعه النحاة في هذه الظاهرة، وبيان أثره في ضبط معالم الخارطة اللغوية في التراث العربي. وعنيت الدراسة بقراءة هذه الظاهرة النحوية دراسة تطبيقية انطلاقا من المبادئ التداولية المعاصرة.

**الكلمات المفتاحية**: الحكاية، الفكر النحوي، دراسة لسانية.

# Change in Diacritic Parsing From Grammarians' Perspective: A Linguistic Study in Light of Pragmatism

**Omar Abu Nawas**

**Abstract**: Arab grammarians have put language aspects within specified frames by accumulating its diversities and harmonizing its far-fetched aspects. They have also shaped all the levels of grammatical thought in a way that suits the Arab mind by activating language functions and implementing them in a new perspective. Thus, this study tries to investigate the phenomenon of change in diacritic parsing which was prominent in Arab grammatical thought. It also tries to find out the elements of the scientific method that the Arab grammarians and linguists have followed in studying that phenomenon by showing its influence on manipulating the linguistic map in the Arab heritage. Finally, the study has investigated that linguistic phenomenon in a new pragmatic functional way.

**Keywords**: Diacritic Parsing, Grammarians' Perspective, Linguistic Study.

[1] أستاذ مساعد / قسم اللغة العربية/ كلية اللغات، الجامعة الألمانية الأردنية، Omar.abunawas@gju.edu.jo

**مدخل الدراسة**

ممّا لاشك فيه أنَّ النحو العربي مرّ بالعديد من المراحل التي جعلتْ منه نظرية متكاملة، وقد خرج النظام النحوي العربي من أذهان ثُلة من العلماء الأوائل الذين أخضعوا مباحثه لجملةٍ من الأصول التي قام عليها بناء تلك النظرية؛ فالنحوي كان يأخذ بالسماع كما يأخذ بالقياس، والتعليل، والاستصحاب؛ للوصول إلى توجيه الظاهرة توجيها سليماً معتمداً على النظر إلى النمط المستعمل.

لذلك تعددتْ تقنيات التأويل والتوجيه عندهم، وتشعّبت حتى أصبحت الذهنية واقعاً ملموساً، أو ثقافة يرتكزون عليها لتشييد نظامهم النحوي، فالنحاة عمدوا إلى العقل، وحاولوا بطريقة أو أخرى إخراج تبرير لهذا النمط أو ذلك الشاهد أو تلك القراءة؛ لذلك فإنّ الناظر في مرجعيات تفكيرهم يلحظ فيها ملمحين مهمين:

أما الملمح الأول، فيتمثلُ في إعمال العقل وفي إدخالهم لما هو منطقي ومقبول، ويتماشى مع الاستعمال، ولو أنّ هذه المسالة دفعت النحوي أحياناً الى الاستطرادات الذهنية، وأغرقته أحياناً أخرى ببعض التكلّفات المقبولة الى حدٍّ ما، إلاّ إنّ النحوي نجح في إثبات شمولية القاعدة من جهة، واستثمار البنى الفكرية لديه لإثبات مسايرته لما شاع وانتشر على ألسنة الناس؛ لذلك كانت معظم المبررات العقليّة عنده في هذه المرحلة تعمد الى اللهجات، أو بعض الأقيسة الجوهرية - وليست الشكلية بطبيعة الحال - أو إلى استعمال بعض البدائل المتداولة والشائعة.

أما الملمح الآخر، فاختصّ بالشعور الفكري لدى بعض النحاة بالخوف الشديد على القاعدة الكلية التي وُضِعتْ، وخشيتهم من أي نقض لعواملها أو معمولاتها؛ لذلك صارت وظيفة النحوي أنّه عالم تأويل أكثر منه محللاً لأنماط متداولة، وأدَّى الحرص الزائد من النحاة في هذا المجال الى اهتمامهم الشديد بالمعيار التركيبي لبنى النص، ومحاولة قطعه عن فضائه الخارجي، وتشبُّثهم غير المقبول في العوامل المعمولات، ولا أريد هنا الإغراق في المعركة التي دارت حول مسألة العامل.

وعلى الرغم من هذين الملمحين إلا أنَّ دارس اللغة، والباحث في طيّات صفحات مؤلفاتهم، والمنعم في أسبار المرجعيات الفكرية التي أنتجت هذه النظرية النحوية العميقة والمتماسكة، يجد أن من الإنصاف الإشارة الى أمر في غاية الأهمية أدَّى إلى إنتاج كمٍّ هائلٍ من التسلسلات التركيبية عند النحاة، ألا وهو اهتمامهم بمتطلبات التخاطب وظروفه ومعطياته.

وقد عكس هذا الاهتمام في أحيان كثيرة كسرهم لقيود النظر إلى ما هو داخل النص فقط، ومحاولة اختلاق الحجج الفكرية التي أثقلت كاهل اللغة ودارسها إلى فضاء تداولي أوسع ينظر الى المتكلم الذي ينتج النص وظروفه المعنوية من جهة، وظروفه الخارجية من جهة أخرى، والتي ترتبط ببيئته، أو بلهجته التي صدرت نتيجة متطلبات هذه البيئة ومعطياتها، وبالمخاطب الذي يؤدي وظيفته بكل مسؤولية من خلال محاكاته لذلك المتكلم بنمط ثابت متجاوزاً فكرة العامل، وتاركاً قيود النحاة وراء ظهره. فمهمتُه أنْ يستعملَ اللغة بأنماطها، وأن يتواصل بعباراته وإخباراته وفقاً لما يتطلبه السياق، ووفقاً لمعطيات الكلام، ومراعاةً للمعنى الذي يريد إيصاله.

من هنا، كان موضوع هذا البحث ظاهرة الحكاية؛ لما تحمل بين ثناياها الشيء الكثير بالنسبة للمتكلّم والمخاطَب، وربما تعني أكثر للنحوي الذي وقف حائراً أمام تلك الأعلام المحكية، وحاول أنْ يعملَ فكره جاهداً؛ لفهم تلك الأنماط التي تغايرت كثيراً مع ما وضعه من قواعد وقوانين تحكم تلك الاستعمالات.

لذلك، حاولت هذه الدراسة البحث في المرجعيات الفكرية التي أدّت إلى تكوين هذه الظاهرة، ومحاولة دراسة هذا الموضوع من وجهة نظر لسانيّة معاصرة انطلاقاً من التداوليّة ومبادئها الوظيفية.

**أولاً: الحكاية (المفهوم والأنواع)**

الحكاية لغة: "الحكاية كقولك حكيت فلاناً وحاكيته فعلت مثل فعلته، أو قلت مثل قوله سواءً لم أجاوزه، وحكيت عنه الحديث حكاية.[1]

ومن ينعم النظر في المفهوم الاصطلاحي للحكاية عند النحاة، يلمس أنَّ نظرتهم لهذا المصطلح تنبثق من الواقع الاستعمالي للألفاظ؛ فلذلك قال العكبري: " معنى الحكاية أن يأتي الاسم، أو ما قام مقامة على الوصف الذي كان قبل ذلك."[2]، وقال ابن يعيش: "الحكاية: ضرب من التغيير، إذ كان فيها العدول عن مقتضى عمل العامل. "[3]

والمتتبع لهذه التعريفات يجد أنّ آراء النحاة في تعريف الحكاية تركز على محورين:

أمّا المحور الأول، فهو الثبات ولهذا الثبات مستويان: فهناك ثبات في الحركة، وثبات في الصيغة قبل الاستعمال وبعد الاستعمال، وتقوم فكرة الثبات هذه على تجاوز ملحوظ لمسألة الموقع، وما يرتبط به من تغييرات يفرضها النظام التركيبي للجملة العربية حسب نظرية النحاة وبالرغم من توافر العوامل في الجملة.

وأمَّا المحور الآخر، فهو يختص بالاستعمال وما يتصل به من أسس، إذ إنَّ النحاة بيّنوا أنّ مسألة الحكاية قائمة على النظام الاستعمالي الذي ينأى بالقاعدة عن الجانب المعياري إلى الفضاء التداولي.

فالنحو العربي لم يكن قائماً على التجريد النظري للقواعد فحسب، بل كان يركن إلى الاستعمال اللغوي، ولعل هذا الاستعمال هو ما دفع المتكلّم لاستعمال أنماط الحكاية بطريقة ثابتة غير متغيرة مثل بعض الأعلام والجمل المحكية.

**أنواع الحكاية:**

للحكاية في العربية نوعان[4]:

1- حكاية معنى:

تكون بلفظ منصوب، فإذا قال قائل: "الله خلق السماوات والأرض " وحكيت معنى قوله له: قلت حقاً أو صدقاً، والمعنى قلت: قولاً حقاً.

2- حكاية لفظ:

وتكون بإعادة الكلام المحكي على ما هو عليه نحو أن تقول: جاءني زيدٌ، فتقول: من زيدٌ؟ وتقول: رأيت زيداً، فتقول: من زيداً؟، وتقول: مررت بزيدٍ، فتقول: من زيدٍ؟

**تقسم الحكاية إلى قسمين:**

1- حكاية المفرد:

أما حكاية المفرد، فتقسم أيضاً إلى قسمين:

1- الحكاية بأداتي الاستفهام (أي ومن):[5]

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، (حكي)

[2] العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج135/2

[3] ابن يعيش، شرح المفصل، ج19/4.

[4] الحيدرة اليمني، كشف المشكل، 522.

[5] انظر: السيوطي، همع الهوامع، ج321/5.

والأصل في (أي) مطابقة المحكي إعرابا وتذكيراً، وإفراداً، وتثنيةً، وجمعاً. فيقال في حكاية قام رجل: أيّ، وفي قامت امرأة: أية، وفي قام رجلان: أيّان، وفي قامت امرأتان: أيّتان، وفي قام رجال: قام أيّون، وفي قامت فتيات: أيّات. وفي رأيت رجلاً: أياً، وفي مررت برجلٍ: أيٍّ.

أما حكاية (من)، فيشترط في الحكاية فيها أن يسأل بها عن المذكور النكرة وقفاً لا وصلاً عند جمهور النحاة. على أن الأعلام لا تخضع لهذا الشرط.

**2-** الحكاية بالأعلام من غير أداتي الاستفهام السابقتين، نحو الأعلام المنقولة من مثل: (جاد المولى) (شاب قرناها)، وما سمي بالحروف نحو: (قام أو) ونحو ما ورد عن العرب من مثل: (سورة المؤمنون)، (وما عندي من تمرتان).

2- حكاية جملة:

وتقسم الجملة المحكية إلى:

1- حكاية الجملة الملفوظة.

نحو قول الشاعر:

**سَمِعْتُ النّاسُ يَنْتَجِعُونَ غَيْثاً فقلتُ لِصَيْدَحَ انتجِعِي بِلالاً ([6])**

2- حكاية الجملة المكتوبة

نحو: قرأت على خاتمه: الحمدُ لله.

**ثانياً: التداوليّة(المفهوم والمنهج)**

يعد (أوستن) وتلميذه (سيرل) من أبرز مؤسسي المدرسة التداولية في العصر الحديث، وقد تعدّدت تعريفات التداوليّة عند الباحثين، فمنهم من عرّفها بأنّها:" العلاقة بين العلامة ومؤوليها." [7]

ومنهم من عرّفها بأنها:" كل ما يتعلق بعلاقة الملفوظ بالشروط الأكثر عموميّة عند المخاطب." [8] أو" هي دراسة جوانب السياق التي تشغر شكلياُ في تراكيب اللغة وهي عندئذٍ جزء من مقدرة المستعمل." [9]وعرفت:" دراسة العلاقات بين المرسل والمستقبل وعلاقتهما بالسياق." [10]

وركّز جرايس في حديثه عن التداولية على البعد العملي لها الذي يتمثل بالاهتمام بالمعنى في المحادثات. [11]

أما في الدرس اللغوي العربي، فقد وُجدت دراسات عدة تناولت تعريف التداوليّة، فهذا محمد عناني قال: " دراسة استخدام اللغة في شتى السياقات والمواقف الواقعيّة أي تداوله عمليّاً وعلاقة ذلك بمن يستخدمها تفريقا لها عن علاقة الألفاظ بالعالم الخارجي أو دلالتها." [12]

أما محمود نحلة، فرأى أنّها: "دراسة اللغة في الاستعمال أو في التواصل" [13]

---

[6] ذو الرمة، ديوانه، 528.

[7] Georg yole , Pragmatixes, Oxford University press Newyourk, 2000, , p.

[8] فرانسوز أرمينكو، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986، ص84.

[9] Crystal, D.)1999(,A Dictionary of Linguistics and Phonetics , Black well , Great Britain, P 271.

[10] خوسيه، ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبيّة، ترجمة، د. حامد أبو أحمد، دار غريب، القاهرة، 1991، ص232.

[11] Leuin son , Stephen, Pragmatics, Cambrdge University, 1983, P10

[12] محمد عناني، لمصطلحات الأدبيّة الحديثة، الشركة المصريّة العالمية للنشر، القاهرة، 1996، ص76

[13] محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص14

وتقوم الدراسة التداولية على جملة من المبادئ منها [14]:

1. القصدية عند المتكلم.
2. أنواع المعنى المتعلقة بالسياق.
3. الاهتمام بكل ما يتصل بالعمل التخاطبي للوصول إلى المعنى.
4. إفادة المخاطب ما ليس عنده.
5. المؤثرات المعرفية.

**ثالثاً: الحكاية والاستلزام الحواري**

**طرفا الخطاب (المتكلّم والسامع) بين القصد والإفادة**

ترتبط التداولية بفكرة الاستعمال [15]، وقد أولت التداوليات الحديثة عناية كبيرة لعنصري الخطاب المتكلم والمخاطَب انطلاقا من الاعتقاد الشائع بأنّ الخطاب يتوجه من وإلى أحد الطرفين [16].

إنّ الواقع التداولي للحكاية يكشف لنا أنّ هذه الظاهرة نشأت في رحم التواصل بين طرفي الخطاب المتكلم والمخاطب، وقد أشار سيبويه إلى ذلك في سياق حديثه عن الحكاية:

"فجاز هذا في الاسم الذي يكون علماً غالباً على هذا الوجه، ولا يجوز في غير الاسم الغالب كما جاز فيه وذلك أنه كثر في كلامهم، وهو العلم الأول الذي به يتعارفون... وإنما حكى مبادرة للمسؤول، أو توكيداً عليه أنه ليس يسأله عن غير هذا الذي تكلّم به." [17]

فرأي سيبويه هذا يركز على العلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي في وضع القواعد.

فلماذا خُصِصتْ الحكاية بالأعلام ؟ لأنّ بها يتعارفون وكثر دورانها بين الطرفين، ولعله يتأكّد لنا من هذا الرأي أنّ النحاة كانوا في تماشٍ مباشر مع ما يتداوله الناس، وما يتواصلون به. وفي هذا قال ابن يعيش:" وخصّوا الأعلام بذلك لكثرة دورها، وسَعة استعمالها في الإخبارات والمعاملات ونحوهما." [18]

وهذه التوجيهات النحوية على تماسٍ مباشر مع أهم المبادئ التي قامت عليها التداوليّة التي ركّزت على " تداول اللغة بين المتكلّم والمخاطب الذي يدل على التعامل الحي بينهما في استعمال اللغة." [19]

وتشير هذه العملية التواصلية وعلاقتها بتخصيص الحكاية، إلى جانبٍ رئيسٍ من الجوانب التي كان يعتمد عليها النحاة في وضعهم لآليات التقعيد النحوي. فاللغة بأنماطها المتداولة تفرض وجودها على النحوي الذي يتلقى هذه الاستعمالات، ويشكلها وفق رؤية تقوم على احترام ما ورد في كلام العرب، ووضع قواعد تبنى من هذه الاستعمالات وهذا الكلام ليس تنظيراً، بل هو واقع ملموس نجده في كلام النحاة عن سبب اختصاص الحكاية بالأسماء:

قال العكبري: "فالأسماء أكثر دوراً في الكلام إذ كانت التعريفات على الاختصار لا تحصل إلا بها، وما كثر استعماله يخص بأحكام لا توجد فيما قلّ لأنه لا يلتبس. " [20]

---

[14] صحراوي، مسعود، التداولية عند علماء العرب، ص 185

[15] عيد بليغ، التداولية البعد الثالث في سيموطقيا موريس، ، مجلة فصول، القاهرة، عدد ربيع 2005م

[16] إدريس مقبول البعد التداولي عند سيبويه، ، عالم الفكر، مجلد 33، يونيو2001

[17] انظر: سيبويه، الكتاب، 413/2.

[18] ابن يعيش، شرح المفصل، ج19/4.

[19] محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص52

[20] العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، ج135/2.

وإنَّ النظر في الحكاية يجعلنا نتوقف عند عاملٍ آخر يكشف الطبيعة التداولية التي قامتْ عليها فكرة الحكاية، ألا وهو البحث في مبادِئ القصد والإفادة أي إنتاج أنماط لغوية متعددة ومتنوعة يقصد منها المتكلّم جذب انتباه المخاطب وإفادته ما ليس عنده.

ويراد بالقصد عند التداوليين الغاية التواصلية التي يريد المتكلِّم تحقيقها من الخطاب وقصده منه. وتعدّ هذه الغاية قرينة تساعد في تحديد الوظيفة النحوية، وبيان دورها في التحليل النحوي للجملة، وقد أطلق عليها المعاصرون (القصدية). [21]

أما الإفادة، فقد عُرِفتْ عندهم على أنَّها حصول الفائدة لدى المخاطَب من الخطاب ووصول الرسالة الإبلاغية إليه على الوجه الذي يغلب على الظن أنْ يكون هو مراد المتكلِّم وقصده. وهي الثمرة التي يجنيها المخاطَب من الخطاب. [22]

وتكشف لنا ثنائية القصد والإفادة عن حقيقة لا يمكن إنكارها عند النحاة العرب، مفادها أنَّ اللغة وفّرت حلقة موسعة من الاستعمالات التي انزاحتْ عن القاعدة الرئيسة، ولا شكّ أنَّ الحكاية شكّلت حلقةً مهمةً من حلقات هذه السلسلة الاستعمالية بين طرفي الخطاب.

ولعلّ مناقشة هذه المبادئ التداولية التي قامتْ عليها الحكاية وعلاقتها ببعضها بعضاً يدفعنا هنا للتساؤل: هل الاستعمالات اللغوية التي وُجِدتْ بفعل الحكاية شاذة؟ أي: هل يمكن وصف الحكاية بالشذوذ؟

وللإجابة عن هذا التساؤل لا بدّ من الإشارة هنا أنَّ النحاة كانوا يضعون القاعدة وفق الأغلب والأكثر شيوعاً، فإذا ما مرّ معهم نمطٌ استعماليٌّ لا يتفق مع القاعدة التي وُضِعتْ وصفوه بالشاذ، أو بالغلط، أو بالتوهم، أو إلى غير ذلك من المسوغات غير المنطقية التي يرفضها المنهج اللغوي السليم. وبذلك، يمكن القول: إنَّ الربط بين الأنماط التي وردت محكية من مثل: "دعنا من تمرتان" و(ألست بقرشياً؟) ومن مثل قول الشاعر:

واللهِ ما لَيْلى بِنَامَ صَاحِبُهْ ولا مُخَالِطِ اللّيَانِ جانِبُهْ [23]

وبين فكرة الشذوذ إنما هو ضربٌ من المبالغة التي يأبى الذوق اللغوي القبول بها، فالأفضل هنا النظر إلى الاستعمال اللغوي لا إلى التنظير الفكري، فلا أحد ينكر أنّ هذه الأنماط المتداولة استعملت ممّن يوثق بفصاحتهم، والأنسب أنْ توجّه هذه الشواهد بناءً على النظر إلى ظروف التخاطب وأحواله المتداولة؛" فالتداولية "فرع من علم اللغة يبحث في كيفية اكتشاف السامع مقاصد المتكلّم أو هو دراسة معنى المتكلِّم. "" [24]

وما ورد من أمثلةٍ وشواهدَ على الحكاية إنما هي نمطٌ واحدٌ مستعملٌ، وقد استعملتْ اللغةُ الأنماط الأخرى التي وصفها النحاة بأنّها تتفق مع القياس، فالأمثلة التي حُمِلتْ على الحكاية هي أحد البدائل المستعملة، وليست هي الكل بدليل أنّ أكثر العرب يقولون: "دعنا من تمرتين"، أو "ألست بقرشيٍّ؟" من غير الحكاية.

لكن في المقابل وكما سبق التأكيد لا يمكن رفض ما ورد من أمثلة محكية، كما لا يمكن وصفها بالشذوذ، بل هي أمثلة جاءت أحياناً من باب التوسع اللغوي في التواصل بين طرفي

---

[21] (صحراوي، ص200)
[22] صحراوي، **التداولية عند علماء العرب**، ص185
[23] انظر: الشاهد في الإنصاف، 1/ 112.
[24] محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص12

الخطاب، فقد ورد عن يونس أنه كان" يجري الحكاية في جميع المعارف ويرى بابها وباب الأعلام واحداً." [25]

وأحياناً أخرى تأتي الحكاية بقصد رفع الالتباس وإفادة المخاطَب ما ليس عنده نحو: "وإذا قال: رأيت عبد الله. قلت: من عبدَالله؟ وإن قال: مررت بعبد الله. قلت: من عبدِالله؟ فهذا على سبيل كل اسم عَلَمٍ مستفهم عنه أن تحكيه، كما قال المخبر ولو قلت: في جميع هذا من عبدالله؟ كان حسناً جيداً، وإنما حكيت ليعلم السامع عن هذا الذي ذكر بعينه ولم تبتدئ السؤال عن آخر مثل اسمه، والدليل على ذلك أنك لو قلت: ومن أو فمن لم يكن ما بعدهما إلا رفعاً لأنك عطفت على كلامه، فاستغنيت عن الحكاية؛ لأن العطف لا يكون مبتدأً. " [26]

ويؤكّد هذا ما تنبّه إليه النحاةُ الأوائل من خلال النظر إلى الوظيفة التداولية التي خصّصت بها الحكاية بالأعلام دون غيرها للتركيز بطريقة مباشرة على إفادة المخاطب ورفع الالتباس عنه: "وإنما خصوا الحكاية بالعلم دون غيره من المعارف؛ لأن وضع الأعلام على عدم الاشتراك بخلاف سائر المعارف، فإن كل واحد منهما لأي معين كان كما يأتي في باب المعارف، والحكاية لرفع الاشتراك فكانت بالأعلام أنسب." [27]

وأحياناً أخرى تأتي هذه الحكاية بقصد تأكيد الفكرة ورفع التوهم عن السامع من خلال التواصل التخاطبي بين طرفيه: " فتحرزوا بالحكاية لما قد يعرض في العلم من التنكير بالمشاركة في الاسم، فجاءوا به لئلا يتوهم المسؤول أنه يسأل عن غير من ذكره من الأعلام. [28]"

ويحمل على هذا قولهم:" إنَّ المتكلم إذا جمع بين من يعقل ومن لا يعقل في النكرات حكيتَ من يعقل بمن، وما لا يعقل بأي " [29]

فالطبيعة التركيبية للأسماء تؤدي إلى تحقيق مقاصد المتكلّم بدفع التوهم والاشتراك لذلك كانت الحكاية بالأعلام أحق. ولعل ما يشير إلى الطبيعة الاشتقاقية أيضاِ قول ابن يعيش:" إنما سوغوا الحكاية فيها؛ لما توهموه من تنكيرها ووجود التزاحم لها في الاسم فجاءوا بالحكاية؛ لإزالة توهم ذلك وهذا المعنى ليس موجوداً في غيرها من المعارف." [30]

فالحكاية هي انحراف عن القاعدة يقصده المتكلم بهدف جذب انتباه المخاطب ولفت انتباهه إلى مسائل تخاطبية في غاية الأهمية، ويدل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم:" إياكم ولو فإن لو تفتح عمل الشيطان "، فلو: اسمٌ إن قصد فيها الحكاية، قاله المصنّف في(شرح الكافية)، ورواه غيره على الإعراب، ولفظه:(إياكم واللو فإن اللو تفتح عمل الشيطان)، فلما جعلت الأداة اسماً وأعربتَ دخلت عليها (أل)" [31]

وانطلاقاً من هذا رفض النحاة بعض الأنماط التركيبية التي لا تحقق مبدأ الإفادة، واشترطوا لقبولها تقدير الحكاية حتى تتحقق الوظيفة التداولية للخطاب:" وكل فعل تصلُ به (الذي)، أو تصف به النكرة لا يجوز أن يتضمن ضمير الموصول أو الموصوف فغير جائز أن تصل به

---

[25] انظر: المبرد، المقتضب، 308/3.
[26] السابق نفسه.
[27] الرضي، شرح الرضي على كافية ابن الحاجب، ج323/3.
[28] ابن يعيش، شرح المصل، 4/ 19.
[29] الحيدرة اليمني، كشف المشكل، 524.
[30] ابن يعيش، شرح المفصل، ج19/4
[31] انظر: الصبان، حاشية الصبان على شرح الأشموني، 93/4

(الذي) لو قلت: مررت برجل نعم الرجل، لما جاز إلا أن تريد (هو نعم الرجل) فتضمر المبتدأ على جهة الحكاية." [32]

كما اعتمدوا عليها في توجيه بعض الحالات الإعرابية يحمل على ذلك قول سيبويه: "وزعم الخليل أنَّ أيهّم إنما وقع في قولهم: "اضرب أيهم أفضل" على أنَّه حكاية." [33]

ومنه توجيه قوله تعالى: (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا) [34] حيث عدوا رفع (أيّهم) على الحكاية، بتقدير:(قائلين أيّهم). [35]

وممَّا يرتبط بهذه المسألة أيضاً توجيه الزمخشري لقراءة قوله تعالى بالجر: (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ لَأَمْلَأَنَّ) [36] فرأى الزمخشري أنَّ الجر في(الحق) الأولى على تقدير واو القسم، و(الحق) الثانية على أنَّ المعنى "وأقول والحق" أي هذا اللفظ، فأعمل القول في لفظ واو القسم مع مجرورها على سبيل الحكاية للفظ المقسم به. [37]

إنّ عدم الاعتراف بظاهر بعض هذه النصوص واعتمادهم على تقدير الحكاية في تخريجها، يعود إلى اهتمامهم المباشر بطرفي الخطاب، وهذا ما ركّز عليه التداوليون بقولهم:" لا يمكن أن ندعي فهمنا للكلام من دون استحضار شروط إنتاجه المحيطة به خاصة عنصر المتكلم والسامع " [38]

**رابعاً: الحكاية والمؤثرات التداوليّة التخاطبية**

**الحكاية ومؤثرات البيئة اللغوية**

يولي البحث التداولي أهمية قصوى بالسياق والمقام والمتكلمين ومقاصدهم ومؤثرات الاستعمال، وإنّ التداولية منهج يحمل آفاقاً واعدة في التحليل؛ لخصوبة المجالات التي تجتاحها والتي تتعلق بالتخاطب وإيلاء الأهمية للظروف التي يتم فيها التخاطب وكذا اعتبار التخاطب أو التكلم فعلاً إنجازيا، [39]

ومن أهم الأسس التي كوّنت الأنماط الاستعمالية المنبثقة عن الحكاية وجود بعض لغات العرب التي تلجأ إلى هذه الحكاية مع اختلاف بينها في مسألة الوجوب والجواز والمنع.

ولعلّ هذا الأساس يكشف لدارس اللغة أنَّ اللهجات كانت تقوم بدور محوري في تشكيل القاعدة اللغوية، فاللغوي كان يأخذ بعين الاعتبار تباين هذه اللهجات واختلافها.

وقد أدّى اهتمام اللغويين باللهجات ومستوياتها إلى إغناء اللغة، وقواعدها بكثير من الأنماط الاستعمالية التي نتبين من خلالها أنَّ الفضاء اللغوي يتسم بمرونة شديدة في تقبّل الأداءات اللغوية ذات الصلة بالقاعدة التي تؤدي المعنى المقصود وبذلك كان لتعدد" اللهجات العربية وتباينها إثراءً للنحو العربي تعدداً وتنوعاً في قواعد، وقد يكون هذا التعدد في ظل الظاهرة النحوية الواحدة، حيث

---

[32] ابن السراج، الأصول، 267/2.
[33] سيبويه، الكتاب، 399/2.
[34] سورة مريم: آية (69)
[35] الرماني، رسالتان في اللغة، 44.
[36] سورة ص، آية (83-84)
[37] الزمخشري، الكشاف، 108/4
[38] Leech. G. The Principles of Pragmatics ,1998. P4.
[39] التداولية وآفاق التحليل، شيتر رحيمة، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 2وع3، جوان 2008

تجد فيها أكثر من قاعدة نتيجة تباين اللهجات العربية في استخدام التراكيب والأساليب في التعبير عن المعنى الواحد." [40]

ولذلك كانت العلاقة بين لغات العرب، واستعمال ظاهرة الحكاية علامة واضحة المعالم يتعامل معها اللغوي بكل حيادية حتى يصفها في أطر تركيبية تتماشى والواقع التداولي للغة، وممّا يثبت تلك العلاقة أنَّ أهل الحجاز كانوا يستعملونها، لكنهم خصوها بالاسم العلم والكنية فيقولون: "إذا قال: رأيت زيداً. من زيداً؟ وإذا قال: مررت بزيدٍ. (من زيدٍ؟) فيجعلون (مَن) في موضع رفع بالابتداء، وزيداً في موضع الخبر، ويحكون الإعراب، وتكون الحركة قائمة مقام الرفعة التي تجب لخبر المبتدأ." [41]

وإذا ما انتقلنا إلى التميمين نجد أنهم اختلفوا عن الحجازيين: "وأما بنو تميم فلا يحكون، ويقولون: مَنْ زيد بالرفع في جميع الأحوال، فيجعلون من في موضع رفع؛ لأنه مبتدأ، وزيد هو الخبر، ولا يحكون الإعراب وهو القياس." [42]

وفي هذا الرأي تأكيدٌ أنّ الحكاية خارجة عن القياس، ولكن يجب التوقف عند هذا الرأي والتعامل معه بشيء من المنطق.

فأنماط الحكاية التي عدّها بعض العلماء أنها خارجة عن القياس ما هي إلا انزياح عن القاعدة الرئيسة يعطي المتلقي الفرصة في التواصل مع المتكلم بالحركة نفسها دون تغيير رغم أنّ هذا الاستعمال فيه خلاف للقاعدة الأصلية التي وصفها النحاة؛ لأن " المتكلم يجب أن يحيل المتلقي أو السامع إلى شيء يتبيّنه ويتعرفه فضلاً عما يمكن أن يكون للظروف الخارجية والاجتماعية وغيرهما. " [43]

لكن هذا الفضاء الاستعمالي ليس عبثياً بل هو مقصودٌ أراده المتلقي حتى يوصل فكرة ما وينّبه المتكلم إليها؛ لذلك لجأ ابن اللغة إلى التغيير والتبديل التركيبي، واستعمال النمط اللغوي بشكل ثابت، ولجأ عالم اللغة إلى التقدير والتأويل، ولولا وجود الحكاية لكانت هناك إشكالية كبرى في كيفية التعامل مع هذه الشواهد.

ولعلّ سيبويه قد أشار إلى علاقة تكاملية تلتقي فيها لغات العرب، والمقصود هنا لغة أهل الحجاز التي تجيز الحكاية، والعلاقة التواصلية بين المتكلم والمتلقي والمعنى الذي يستفاد من استعمال الحكاية؛ ولذلك فإنّ هذه العلاقة الثلاثية كانت من الأسس التي أدّت إلى نشوء الحكاية وفي هذا قال:

"وأما أهل الحجاز، فإنهم حملوا قولهم على أنهم حكوا ما تكلّم به المسؤول، كما قال بعض العرب: دعنا من تمرتان. على الحكاية لقوله: ما عنده تمرتان، وسمعت عربياً مرة يقول لرجل سأله فقال: أليس قرشياً؟ فقال: ليس بقرشياً حكاية لقوله. فجاز هذا في الاسم الغالب كما جاز فيه وذلك أنه الأكثر في كلامهم، وهو العلم الأول الذي به يتعارفون. وإنما يحتاج إلى الصفة إذا خاف الإلتباس من الأسماء الغالبة، وإنما حكى مبادرةً للمسؤول، أو توكيداً عليه أنَّه ليس يسأله غير هذا الذي تكلّم به." [44]

ولا يمكن للباحث أنْ يغفل نباهة شيخ النحو العربي في هذا المقام فقد حاول الكتاب تفسير المظاهر الطارئة على بنية التراكيب النحوية في اللغة، ولمّا سعى إلى تعليلها انتبه رأساً إلى ما

---

[40] الحمزاوي، دور اللهجة في التقعيد النحوي، 93
[41] الأنباري، أسرار العربية، 343.
[42] السابق نفسه.
[43] الحموز، عبد الفتاح، انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى، 9
[44] سيبويه، الكتاب، 413/2.

لجهاز التحاور من سيطرة على نواميس الحدث التخاطبي حتى إنَّ مبدأ التفاهم قد غدا بمنزلة المعيار الضابط لطاقة الاختزال أو التصريح في الكلام فيكون له التأثير نفسه في تحديد أبعاد الشمول والاستيعاب عند تقدير الظاهرة اللغوية كلياً" [45]

ولعل ممن سار على منهج سيبويه في هذا ابن الورّاق الذي قال:

"وأما (أي) إذا استفهمت بها عن نكرة فإنك تعربها؛ لأنها متمكنة يدخلها الإعراب، فوجب أن يلحقها الإعراب علامة للحكاية، إذ كانت متمكنة، فتقول إذا قال الرجل: رأيت رجلاً: أيا يا هذا؟ وأيين؟ في التثنية وأيين؟ في الجمع، وكذلك أيان وأيون في الرفع. وبعض العرب يوجد (من) في جميع الجهات فيأتي بالواو والألف والياء فيقول: منا للواحد المنصوب والمثنى والمجموع، وكذلك: منو، ومني في الرفع والجر، وإن ثنّى وجمع، وإنما جاز ذلك؛ لأن (من) فيها معنى العموم، فلما كانت تقع على الجماعة لفظها ونفظها واحد جاز أيضاً أن تقع هاهنا في هذا الموقع." [46]

ومن هذا يتأكّد لنا أنّ: " التداوليّة تهتم باللغة في وضعية التواصل بمعناه العام " [47]

**الحكاية والمؤثرات الزمنية.**

إنّ النحو بوصفه دراسة النظام الشكلي للغة والتداولية بوصفها مبادئ استعمال اللغة حقلان متكاملان في اللسانيات فلا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة بدون دراسة كلا الحقلين ودراسة التفاعل بينهما[48]

ويُقصد هنا دور الحكاية في تحوّل الدلالة الزمنية من مثل حكاية الماضي بلفظ المضارع، ولعل ما حمل على ذلك قوله تعالى: (وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ) [49] (42) حيث قال الخضري في تعليقه على هذه الآية:

" ونقلبهم دون قلبناهم، والمعنى بسط ذراعيه والمشهور في حكاية الحال أن يقدر الماضي واقعاً زمن التكلم وقبل أن يقدر المتكلم نفسه موجوداً في زمن وقوع الفعل، ويعبر على كل بما يدل على الحال وكون الآية من ذلك، إنما هو باعتبار المخاطبين لا الخالق جلّ وعلا فإنّ الدنيا عنده كاللحظة الواحدة." [50]

إنّ هذه الإشارات تعبّر عن أهم المبادئ التداولية في العصر الحديث التي اهتمّت بـ " دراسة كيف يكون للمقولات معانٍ في المقامات التخاطبية. " [51]

وممّا يحمل على هذه المسألة أيضاً ما ورد أيضاً من إيضاح لمسألة تأثير دخول حتى على الفعل المضارع حيث حدّدوا الحالة الإعرابية للفعل رفعا أو نصبا بناء على زمن الحكاية قال الخضري في تعليقه على ابن عقيل:

" وقوله: "وقصدت به حكاية الحال الماضية" أي: قدرت نفسك موجوداً في وقت الدخول الماضي كما أشار له الشارح بقوله: كنت أو قدرت الدخول الماضي واقعاً حال التكلم، وعلى كلٍّ تعبِّر بالمضارع لاستحضار صورته العجيبة، فإنك وإن قدّرت اتصافك وقت التكلّم بالعزم على

---

[45] عبد السلام المسدي، التفكير اللساني في الحضارة ص 232

[46] ابن الوراق، علل النحو، 428.

[47] التداولية والسيميائية أ. ج كريماص، وا. لندفسكي. علامات ج33، مج 9، جمادى الأولى 1420، سبتمبر، 1990، محمد الداهي. ص 35.

[48] Leech. G. The Principles of Pragmatics ,1998. P4.

[49] سورة الكهف: آية 18.

[50] الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، 39/2.

[51] علي، محمد يونس، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد، بيروت، ص3

الدخول وجب النصب؛ لأنه مستقبل حينئذ تأويلاً ولذلك قرئ قوله تعالى: (وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ) [52] بالنصب لغير نافع مع أنّ قول الرسول وهو (أليسع) أو (شعياء) ماضٍ بالنسبة لزمن حكاية ذلك لنا واستقباله بالنسبة للزلزال غير معتزٍ لكنه على تقدير اتصاف الرسول وقت الحكاية لنا بالعزم على القوم فصار مستقبلاً تأويلاً ورفعه نافعٌ على فرض القول واقعاً حال الحكاية استحضاراً لصورته." [53]

وهذا التوجيه يكشف لنا أطر التلاقي مع التداولية التي اهتمّت بالسياق أو التسييق وهو ربط الكلام بسياقه النصي واللساني السابق واللاحق.[54]

فحكاية الحال تشير بوضوح إلى منهجية محكمة تتدخل في توجيهات النحاة، وهي منهجية تداولية سياقية قائمة على مراعاة الدلالات المختلفة للسياق ودورها في استنباط القواعد والاستدلال عليها بما يؤكد أن النظام النحوي " عبارة عن نسق الأوليات والمسلمات والمبادئ العامة وهو بشكل دقيق يعتمد قواعد استدلالية تجعل منه بنية استنباطية معتمدة وهو غني بما يكفي من هذه العناصر مجتمعة لتمثيل ما يوجد من اختلاف بين اللغات وتغير بداخلها. " [55]

وبذلك فإنّ الصورة الذهنية أدّت إلى توجيه النحاة للحالة التركيبية، أضف إلى ذلك أنّ النظر إلى الدلالات الزمنية من حيث الحال أو الاستقبال أدّت إلى التوجيه بالنصب أو الرفع.

إنّ هذه النظرية السياقية التداوليّة التي وجدت بذورها في التراث اللغوي العربي تكشف بحق سعة الفكر النحوي العربي من جهة، وعن عمق الدلالات العقلية التي كان يركن إليها نحاتنا في توجيهاتهم، وبالفعل إنها دلالات ذهنية تركن إلى (العقل) المرتبط بالاستعمال، لا إلى العمليات العقلية المجرّدة عن الواقع الاستعمالي" فالنحو واقعي لأنه موجود في دماغ المتكلم. " [56]

ولعلنا لا نبالغ القول: إنّ الحكاية توصلنا إلى حقيقةٍ مفادها أنّ النظرية النحوية العربية نظرية عقلية تداوليّة، تنظر إلى طرفي الخطاب (متكلم وسامع) وفق شبكة من الافتراضات المتحصلة من هذا التواصل، وبذلك تكون إملاءات الحكاية في التوجيهات النحوية سبقت معظم النظريات اللغوية الحديثة التي لجأت إلى دراسة الذاكرة اللغوية وطبيعة إنتاجها لسلسلة من الجمل التي تعرضت لجملة من التغييرات وفي هذا قال تشومسكي:" من الآن فصاعدا نعتبر أن اللغة كناية عن مجموعة متناهية من وغير متناهية من الجمل. وكل جملة منها طولها محدد، ومكونة من مجموعة متناهية من العناصر. " [57]

فالنظرية اللغوية العربية تركن إلى الذاكرة والذهن وإلى استحضار الصورة وفق تقنيات رياضية تكشف عن عمق هذا التفكير، وعن حيوية القاعدة النحوية، وعن فضاءات تلك القاعدة وآلياتها النظرية التي تميل إلى وضع الاستعمالات في قوالب ديناميكية مفعمة بالمعاني الوظيفية والأطر الاستعمالية.

ولعل ما يثبت هذه الحيوية أو الديناميكية أنّ النحوي في توظيفه للحكاية مرة يلجأ للهجة، وأخرى للتعليل، وثالثة للاستعمال، ورابعة للذهنية، وخامسة للسياق وزمانه، وللخطاب وأطرافه، وسادسة للأقيسة الشكلية والجوهرية، وسابعة للمعنى ودلالاته، وهذا ما اتضح لنا جلياً من الآراء السابقة، وهكذا تتوالى تقنيات التفكير النحوي وفق سلسلة من الاستدلالات التي يلجأ إليها النحوي

---

[52] سورة البقرة، آية 214

[53] الخضري، حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، 176/2.

[54] كاظم، فيصل مفتن، التداولية في النحو العربي، مجلة أبحاث ميسان، المجلد الثاني، العدد الرابع، عام 2006، ص48.

[55] الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، 43

[56] السابق، 46

[57] ميشال، زكريا، مباحث في النظرية الألسنية، 102.

وفق ما يراه مناسبا منً استخدام تقنية دون أخرى، ولعل مسألة الحكاية وفرّت للنحوي الأفق الاستعمالية التداوليّة فكرياً ونطقياً.

**خامساً: الحكاية والتعليل التداولي**

من غير المقبول البحث في مسألة الحكاية، والخوض في جزئياتها، وإغفال التراكيب التي حملت عليها.

وقد ظهرت جملة من الشواهد اللغوية التي حُملت على الحكاية عند النحاة، وبحثوا فيها ضمن أطر القواعد اللغوية التي تجسد أبعاداً نظرية متكاملة تحفظ اللغة وأقيستها، وتعليلاتها من جهة، وتركن إلى الوظائف التي تؤديها بعض الأنماط المستعملة، وفتحتْ هذه الأنماط وما تؤديه من وظائف المجال أمام النحاة للنظر في الجملة، ووضعها في إطارها التركيبي الصحيح.

ومن ينعم النظر في الفكر اللغوي العربي يجد اللغويين يجعلون جلّ اهتمامهم في تحديد مميزات لكل قاعدة، ولذلك كانوا ينظرون إلى الأمثلة المحكية وفق منهجية تمثيلية محكمة، لا تنبني على العشوائية، أو الفطرية بل هي منهجية متزنة تقوم على النظر إلى سلسلة من العلاقات النحوية بين المثال أو الشاهد المستعمل، وبين التوجيه المنطقي الذي يرتبط بالقاعدة من جهة وبالاستعمال من جهة أخرى، ولعل هذا ما تكشّف لنا من خلال دراسة توجيهات النحاة للأمثلة المتعلقة بالحكاية من وجهة نظر تداولية.

ولا يمكن إنكار الدور الذي تقوم به الحكاية في حسم بعض الخلافات النحوية بين البصريين والكوفيين، ففي مسألة الخلاف (نعم وبئس) هل هما اسمان أم فعلان؟

استشهد الكوفيون على اسميتهما بدخول حرف الجر عليهما نحو: "ما زيد بنعم الرجل " ونحو:" والله ماهي بنعم المولودة"[58]

والواضح أنّ دور الحكاية في نفي الأسمية جليٌّ ويشير إلى ظاهرة في غاية الأهمية ألا وهي تعدّد الأقيسة عند النحاة العرب في أثناء وضع القواعد. فالنحاة لم يعتمدوا على الأقيسة الشكلية فقط، بل إنهم لجؤوا إلى المعنى وما يرتبط به من أقيسة جوهرية لإيجاد العلة اللغوية المناسبة، فلو كان مقياسهم شكلياً فقط لوجدناهم مثلاً قبلوا باسمية (نعم وبئس).

إضافة إلى ذلك، فإنهم لم ينظروا إلى تلك المقاييس الشكلية والجوهرية التي ساروا عليها بشكل منفردٍ عن طبيعة الاستعمالات اللغوية التي وردت على هذه الظاهرة، أو بشكل منعزل عن طبيعة السياق التي وردت فيه، بل إنهم عملوا على وضعها ضمن إطار يراعي الشكل والمعنى ولا يغلّب أحدهما على الآخر.

وهذا ما تجلى واضحاً بإدخالهم تقنية (الحكاية) في تعليلهم لدخول حروف الجر على (نعم وبئس) وحتى على ما لا شبهة في فعليته نحو (نام)، فهم قد وضعوا هذه الشواهد في سياقها المعقول فوجدوا أنّ المعنى المستفاد من الحكاية يشكل جانباً مهماً في بلورة هذه القاعدة؛ لذلك طفق البصريون بالرد على الكوفيين بقولهم:" لا يجوز أن يحكم لنعم وبئس بالاسمية لدخول حرف الجر عليهما لتقدير الحكاية... والتقدير في قوله " والله، ماهي بنعم المولودة" والله، ما هي بمولودة مقول فيها نعم المولودة." [59]

إنَّ من الأسس التي قامت عليها ظاهرة الحكاية في الدرس اللغوي العربي هو ميل اللغويين إلى إيجاد العلل اللغوية التداوليّة لكثير من المسائل.

---

[58] انظر: الأنباري، الإنصاف، 97/1

[59] السابق، 113/1.

وللتعليل أهمية كبيرة في الفكر اللغوي، إذ يعدّ أصلاً من الأصول التي قام عليها البناء اللغوي. "فقد سئل الخليل بن أحمد رحمه الله عن العلل التي يعتل بها في النحو، فقيل له: عن العرب أخذتها أم اخترعتها من نفسك؟ فقال: إن العرب نطقت على سجيتها وطباعها، وعرفت مواقع كلامها وقام في عقولها علله وإن لم ينقل ذلك عنها واعتللت أنا بما عندي أنه علة لما عللته منه؛ فإن أكن أصبت العلة فهو الذي التمست؛ وإن تكن هناك علة غير ما ذكرتُ فالذي ذكرتُه محتمَل أن يكون علة له." [60]

وفي هذا السياق، فإنّ الحديث عن التعليل يرتبط بشكل أو بآخر بمسألة التسويغ في الفكر اللغوي والناظر في التعليل كعامل مكوّن للحكاية يجد علاقة وثيقة بينه وبين التسويغ.

وهذا الأمر ليس غريباً على جسد اللغة، بل هو أمرٌ طبيعي تألفه اللغة وممّا يدل على دور التعليل في تشكيل الحكاية رأي البصريين في ردّهم على الكوفيين.

"وقول بعض العرب: نعم السير على بئس العير، وقول الآخر: والله، ما هي بنعم المولودة". فنقول دخول حرف الجر ليس لهم فيه حجّة؛ لأن الحكاية فيه مقدّرة وحرف الجر يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا شبهة في فعليّته." [61]

وتعكس العلاقة بين التعليل التداولي القائم على مراعاة ظروف التخاطب والحكاية أموراً ثلاثة:

أولها: أنَّ إدخال النحاة للحكاية في تعليلاتهم يثبت تعدد مستويات التفكير لديهم في أثناء ممارستهم لآليات التقعيد النحوي؛ فالنحوي لم يعد يفهم النص فقط ممّا هو مكتوب أو منطوق، بل إنّه يحاول الغور في أسبار المميزات اللغوية لكل تركيب وفق آلية تحليلية تنظر إلى تقنيات التفسير والتأويل انطلاقاً من الأساس الحقيقي للألفاظ ودلالتها لذلك هم" رفضوا تثنية الحكاية أو جمعها أو إضافتها." [62]

وممّا يثبت هذا أيضاً قولهم: "ولا تجوز الحكاية فيما بعد (أي) كما جاز فيما بعد (مَن) وذلك أنه إذا قال رأيت عبد الله قلت: أي عبدُالله ؟ وإذا قال: مررت بعبد الله. قلت: أي عبدُالله؟ وإنما جازت الحكاية بعد (مَن) في قولك: من عبداله؟ لأنّ أياً واقعة على كل شيء وهي للآدميين، ومن أيضاً مسكنة في غير بابها. وكذلك يجوز أن تجعل ما بعد (مَن) في غير بابه." [63]

ثانيها: أنَّ لجوء النحاة إلى تعليل وتفسير بعض الأنماط اللغوية انطلاقاً من الحكاية يعكس نمطاً جديداً من أنماط تعامل النحاة مع الاستعمالات، ألا وهو استنباط الأحكام من الواقع التداولي الذي يركز على:" المرسل والمتلقي، والرسالة، وعملية التأثير والتأثر، والقصد، ونوايا المتكلم، والفائدة من الكلام، والإفهام." [64] لا ممّا هو مفترض بحيث تكون هذه الأحكام تابعة لقياس هذه الأنماط المستعملة على غيرها حتى لو كانت في ظاهرها مخالفة للقواعد. فمثلاً في دخول حرف الجر على نعم وبئس وافقوا على تقدير الحكاية فيها بناء على قياسهم على تقدير الحكاية في دخول حروف الجر على الفعل نحو:(بنام).

ثالثها: إنّ تعليل النحاة لأنماط الحكاية المتعلقة بتعدد الأوجه الإعرابية ظلت مرتبطة بفضاء التأويل والتقدير الذي يركز على طبيعة الوظائف النحوية بناء على بيان العلاقات التركيبية داخل

---

[60] السيوطي، الاقتراح، 307.
[61] الأنباري، الإنصاف، 112/1.
[62] المبرد، المقتضب، 11/4.
[63] سيبويه، الكتاب، 408/2.
[64] بو بكري، راضية خفيف التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية ــ، مجلة الموقف الأدبي، العدد 399، السنة الرابعة والثلاثون، تموز 2004.

الجملة فقد ظلّ الارتباط بين الحكاية والعلل اللغوية حاضراً في توجيه بعض القراءات القرآنية المختصة بتعدد الأوجه الإعرابية نحو قوله تعالى:(قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ) [65] "فإن المفسرين يقولون في هذا: أعني المنصوب قولين: أما المرفوع، فلا اختلاف في أن معناه – والله أعلم – قولي سلامٌ وأمري سلام. وأمّا المنصوب، فبإضمار فعل كأنهم قالوا: سلّم سلاماً. وقال بعضهم: لم يكن هذا هو اللفظ ولكنه معنى ما قالوا فإنما هو بمنزلة قلت: حقاً."[66]

ومن خلال هذه التأويلات نتبيّن الفرق بين العمليات النحوية والتداولية، فالتفسير التداولي يعتمد على المظاهر الاتصالية للغة فبينما تكون التفسيرات النحوية شكلية أساساً، تتحرك التداولية على المستوى الأدائي للجملة، ويعرف المعنى في التداولية بالإحالة على المتكلم أو مستخدم اللغة بينما المعنى دلالياً يعدّ بأنه أحد خصائص الجملة في لغة معينة بصورة مجردة عن أي موقف معين أو متكلم أو مستمع. [67]

**الخاتمة**

من خلال ما تقدم استطاعت الدراسة التوصل إلى جملة من النتائج من أهمها:

أولاً: إنَّ المفهوم الاصطلاحي للحكاية عند النحاة العرب يعكس أمرين: أحدهما يتصل بمسألة الثبات الاستعمالي سواء أكان هذا الثبات في الحركة، أم في الصيغة، وقد تجاوزت فكرة الثبات هذه النظر إلى الموقع وما يرتبط به من عوامل ومعمولات. والآخر أنَّ النحوي كان ينظر إلى الحكاية من منظار الاستعمال الذي ينأى بالقاعدة عن الجانب المعياري إلى المعيار التداولي.

ثانياً: إنّ الواقع التداولي للحكاية يكشف لنا أنّ هذه الظاهرة نشأت في رحم التواصل بين طرفي الخطاب المتكلم والمخاطب.

ثالثاً: إنّ ثنائية القصد والإفادة تكشف لنا عن حقيقة لا يمكن إنكارها عند النحاة العرب، مفادها أنَّ اللغة وفّرت حلقة موسعة من الاستعمالات التي انزاحتْ عن القاعدة الرئيسة، ولا شكّ أنَّ الحكاية شكّلت حلقةً مهمةً من حلقات هذه السلسلة الاستعمالية بين طرفي الخطاب.

خامساً: إنَّ علاقة اللهجات بأنماط الحكاية يؤكد أنّ هذه الأنماط، ماهي إلا انزياحٌ عن القاعدة الرئيسة. وبذلك أثبتتْ فكرة البدائل الاستعمالية أيضاً أنّ الحكاية لم تكن شذوذاً عن القاعدة، أو غلطاً، أو توهماً كما ادّعى بعض النحاة، بل هي أنماط لغوية استُعملت بين طرفي الخطاب لأداء معانٍ ودلالاتٍ معينة منها ما جاء: (من باب التوسع اللغوي، أو لرفع الالتباس، أو لتأكيد فكرة ما.) وفق سلسة من الاستبدالات النحوية.

سادساً: إنَّ حكاية الحال تشير بوضوح إلى منهجية محكمة تتدخل في توجيهات النحاة، وهي منهجية تداولية سياقية قائمة على مراعاة الدلالات المختلفة للسياق ودورها في استنباط القواعد والاستدلال عليها.

سابعاً: تشير العلاقة بين التعليل والحكاية إلى سلسلة من التقنيات التي كان يستعملها النحاة العرب في توجيهاتهم، وتوحي بتعدد المستويات التي اعتمد عليها النحاة في تفسير الأنماط المحكية، واستنباطهم للأحكام مما هو مستعمل لا ممّا هو مفترض، وتركيزهم على طبيعة الوظائف النحوية بناءً على العلاقات التركيبية داخل النص.

---

[65] سورة هود: آية 69.

[66] المبرد، المقتضب، 11/4.

[67] التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، أمبراتيكو، ترجمة سعيد بنكرار، المركز الثقافي العربي ص 187.

سابعاً: إنّ الحكاية توصلنا إلى حقيقةٍ مفادها أنّ النظرية النحوية العربية نظرية عقلية تداوليّة، تنظر إلى طرفي الخطاب (متكلم وسامع) وفق شبكة من الافتراضات المتحصلة من هذا التواصل، وبذلك تكون إملاءات الحكاية في التوجيهات النحوية سبقت معظم النظريات اللغوية الحديثة التي لجأت إلى دراسة الذاكرة اللغوية وطبيعة إنتاجها لسلسلة من الجمل التي تعرضت لجملة من التغييرات.

ثامناً: إنّ الفرق بين العمليات النحوية والتداولية، يتمثل في أنّ التفسير التداولي يعتمد على المظاهر الاتصالية للغة ومؤثرات التخاطب وظروفه في حين تكون التفسيرات النحوية شكلية أساساً وتعتمد على الأقيسة المنطقية التأويلية.

تاسعاً: إنّ النظرَ في البنى التركيبية لظاهرة الحكاية يؤكد أن أفكار النحاة فيها كانت تسير وفق خارطة واضحة المعالم تعنى بثلاثية تداولية تقوم على مراعاة العقل، والبيئة، والمقام، وتتفرع منها استعمالات أبناء اللغة التي منها ما هو منتظم، ومنها ما هو غير منتظم، لكن وظيفة النحوي تبقى هي الأساس هنا، وهي التوفيق بين هذه المعطيات المختلفة وهذا ما أثبته لنا نحاتنا من خلال نظرهم في الحكاية وبناها التركيبية.

**المصادر والمراجع**


(1) أ. ج كريماص، وا. لندفسكي، التداولية والسيميائية، علامات ج33، مج 9، جمادى الأولى 1420 هـ، سبتمر، محمد الداهي، 1990، .

(2) أرمينكو، فرانسوز، المقاربة التداولية، ترجمة سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، الرباط، المغرب، 1986.

(3) أمبراتيكو، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكرار، المركز الثقافي العربي.

(4) الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، (ت 577 هـ)، **أسرار العربية**، تحقيق: محمد بهجت البيطار دار البشائر، دمشق، ط2، 2004،

(5) الأنباري، ، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، (ت 577 هـ**(الإنصاف في مسائل الخلاف**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت

(6) بليغ، عيد، التداولية البعد الثالث في سيموطقيا موريس، ، مجلة فصول، القاهرة، عدد ربيع 2005م.

(7) بو بكري، راضية خفيف التداولية وتحليل الخطاب الأدبي مقاربة نظرية ــ، مجلة الموقف الأدبي، العدد 399، السنة الرابعة والثلاثون، تموز 2004.

(8) الجرجاني، علي بن محمد، **التعريفات**، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت.

(9) الحمزاوي، علاء إسماعيل، **دور اللهجة في التقعيد النحوي**، دراسة إحصائية في ضوء همع الهوامع للسيوطي.

(10) الحموز، عبد الفتاح، **انزياح اللسان العربي الفصيح والمعنى**، دار عمار، عمان، ط 1، 2008.

(11) الخضري، **حاشية الخضري على شرح ابن عقيل**، ضبط وتشكيل: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، بيروت، 1995.

(12) خوسيه، ماريا إيفانكوس، نظرية اللغة الأدبيّة، ترجمة، د. حامد أبو أحمد، دار غريب، القاهرة، 1991.

(13) ذو الرمة، **ديوانه**، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، مؤسسة الإيمان، بيروت ط2، 1982.

(14) الرضي الاستراباذي (ت 686 هـ)، **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة ط1، 2000.

(15) الرماني، علي بن عيسى، **رسالتان في اللغة**، تحقيق: إبراهيم السامرائي، ، دار الفكر ط 1، 1984.

(16) الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر، **الكشاف**، دار الكتاب العربي، بيروت، 1407 هـ.

(17) ابن السراج، أبوبكر محمد بن سهل (ت 316 هـ**(الأصول في النحو**، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مكتبة الرسالة، بيروت ط1، 1985.

(18) سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان قنبر (ت 180 هـ )**الكتاب**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط1، (د.ت)

(19) السيوطي، جلال الدين، **الاقتراح في علم الأصول**، علّق عليه: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية، 2006.

(20) السيوطي، **همع الهوامع**، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت.

(21) شيتر، رحيمة، التداولية وآفاق التحليل، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، ع 2وع3، جوان.2008.
(22) الصبان، محمد بن علي، **حاشية الصبان على شرح الأشموني**، مكتبة دار إحياء الكتب العربية، القاهرة.
(23) صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2005.
(24) العكبري، أبو البقاء عبدالله بن الحسين، (ت 616هـ) **اللباب في علل البناء والإعراب**، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط1، 1995،
(25) علي، محمد يونس، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2005.
(26) محمد عناني، **المصطلحات الأدبيّة الحديثة**، الشركة المصريّة العالمية للنشر، القاهرة، 1996.
(27) الفهري، عبد القادر الفاسي، **اللسانيات واللغة العربية**، الدار البيضاء، 1985.
(28) المبرد، المقتضب، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، القاهرة، 1399هـ.
(29) المسدي، عبد السلام التفكير اللساني في الحضارة، الدار العربية للكتاب، طرابلس –تونس، ط2، 1986.
(30) مقبول، إدريس البعد التداولي عند سيبويه، ، عالم الفكر، مجلد 33، يونيو2001.
(31) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم (ت 711)، **لسان العرب**، ، دار صادر بيروت، ط3، 2004.
(32) ميشال زكريا، **مباحث في النظرية الألسنية وتعليم اللغة**، ، بيروت، ط2، 1985.
(33) نحلة، محمود أحمد، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2002.
(34) الوراق، محمد بن عبدالله، **علل النحو**، تحقيق: محمود سالم الدرويش، مكتبة الرشد، الرياض ط 1، 1999.
(35) اليمني، علي بن سليمان الحيدرة، **كشف المشكل في النحو**، تحقيق: هادي مطر الهلالي دار عمار، عمان، ط1، 2002.
(36) ابن يعيش، موفق الدين النحوي (ت 643هـ)، **شرح المفصّل**، عالم الكتب، بيروت، (د.ط) (د.ت)، .
(36) Georg Yole, Pragmatixes, Oxford University press New York, 2000.
(37) Crystal, D., A Dictionary of Linguistics and Phonetics, Black well, Great Britain, 1999.
(38) Leuin Son, Stephen, Pragmatics, Cambridge University, 1983.
(39) Leech. G. The Principles of Pragmatics, 1998.

**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 139-156**

# انشطار الذات بين جدل الحياة والموت: قراءة في قصيدة "أأرحلُ قبلكِ أم ترحلين.." لعبدالله إدريس

***عبدالله حسن محمد إدريس*** (*)

**الملخص**: تتناول هذه الورقة البحثية دراسة انشطار الذات بين جدل الحياة والموت في قصيدة (أأرحل قبلك أم ترحلين) للشاعر السعودي عبدالله إدريس[1]، وقد وجدت الدراسة أنّ ذات الشاعر تنشطر حائرة بين صراع الحياة والموت، حيث يستبطن النص ملامح للحياة وأخرى للموت. وهذه الملامح لا تأتي منفصلة عن بعضها بل هي متلازمة داخل النص، وقد خلصت الدراسة إلى أن ملامح الحياة في النص تغلب على ملامح الموت وبالتالي فقد توصلت إلى أن أسباب ذلك تتلخص في جانبين: نزعة حب البقاء باعتبارها غريزة نفسية، ثم نزعة الشاعر الدينية التي تصدر عن تعاليم الإسلام الذي يدعو إلى عدم تمني الموت. اتبع البحث المنهج الفني التحليلي مستعينا بأدوات المنهج الوصفي، وقد خلصت الدراسة لعدد من النتائج دونت في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية: انشطار الذات، جدل الحياة والموت، عبدالله إدريس.

# Self-dichotomy between life dispute and death: A study on a poem for Saudi poet Abdallah Idrees

***Abdallah Idrees***

**Abstract**: This research paper investigates the self-dichotomy between life dispute and death for the Saudi poet Abdallah Idres, the study found that the poet is dichotomous between the struggle of life and death. The text includes features for life and other for death. These features are not separated but consistent in the text. The study also discovered that the features of life in the text overcame, subsequently, the study is summed up in two sides: tendency of love survival as it considered a self-instinct, and the poet religious tendency which is issued from Islamic teachings that call to the dislike of death. The research uses the analytical, technical method employing the tools of the descriptive method, and the study attained to the results written the conclusion.

***Keywords***: *Self dichotomy, life dispute and death, Abdallah Idrees.*

(*) أستاذ مساعد بكلية العلوم والتربية- جامعة الطائف-السعودية idrees.abdallah@yahoo.com

## مقدمة:

"كان الإنسان وما زال يعدّ مجابهة الموت قضيته المصيرية الأولى، وهي قضية صراع طويل ومرير اتخذ أشكالاً متعددة مختلفة على مرّ الأجيال في تاريخ الحضارة الإنسانية. ولعلّ أوّل مدونة وصلتنا لهذا الصراع هي أسطورة جلجامش السومرية، التي دُوِّنت ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد، وتروي قصة الملك البطل جلجامش الذي سعى بكل ما يلتهب في داخله من رغبة في الخلود، إلى تحقيق حياة أبدية، فعاد من رحلاته إلى المجهول وقد خابت آماله، وأشرقت الحقيقة التي لم يستطع نقضها: وهي أن الإنسان وُلِد ليموت". [2]

تحضر فلسفة الحياة والموت بأسئلتها عند الفلاسفة قديماً وحديثا، لكن معظم الدراسات ركّزت على تناول الموت عبر سؤاله الغامض، إذ تمّ بحثه عند اليونان من هيراقليطس وأرسطو وأفلاطون، مروراً بالعصور المختلفة حتى العصر الحديث في دراسات باسكال وبرجسون وهيدجر وشبنهاور.

وخُصّت مسألة الموت بالكثير من الدراسات في مختلف اللغات، وتُرجم بعضها إلى العربية. أما في جانب الدراسات العربية فنجد أسئلة الموت عند الكثير من الفلاسفة، ولعلّ من أهم الدراسات في العصر الحديث ما قدمه عبدالرحمن بدوي، إذ بحث الموت من زاويته الفلسفية، وخصّص مساحات من مباحثه الأكاديمية لهذا الغرض منذ (مشكلة الموت)، و(الموت والعبقرية)وغير ذلك، وفي (موسوعته الفلسفية) نجده يشرح نظريته الشخصية عن الموت في ترجمته لنفسه.

وفي دراستهم للظاهرة نجد الكثير من الفلاسفة وعلماء النفس يقابلون بين الموت والحياة باعتبار أنهما قوتان متناقضتان متصارعتان فقد "اعتبر العالم النفسي الأشهر سيجموند فرويد أن هناك قوتين محركتين للفرد وللمجتمع الإنساني عموما، تتصارعان وتتقاطعان وتتناقضان، إحداهما سمّاها القوة الأيروسية باعتبارها قوة الحياة والحب والإبداع والإخصاب الجنسي، والرضا النفسي، وحفظ النوع، وسمّى الثانية القوة الثانتوسية، المقتبسة من الكلمة الإغريقية التي تعنى الموت، وهى القوة المحركة للعدوان والسادية، والدمار والعنف والموت أو القتل.

وفى توصيفه للقوتين يقول إن البشر لحظة استجابتهم لقوة الثانتوس، اخترعوا أدوات الدمار الشامل التي تعنى إمكانية الانقراض لجنسهم، وبالمقابل فإن قوة الإيروس عند الاستجابة لها، ستقوم بالجهد الذى يؤكد وجود الإنسان واستمراره، والنضال ضد ذلك الخصم الذى لا يموت هو أيضا ولا يندثر ألا وهو الموت، ولكن من تراه يستطيع أن يقول ما مدى النجاح، أو ما هى النتيجة التي سيصل إليها كل منهما في نهاية المطاف؟ بمعنى هل ستتمكن قوة الدمار فى أنفسنا أي قوة الثانتوس، أن تنجح في الوصول بالجنس البشرى إلى الانقراض عن طريق ما يراكمه البشر من أسلحة الفتك والدمار، أم أن قوة الأيروس، قوة الخير والمحبة والحياة ستنجح فى إنقاذ البشر والمحافظة على النوع؟"[3]، وقد ذكر كذلك أن هاتين القوتين تتجاذبان النفوس، وتتجاذبان المجتمعات. [4]

قصيدة عبدالله إدريس تحمل في بواطنها الجمع بين هاتين القوتين المتصارعتين المتناقضتين، الموت والحياة، ولعل ذلك كان أحد أسباب التناغم فيها، يقول الشاعر التشيكي كارل سابينا:" إنّ التناغم يولد من التناقض، والعالم كلّه يتكوّن من عناصر متعارضة، وكذلك الشعر. والشعر الحقيقي يعيد صياغة العالم بطريقة جوهرية ومدوّية يتمّ فيها ميلاد الأسرار من خلال التقاء المتناقضات"[5].

قبل الخوض في تفاصيل النص وتحليله نرى أنه لابد من توضيح بعض المصطلحات الواردة في الدراسة لأن ذلك يسهم في تبيين المراد من الفكرة العامة للبحث ويزيد من مفهومية التحليل، وأهم هذه المصطلحات: الانشطار والجدل، أما المفاهيم الفلسفية والنفسية – غير ذلك – فقد عالجها البحث في موضعها، فالغوص في علم النفس والفلسفة ليس مقصوداً لذاته، وبنفس القدر يرى البحث أن ذلك مما لا يجب تجاهله، لذا وعملاً على ربط النص الشعري بخلفيته المؤسسة له فقد تناولها البحث باقتضاب وتم مناقشتها في مواضعها من البحث.

**ـ الانشطار**

ورد في معجم العين" شطرُ كلِّ شيءٍ: قصده، وشطر كلَّ شيءٍ نصفُه، وشطرته: جعلتُه نصفين. (6)

كما ورد في المحيط في اللغة "شطر: شَطْرُ كُلِّ شَيْءٍ: نِصْفُه. وفي المَثَل: " احْلُبْ حَلَباً لكَ شَطْرُه ". وحَلَبَ الدّهْرَ أشْطُرَه: أي نِصْفَه، وقيل: مَرَّتْ عليه ضُرُوْبُه من خَيْرِه وشَرِّه. وشَطَرْتُ الشَّيْءَ. وحَلَبَها أشْطُرا، وأشْطَرَها. والشَّطْرُ: القَصْدُ. وبَنُو فلانٍ شِطْرَةٌ: إذا كانَ الذُّكُوْرُ على عَدَدِ الإناثِ. وشَعْرُه شَطْرَانِ: سَوَادٌ وبَيَاضٌ. (7)

وجاء في مختار الصحاح: شَطْر الشَّيْءِ نِصْفُه وجمعه أشْطُر. وشَاطَره مالَه إذا ناصَفَه. (8)

من خلال ذلك يتضح لنا أن العرفُ اللغوي قد جرى على أن الدالَّ (الانشطار) محددُ المدلول في الانقسام إلى شطرين (نصفين)، ومع أنه يزخر بحمولاتٍ دلالية تربو على ذلك، إذ لا يقتصر معناه على التناصف، بل يتعداه؛ حيث يقول ابنُ فارس في مقاييس اللغة: (الشين والطاء والراء أصلان يدل أحدُهما على نصف الشئ، والآخر على البعد والمواجهة)(9)إلا أننا ههنا سنعتمد ما جرى عليه العرف اللغوي من دلالة الانشطار على الانقسام إلى شطرين.

الذات في انشطارها ذاتين لا تعدم تواجه شطريها، وهذا التواجه مع أنه يحمل بعداً مادياً يمثله التلاحم قبل الانشطار، إلاّ أنه يحمل كذلك بعداً نفسيّاً يتمثل في التشظّي الناتج عن ذلك الانشطار، مما يؤدي إلى قدر من التناقض والتنافر، فيقود بالتالي إلى غربة الذات، فالشطير في اللغة يعني الغريب. (10)، وتلك الغربة الناتجة عن الانشطار تؤدي إلى بعد الذات عن شطرها، فالشطر في بعض معانيه يأتي بمعنى البعد(11).

**ـ الجَـدَل ج ـ د ـ ل**

الجَدْل: مصدر جدلتُ الحبلَ أَجدُله وأجدِله، إذا فتلته، والحبل مجدول وجديل. وربما خُصَّ زِمام البعير بهذا الاسم فسمِّي جديلاً. وجادلتُ الرجل مجادلة وجِدالاً، إذا خاصمته، والاسم الجَدَل. ورجل جَدِل: شديد الجِدال (12)

الجَدَل: اللدد في الخصومة والقدرة عليها، وقد جَادله مُجادلة، وجِدالا.

ورجل جَدِلٌ، ومِجْدَل، ومِجْدال: شديد الجَدَل.

والمَجْدَل: الجماعة من الناس، أراه لأن الغالب عليهم إذا اجتمعوا أن يتجادلوا (13)

يحمل الجدل في طياته معنى الصراع، فالجَدَل في اللغة تعني الصَّرْع (ابن فارس: جدل)، وكأن كلَّ طرفٍ من طرفي الجَدَل، أو أطرافه يريد أن يصرع غيرَه فكرياً؛ مما يولِّد ثنائيةٌ تناقضيةٌ من الغَلَبة والانهزام، يكون لها أثرُها على كلا الطرفين.

فهو حوارٌ قائم بين طرفين، وقد لا يهدُفُ إلى نتيجةٍ، بقدر ما يهدفُ إلى إثباتِ الذات، أو تسجيلِ موقفٍ؛ لأن التناقضَ أو الاختلاف هو عمادُ الجدل.

إذاً فجدل الحياة والموت اصطراع دائم بين هاتين القوتين المتناقضتين، متى تحققت الغلبة لأحدهما تحقق الانهزام للطرف الآخر.

**نص القصيدة:**(14)

**أأرحلُ قبلكِ أم ترحلين وتغربُ شمسي أم تغربين**
**وينبتُّ ما بيننا من وجودٍ ونسلكُ دربَ الفراقِ الحزين**
**ويذبلُ ما شاقنا من ربيعٍ تؤرِّجُهُ نفحةُ الياسَمين**
**وتسكُبُ سحبُ الأسى وابلاً على مرقدٍ في الثرى مُستكين**

***** **** ****

**فإن كنتُ بادئَ هذا الرحيلِ فيا حزنَ روحٍ براها الحنين**
**وإن كنتِ مَن قد طواها المدى فيا فجعةً لفؤادي الطعين**

**** **** ****

**لقد كنتِ لي سعدَ هذا الوجودِ ويا سعدنا بصلاحِ البنين**
**هُمُ الذخرُ دوماً بهذي الحياةِ وهم كنزُنا بامتدادِ السنين**
**سلكنا سويّاً طريقَ الحياةِ وإن شابها كدرٌ بعض حين**
**لقد كنتُ نعمَ الرفيقُ الوفيُّ وأنتِ كذاكَ الرفيقُ الأمين**
**لك الحمدُ يا ربُّ أن صغتها خدينةَ دينٍ وعقلٍ رصين**
**تسابقُني في اصطناعِ الجميلِ وتغبطُني في انثيالِ اليمين**
**فيا زخّةً من سحابٍ رهيفٍ ويا نفحةً من سنا المتّقين**
**حياتي بدونك حرٌّ وقرٌّ وأنتِ على صدق ذا تشهدين**
**وينفضُّ سامرُنا موغِلاً رحيلاً إلى أكرمِ الأكرمين**

**التدرب على الموت في النص:**

يستبطن النص فكرة التدرب على الموت، تلك الفكرة التي نجدها عند أفلاطون، إذ يذكر تايلور أن الكثيرين يخطئون عندما يعزون إلى أفلاطون تعريف الفلسفة بأنها "تأمل الموت" ويقول بأن الكلمة الإغريقية Malete لا تعني التأمل، وإنما تعني الاستعداد أو التهيؤ، تعني "التدريب المتكرر الذي نعد به أنفسنا لأداء عمل ما.. هكذا فإن الفكرة هي أن الموت يماثل مسرحية كانت حياة الفيلسوف تدريباً يومياً عليها، إن عمله هو تحقيق الكمال في أداء دوره حينما يرفع الستار... [15]

هذا التدريب يعني بمعنى أو بآخر التعود على فكرة الموت ومن ثم السيطرة على الخوف منه.

فالنص يبدأ بمجموعة من التساؤلات، فإذا كان البيت الأول يوحي ظاهره بالتساؤل عن الزمن من خلال كلمة (قبلك).. فالبيت يستبطن تساؤلاً يطرحه ظاهر اللغة، فعلم المعاني يقضي بأن همزة الاستفهام إنما يليها المسؤول عنه دائما[16].. فمن هذا المنطلق يكون التساؤل عن الرحيل كحدث وليس عن قبل أو بعد..

ولعلّ التساؤلات التالية تؤكد ذلك، إذ يتساءل عن أحداث لا يربطها بزمن كما في بيته الأول.. (وينبتّ ما بيننا من وجود) (ونسلك درب الفراق الحزين) (ويذبل ما شاقنا من ربيع) (وتسكب سحب الأسى وابلاً...) فجميع هذه تساؤلات عن أحداث مما يدل على أن الشاعر مع استظهاره للزمن من خلال كلمة (قبلك) إلاّ إنه يستبطن تساؤلاً عن الموت باعتباره حدثاً.

ولذا فإننا نذهب إلى القول بأن التساؤل في بداية النص "أأرحل قبلك أم ترحلين" ينطوي على أمرين: أولهما نأخذه من ظاهر اللغة وهو التساؤل عن الرحيل كونه من عدمه، وثانيهما يؤخذ من انحراف اللغة وهو التساؤل عمن يسبق الآخر، وإذا كان ظاهر النص ينحو للأمر الثاني فإن النص يستبطن تساؤلاً خفياً عن الرحيل من عدمه.

ولعل ما يؤكد لنا أن النص قد انطلق من فكرة التدرب على الموت أن الشعور بالخوف قد بدأ بالتلاشي.. فأسئلة النص الأولي تخرج من الاستفهام إلى التحسر والتأسف لفراق الحياة، بينما آخر أبيات النص يوحي باقتناع الشاعر بفكرة الموت واستسلامه له، ويأتي بالنهاية الحتمية دون مقدمات.

ولعل فكرة التدرب على الموت، كما يرى البحث، ليست جديدة عند الشعراء، فقد علقت نازك الملائكة على بعض شعراء الموت، وحللت علاقة كل منهم به، فرأت أن الشاعر الغربي كيتس كان من المفتونين بالموت، وقد ذكر في إحدى قصائده أن "الشعر والمجد والجمال، أشياء عميقة حقاً، لكن الموت أعمق، الموت مكافأة الحياة الكبرى "فالحياة جميلة ولكنها تستحق أن يكافأ عليها الإنسان بالموت.. ثم تذكر أبا القاسم الشابي فتقول: تجربة الموت لديه تجربة حيوية لها من الحنقة المبهمة والغموض المفرد.. كما ذكرت شاعراً ثالثاً هو محمد الهمشري، الذي كان إحساسه بالموت أكثر تميزاً من الشابي، فهو ولِهٌ بالغناء للموت لدرجة أنه نظم فيه ملحمة كاملة بعنوان: شاطئ الأعراف، والقصيدة تكاد تكون أغنية موجهة إلى الموت لا أثر فيها للحسرة ولا للذكرى وكأن

الشاعر يلتذُّ بالموت. [17]، من هذا المنطلق فإننا نربط ذلك بفكرة التدرب على الموت فنقول بأن تجربة هؤلاء الشعراء لا تخرج عنها تماماً كما هي عند عبدالله إدريس.

**فلسفة الحياة والموت في النص:**

تتجلى في النص بصورة واضحة من منطلق أن موضوع النص هو الصراع ما بين الموت والحياة، هذا الصراع الذي لا تكاد عجلته تتوقف، وقد نظر بعض الفلاسفة إلى الموت باعتباره ذروة الحياة وقمة اكتمالها، قال باورا Bowra "نظر أصحاب المثل الأعلى البطولي إلى الموت باعتباره ذروة الحياة وقمة اكتمالها، وبوصفه آخر المحن التي يتعرض لها الإنسان وأشدها قسوة، والاختبار الحقيقي لقيمته "[18]

وتتجلى فلسفة الحياة والموت في النص في أكثر من ملمح:

**أولاً: ملامح الحياة في النص:**

لعلّ أهمّ ما يُشار إليه ههنا هو أنّ الشاعر مع تساؤله عمّن سيسبق منهما صاحبه إلاّ أن النص يكاد يخبرنا أنّ صراعاً داخلياً في نفس الشاعر يشير إلى حبّه لحياة رفيقته، ذلك الحب الذي يجعله لا يحتمل فكرة موتها، ولعلّ معظم ملامح الحياة في النص إنما تشير إلى تمنّي حياة المحبوب، إذ لا يكاد الشاعر يختار أن يقرنه بالموت.. وربما كان الشاعر الإنجليزي وليم شكسبير يعبّر عن ذلك الشعور نفسه، وهو يخاطب محبوبه، فأجواء قصيدة عبدالله إدريس تحمل بعضاً من أجواء السوناتة الثامنة عشرة، لوليم شكسبير[19].

وتشابه الأجواء بين النصين واضح، فالصيف عند شكسبير هو عامل فناء، إذ فيه تعصف ريح الذبول، وتعبث في برعمات الربيع، وفيه تسطع عين السماء فيحتدم القيظ، وفيه تحجب السحب ضياء السماء وجمال الشمس.

أما عبدالله إدريس فعامل الفناء عنده هو الرحيل، إذ فيه تغرب شمس الحياة، وينبتّ الوجود وتؤول الحياة إلى العدم، ويذبل ما شاق الأحبة من ربيع، وتسكب سحب الأسى على المرقد المستكين،

ولكن المحبوب عند شكسبير يقف شامخاً أمام الموت /الفناء/الصيف... فصيفه لن يغيب، ولن يفقد نور الجمال، كما أن الفناء الرهيب لن يتباهى أو يفخر أن هذا المحبوب يمشي بين ظلاله:

**ولكن صيفك ذا لن يغيب**
**ولن تفقدي فيه نور الجمال**
**ولن يتباهى الفناء الرهيب**
**بأنك تمشين بين الظلال**

كما أن المحبوب عند عبدالله إدريس أيضاً يقف شامخاً أمام الرحيل /الفناء.. إذ تبدو ملامح الحياة عنده واضحة جلية كما سيتضح لنا.

أمّا أهمّ ملامح الحياة التي أرادها الشاعر لمحبوبه فتتجلّى في الآتي:

1-تأخير ذكر رحيل المحبوب (أأرحل قبلكِ أم ترحلين)، إذ أنّ تأخير ذكر رحيلها إنما هو تمنٍّ لها بالحياة، إذ أن رحيله الذي يسبق رحيلها إنما هو شاهد على حياتها.

يؤكد ذلك بقوله في البيت الخامس:

**فإن كنت بادئ هذا الرحيل**

مع أنّ الجملة تحمل معنى الاحتمال إلاّ أنه احتمال يحمل ما يحمل من إيحاء بالتمنّي الذي يعبر عن حالة نفسية خفية تشير إلى تمنّي حياة المحبوب.

2-عدول الشاعر عن استخدام دال الموت (الردى) إلى استخدام... (المدى) في بيته السادس:

**وإن كنتِ مَن قد طواها المدى فيا فجعةً لفؤادي الّطعين**

ذلك أن جلَّ نصوص الأدب –إن لم نحكم على جميعها- إنما تشير إلى الموت بـ(الردى)، من ذلك على سبيل المثال قول ابي الحسن التهامي في رثاء ابنه [20]:

**طواه الرّدى طيِّ الرداء فأصبحت مغانيه ما فيهنَّ منه سوى الذكرِ**

وقول ابن الرومي كذلك في رثاء ابنه[21]:

**طواه الرّدى عنّي فأضحى مزارُهُ بعيداً على قربٍ قريباً على بعدِ**

وقول حافظ إبراهيم[22]:

**فأصبحا هذا طواهُ الرّدى وذاك نهبٌ في يدِ البؤسِ**

وقول السّياب في قصيدة (شهداء الحرية)[23]:

**طواهُ الرّدى فالكونُ للمجد مأتمٌ مشارقُهُ مسودّةٌ ومغاربُه**

وقوله كذلك في قصيدة(خيالك)[24]:

**أبي منه قد جرّدتني النساء وأمِّي طواها الرّدى المعجلُ**

وقوله في قصيدة أخرى[25]:

**يكفِّر عمَّا جرى عصور طواها الرّدى**

ففي كل تلك النصوص وغيرها نجد الشعراء يشيرون إلى الموت بدالٍ مباشر هو (الرّدى)، بينما نجد عبدالله إدريس ينحرف عن هذا الدال المباشر إلى استخدام لفظ(المدى) وذلك تجنباً منه لذكر (الردى) من أجل إعطاء الحياة لمحبوبه.. مما يشير إلى ملمح من ملامح الحياة في النص.

3-حين جمع الشاعر بين ذاته ومحبوبه نجده يمثل ذاته بالماضي، بينما يمثل محبوبه الحاضر والآن، يقول:

**لقد كنتُ نِعمَ الرفيق الوفيّ وأنتِ كذاك الرفيق الأمين**

ففي البيت جمع بين زمان مضى (كنتُ) وزمان حاضر مستمر(أنت).. وفي ذلك إشارة جلية لمضيّه هو وبقاء محبوبه.. مما يشير إلى ملمح من ملامح الحياة في النص وهو حياة المحبوب.

4-استخدام الأفعال الموحية بالحركة عند الإشارة للمحبوب (تسابقني في اصطناع الجميل-تغبطني في انثيال اليمين- وأنت على صدق ذا تشهدين) فالأفعال(تسابقني-تغبطني- تشهدين) تدل على الحركة والاستمرار بحكم تموقعها أفعالاً مضارعة.. وذلك إنما هو ملمح من ملامح حياة المحبوب.

5-من ملامح الحياة في النص كذلك إشارته إلى البنين، فالبنون هم دائماً رمز للحياة في أكمل زينتها، ولا أدلّ على ذلك من القرآن الكريم (المال والبنون زينة الحياة الدنيا)(الكهف: 46)

وكان هرقليطس قد قال في بعض شذراته "إن الفانين خالدون، والخالدون فانين، فأحدهم يعيش بموت الآخر، ويموت بحياة الآخر"..

وقد ذهبت بعض التفسيرات إلى أن هرقليطس بهذا القول كان يفكر في معتقد شبه ديني، كان شائعاً بين عامة الإغريق، والذي نجده اليوم في العديد من المجتمعات المختلفة، وقوامه أن الحفيد هو استمرار لحياة الجد، الذي يحمل اسمه عادة، وبهذه الطريقة البسيطة يمكن القول بأن الحياة قد أعقبت الموت، وأن الوليد قد أعقب الشيخ.. [26].. فالأبناء هم الذين يواصلون سيرورة الحياة بعد موت آبائهم.. فذكر البنين إذاً ملمح واضح من ملامح الحياة في النص.

وعوداً إلى سوناتة شكسبير فالذي يجعل المحبوب مخلد الذكر هو تلك الأشعار التي يصوغها الشاعر فيه مما يجعل ذكره لا يغيب بين الورى..

**ولن يتباهى الفناء الرهيب**
**بأنك تمشين بين الظلال**

**إذا صغت منك قصيد الأبد**
**فما دام في الأرض ناس تعيش**
**وما دام فيها عيونٌ ترى**
**فسوف يردد شعري الزمان**
**وفيه تعيشين بين الورى**

أما عند عبدالله إدريس فأسباب خلود الذكر كذلك متوفرة ولكنها تأتي من اتجاه آخر، وهو (البنون)..
**لقد كنتِ لي سعدَ هذا الوجودِ ويا سعدنا بصلاحِ البنين**
**هُمُ الذخرُ دوماً بهذي الحياةِ وهم كنزُنا بامتدادِ السنين**

فالأبناء الصالحين النابغين النابهين هم الذخر في الحياة، وهم الكنز وخلود الذكر..
ومن مبادئ الإسلام أن عمل الإنسان ينقطع بعد الموت إلاّ من ثلاث.. الصدقة الجارية، والعلم النافع، والولد الصالح الذي يدعو له، فقد ورد في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: **"إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلا مِنْ ثَلاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ" .** (27)

ولعله لا يخفى تلك العلاقة الوطيدة بين العلم (الكلمة)في الحديث الشريف، وبين الشعر(الكلمة) عند شكسبير، فكلاهما من أسباب خلود الذكر.. "فالشاعر هو صحيفة القبيلة و"محطة إذاعتها"، وصوته يحط ويرفع ويخلد لا سيما إذا كان مؤثراً، فيرويه الناس جيلاً بعد جيل. "(28)
ليس ذلك فحسب بل يجب أن نربط ذلك بما كانت العرب في جاهليتها تعده من أسباب فرحتها واحتفالها، ذلك أنهم كانوا يقيمون الولائم لمناسبات مخصوصة منها نبوغ شاعر أو ميلاد صبي ذكر، لذلك نجدهم يقرنون (البنين) ب(الشعر) إذ كلاهما من أسباب الذكر وعلو الصيت وسمو المكانة.. وتروي كتب الأدب: أن القبائل كانت تحتفل احتفالاً كبيراً بمولد الشاعر فيها، يقول ابن رشيق في كتابه العمدة: "كانت القبيلة من العرب إذا نبغ فيها شاعر أتت القبائل فهنأتها، وصنعت الأطعمة، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر، كما يصنعون في الأعراس، ويتباشر الرجال والولدان؛ لأنه حماية لأعراضهم، وذب عن أحسابهم، وتخليد لمآثرهم، وإشادة بذكرهم. وكانوا لا يهنئون إلا بغلام يولد، أو شاعر ينبغ فيهم، أو فرس تنتج.. "(29) لذلك أقول بأن جو النص الشسكبيري لا يخفى في قصيدة عبدالله إدريس، فالنصان يحملان نفساً متقاربا مع اختلاف الزمان والمكان.
6-كذلك من ملامح الحياة في النص إشارته إلى صلاح البنين (ويا سعدنا بصلاح البنين).. ففي الحديث الذي أوردناه من قبل: إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلاّ من ثلاث، صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولدٌ صالحٌ يدعو له..)فصلاح البنين دال من دوال استمرار العمل.. وفي ذلك إشارة للحياة.
7-من ملامح الحياة كذلك وصفه للمحبوبة بأنها "خدينة دين وعقل رصين"..
إذ أن العقل عند بعض الفلاسفة إنما يرمز للحياة، فأرسطو كان يدرك الفارق العميق بين الإنسان والحيوان، فما يميز الإنسان عن الحيوان هو عقله، أي قدرته على التفكير، والعقل إنما يأتي للإنسان "من الخارج" إنه العنصر الإلهي في الإنسان، وهو وحده الذي لا يفنى عند الموت (30). فالعقل إذاً هو رمز الحياة والخلود، وذكره في النص ليس ملمحاً من ملامح الحياة فحسب، بل يضيف أيضاً آمالاً عريضة بدوام حياة المحبوب.
8-الألفاظ: فكثير من ألفاظ النص تحمل التفاؤل والبشر وكلها إشارات دالة على الحياة (لقد كنت لي سعد هذا الوجود) (يا سعدنا بصلاح البنين) (هم الذخر دوماً بهذي الحياة) (هم كنزنا) (امتداد السنين) (سلكنا طريق الحياة) (الرفيق الوفي) (الرفيق الأمين) (اصطناع الجميل) (انثيال اليمين) (فيا زخة من سحاب رهيف) (يا نفحة من سنا المتقين).... فجميع هذه الألفاظ إنما تمثل البشر والتفاؤل وترمي إلى حب الحياة بجمالها ونضرتها مما يجعلها تمثل ملمحاً من ملامح الحياة.

9- الشكل العروضي: فقد لجأ الشاعر في نصه إلى استخدام البحر المتقارب في صورته التامة ذات الثماني تفعيلات (فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن فعولن)، دون الصور الأخرى، أي المجزوء ذي التفعيلات الست للبيت، والمشطور ذي التفعيلات الأربع.. فكأنما هذا الطول الواضح للبيت يمثل الرغبة في اكتساب لحظات أطول من الحياة، كما أن التدفق الإيقاعي والانثيال الموسيقي من خلال البيت التام فيه رمزية للحياة، مما يجعل هذا الشكل العروضي يمثل ملمحاً من ملامح الحياة.

**ملامح الموت:**

بجانب تلك الملامح التي شهدناها شاهدة على الحياة تأتي ملامح الموت ليست تالية لملامح الحياة، لكنها متلازمة معها في ذات الوقت لتدل على صراع لا يكاد ينتهي بين الحياة والموت. وتتمثل ملامح الموت في الآتي:

1/ التعجيل بذكر الرحيل في أوّل كلمات النص (أأرحل)، ويقتضي المقام ألاّ يبدأ النص بها من منطلق نظرية النظم، فترتيب الألفاظ يقتضي أن يكون الاستفهام (أقبلك أرحل؟) لأن الاستفهام من خلال سياق الكلام والحال إنما هو عن الزمان وليس عن الفعل، ولهذا وجب تقديم الظرف (قبلك) على الفعل (أرحل) كما يقضي بذلك علم المعاني، أما السياق الحالي في النص (أأرحل قبلك) فإنما هو استفهام عن فعل الرحيل، وهو مما لا يحتاج إلى استفهام ولا إجابة لأنه معلوم وهو مصير كلّ حي.

ومثل هذا التساؤل موجود في مختلف النصوص وفي مقدمها القرآن الكريم في مثل قوله تعالى في شأن فرعون لحظة غرقه (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلاّ الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين..) (يونس 90-91) فقوله تعالى (آلآن..) أي (آلآن آمنت) وهو استفهام إنكاري لا ينكر الفعل ولكنه ينكر الزمن ولذا قدم الزمن وجاء تالياً لأداة الاستفهام.

ولعل مثل ذلك ما نجده عند الشاعر السوداني الهادي آدم في قصيدته (الغد)، إذ يقول[31]:

**أغداً ألقاك يا لهف فؤادي من غدي**
**وأحييك ولكن بفؤادي أم يدي**
**أم بطرفٍ خاشع اللمحِ كليلٍ مجهدِ**

**.....**

**أنا أخشى من غدٍ هذا وأرجوه اقترابا**
**كنت أستدنيه لكن هبتُهُ لمّا أهابا**
**وتولّت دهشةُ القربِ فؤادي فأنابا**
**هكذا أستبطن العمر نعيماً وعذابا**
**مهجة سكرى وقلبٌ مستهام يتغابى**

فاستفهامه وخوفه ليس من اللقيا في ذاتها، بل من موعدها أي الزمن، ولذا فهو يقدم الزمن (غداً) على الحدث (ألقاك)، ويؤكد خشيته لهذا الموعد (أنا أخشى من غدٍ هذا) (لكن هبته..)
، ولولا الإطالة لأوردتها كاملة إذ كلها خوف ووجل من هذا الموعد.

أما انحراف الشاعر عبدالله إدريس وتقديمه للحدث على الزمن، فلا يعدو أن يكون تعبيراً عن حالة نفسية، وتصويراً لذاته المرتبكة وفي خاطره هذا الحدث الجلل (الرحيل)، وشواهد ارتباك التعبير لارتباك النفس معروفة ولعلّ من ذلك من نجده في الصحيحين وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم سقط على بعيره وقد أضله بأرض فلاة { وفي رواية أخرى لمسلم }لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت عنه وعليها طعامه وشرابه فأيس منها فأتى، شجرة فاضطجع في

ظلها قد أيس من راحلته. فبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح. (32)

لذلك يمكننا القول إن هذا الانحراف في التعبير إنما يعود إلى الحالة النفسية التي اعترت الشاعر، وكان في تعجيله ذكر الرحيل ملمحاً مهماً من ملامح الموت.

2/ ثاني ملامح الموت في النص هو الختام المفاجئ للنص، حيث أن التعجيل بإنهاء النص فيه إيحاء بانتهاء الحياة أي بالموت، فالقارئ المتعمق يحس بصدمة كبيرة حين يجد نفسه فجأة أمام المصير الحتمي الذي لا مفرّ منه، فقبل ختام النص يجد القارئ نفسه يعيش في جوّ من الغزل الرقيق ويكاد يوهم بالمزيد:

**لك الحمدُ يا ربُّ أن صغتها خدينةَ دينٍ وعقلٍ رصين**
**تسابقُني في اصطناعِ الجميلِ وتغبطُني في انثيالِ اليمين**
**فيا زخّةً من سحابٍ رهيفٍ ويا نفحةً من سنا المتّقين**
**حياتي بدونك حرٌّ وقرٌّ وأنتِ على صدق ذا تشهدين**

فالعطف المتتالي للجمل يجعل القارئ لا يتردد في إضافة معانٍ جديدة (تسابقني... وتغبطني... فيا زخّةً... ويا نفحةً... حياتي بدونك... وأنت على صدق ذا...)، ثم يفاجئنا النص بالبيت الأخير:

**وينفضُّ سامرُنا موغِلاً رحيلاً إلى أكرمِ الأكرمين**

ليحطم كل الأحلام التي بناها القارئ في جو هذا الغزل الرقيق..

وفي ظني أن هذه الواو الأخيرة (وينفضُّ) كانت أساس عنصر المفاجأة في ختام النص، وهي العنصر الرابط بين البناء والهدم، بين الحلم والحقيقة، أعني حلم الحياة/الغزل، وحقيقة الموت/الرحيل..

ولعل هذا الانتقال المفاجئ ما بين الحياة والموت نجده في بعض نصوص الشعر العربي ولعل بعض الشعراء من أصحاب النظرة السوداوية للحياة قد جعلوا من التشاؤم منهجاً لاعتصار الحزن والألم، مما يجعل القارئ ينكسر فجأة أمام الحياة، ولا يجد أمامه إلاّ الموت الزؤام، ففي قصيدة (الحسن مرآة الطبيعة)(33) ينتقل شكري من الحياة إلى الموت دون أدنى تمهيد يهيئ القارئ لاستيعاب هذا النقل المفاجئ من التفاؤل إلى التشاؤم، من الحياة إلى الموت.. يقول:

**قم بنا نعشق النجوم حبيبي أوشك الليلُ جنحُه أن يزولا**
**قم بنا نخلسُ الزهور من الحبِّ ونسقي الرحيقَ والسلسبيلا**
**وأرى البدرَ فوق وجهك يا بدرُ نعيماً جمّاً وحسناً صقيلا**
**قم بنا نعشق الحياة حبيبي لا تدعني متيّماً مخذولا**
**أنت مرآة ما يجيءُ به الكونُ من الحسنِ بكرةً وأصيلا**
**فأرى في الصباحِ منك ضياءً وأرى في المساءِ منك ذبولا**
**وأرى فيك للظهيرة حرّاً وفتوراً لِذّاً وظلاًّ ظليلا**
**وأرى فيك نسمةً كليالي الصيف حيث النسيمُ يسعى عليلا**
**وأرى منك في الخريف شبيهاً ثمراً يانعاً وزهراً جميلا**

فهو يدخل القارئ في جنة الغرام ويجعله يتنسم أنفاس العشق والحب فكأنما هو يهيم في وادي الجمال، ثم فجأة يخرجه من كل ذلك ويهبط به في وادي الموت..

**كم جميلٍ يزهى بحسنٍ عميمٍ حجبَ الموت لحظهُ أن يصولا**
**ذو بهاءٍ ونضرةٍ وضياءٍ منعَ الموتُ أمرهُ أن يطولا**
**أكلتهُ الديدانُ ميتاً وقد كا نَ يعافُ العناقَ والتقبيلا**
**هكذا سنّة الردى وقديماً أهلكَ الناسَ نشأهم والكهولا**

فشكري يجمع التفاؤل/الحياة، بالتشاؤم /الموت، ليس في هذه القصيدة فحسب بل في معظم تجربته، ولعل ذلك ما أطلق عليه د. السعدي فرهود "التعادلية في شعر شكري".. فهو لم يكن يتفائل إلاّ بقدر ما يتشاءم، ولم يكن يتشاءم إلاّ بقدر ما يتفاءل، فالرؤية عنده متزنة، وإن كان للتشاؤم أميل. [34]، ولعلنا نستطيع أن نلخص فكرة الانتقال المفاجئ من الحياة إلى الموت الواردة في القصيدة السابقة ببيت من شعره، إذ يقول مخاطباً محبوبته بعد غزل رقيق:

**بينما أنت كالضياء بهاءً إذ تعودين رمّة تُتَحامى** [35]

فانظر إلى هذا التشابه في النقلة المفاجئة بين شكري وابن إدريس التي تجعل القارئ لا يملك نفسه من هول الصدمة التي يدخلها النص في نفسه.

إلاّ أنّ نهاية النص عند عبدالله إدريس تحمل شداً وجذباً متتابعاً وسريعاً لمشاعر مختلفة، وحالات نفسية متغيرة عجلة.. فبينا يعيش القارئ حالةً من الانتشاء تتغير فجأة إلى صدمة قوية حين يصل إلى قوله: وينفضُّ سامرنا موغلا، فثلاثة الألفاظ تكتنز بحمولات دلالية موحية، فقوله (ينفضّ) تشير إلى التكسّر والتفرّق والتشظّي، جاء في مختار الصحاح: (ف ض ض) الفَضُّ الكسر بالتَّفْرقة وبابه ردّ. وفَضَّ خَتْم الكِتاب. وفي الحديث (لا يَفْضِض اللهُ فَاكَ).... وانْفَضَّ الشيءُ انكَسَرَ. وفَضَّ القَومَ فانْفَضُّوا أي فَرَّقَهُم فَتَفَرَّقُوا. وكُلُّ شيء تَفَرَّق فهو فَضَضٌ بفتحتين. [36]، كما جاء في لسان العرب: (فضض) فَضَضْتُ الشيءَ أَفُضُّه فَضّاً فهو مَفْضُوضٌ وفَضِيضٌ كسرتُه وفَرَّقْتُه وفُضاضُه وفِضاضُه وفُضاضَتُه ما تكسَّر منه [37]وجاء في تحرير ألفاظ التنبيه: الانفضاض الانصراف والتفرق [38]

.. فكلها معانٍ تشير إلى التشظي والتفرق. أما (السامر) فتشير إلى نقيض ذلك تماماً إذ تشير إلى التجمع فـ "السَّامِرُ والسُّمَّارُ الْجَمَاعَةُ الَّذِينَ يَتَحَدَّثُونَ بِاللَّيْلِ. والسَّمَرُ: حَدِيثُ اللَّيْلِ خَاصَّةً. والسَّمَرُ والسَّامِرُ: مَجْلِسُ السُّمَّار. اللَّيْثُ: السَّامِرُ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَجْتَمِعُونَ للسَّمَرِ فِيهِ؛ وأنشد: وسَامِرٍ طَالَ فِيهِ اللَّهْوُ والسَّمَرُ [39].. فانفضاض السامر دلالة على التفرق والانصراف..

.. وتؤدي لفظة (موغلا) دوراً مهماً في زيادة مشاعر الاضطراب والخوف والوجل.. إذ توحي بالسرعة وشدة البعد والغور، فقد ورد في اللسان "أَوْغَلَ القومُ وتَوَغَّلوا إذا أَمْعَنوا فِي السَّيْرِ. والوُغُول: الدُّخُولُ فِي الشَّيْءِ. والإيغالُ: السَّير السريعُ، وَقِيلَ: الشَّدِيدُ والإِمْعانُ فِي السَّيْرِ؛ قَالَ الأَعشى:

**مَرِحَتْ حُرَّة، كقَنْطَرَةِ الرُّومِيِّ،... تَفْرِي الهَجِير بالإِرْقال**
**تقطَعُ الأَمعَزَ المُكَوكِب، وَخْدًا،... بِنَواجٍ سَرِيعةِ الإِيغال** [40]

كما تدل على التواري والاختفاء، ورد في اللسان كذلك: وَغَلَ فِي الشَّيْءِ وُغولًا: دَخَلَ فِيهِ وَتَوَارَى بِهِ، وَقَدْ خُصَّ ذَلِكَ بالشجَر فَقِيلَ: وَغَل الرَّجُلُ يَغِل وُغولًا ووَغْلًا أَي دَخْلٍ فِي الشَّجَرِ وتَوارى فِيهِ. ووَغَلَ: ذهَب وأَبعَد؛[41]

فقد جاءت (موغلاً) هنا ذات حمولة دلالية عميقة إذ تحمل إيحاء بالسرعة والتواري والتمادي في البعد والاختفاء.

.. ولكن القارئ ما يلبث أن تعود مشاعره إلى الاطمئنان والسكينة حين يقرأ في شطره الأخير (رحيلاً إلى أكرم الأكرمين).. وكذلك نجد أن قوله (أكرم الأكرمين) تجعل القارئ يزداد طمأنينة وسكينة، لأن (أكرم الأكرمين) تعني المغفرة والعفو والعطاء غير المجذوذ.. مما يجعل القارئ يطرد كلّ وجل وخوف واضطراب.

إذاً فقد كانت نهاية النص بهذه السرعة المفاجئة التي لا يكاد القارئ يتوقعها ملمحاً مهماً من ملامح الموت في سرعته ومفاجأته.

3/ ثالث ملامح الموت هو الشكل العروضي:

يستخدم الشاعر في أبياته البحر المتقارب التام، الذي يقوم على التفعيلة(فعولن)ثماني مرات، لكن الأبيات تلجأ إلى تنويع التفعيلة الأساسية لتشير إلى ملمح من ملامح الموت، وذلك باستخدام شكلين من أشكال التفعيلة:

أولاً استخدام القبض: وهو حذف الخامس الساكن من آخر التفعيلة لتصبح (فعولُ) بدلاً من (فعولن) وذلك في أكثر من 40%من تفعيلات النص، ولعلّ في هذا النقص الظاهر لبعض أجزاء النص إيحاء بنقص اللحظات المشكلة للعمر/الحياة، وذلك مما نراه ملمحاً من ملامح الموت.

ثانياً: استخدام علّة القصر في التفعيلة الأخيرة من الأبيات: وهو حذف ساكن السبب الخفيف وتسكين ما قبله، فتتحول (فعولن //o/o) إلى(فعولْ //oo)[42].

فبتقطيع البيت الأول من النص عروضياً يتضح لنا أن النص يعمد إلى تصوير نهاية الأبيات كأنما هي نهاية للحياة، ولعلّ في إيراد الساكنين في النهاية إشارات موحية:

-التقاء الساكنين غير جائز في اللغة العربية –مع جوازه في العروض العربي-فاستحالة التقاء الساكنين كأنما فيه إشارة إلى استبعاد فكرة الموت في ذهن الإنسان، لكن الجمع بينهما هنا ينفي تلك الاستحالة ويجعل التقاءهما ضرباً من الواقع المنظور، مما يجعل فكرة الموت كذلك واقعاً لا يمكن التملص منه.

-التقاء الساكنين يؤكد فكرة أن الموت واقع لا مفر منه، فانتهاء البيت بسكونين بدلاً عن سكون واحد يصور نهاية الحياة وأنها في النهاية تؤول إلى ما آل إليه البيت الشعري في نهاية رحلته المملوءة بالحيوية والحركة، كما أن دلالة الساكنين تشاكل دلالة الرحيل في الصمت والتلاشي.

ولنا أن نتصور ما ذكرناه من خلال تقطيع البيت الأول الذي هو صورة لكل النص:

**أأرحَ لُقبْلَ كِأمْترْ حلينْ وتغْرُ بُشمْسِ يَأمْتغْ رُبينْ**

**oo// o/o// /o// /o// oo// o/o// /o// /o//**

فليلاحظ ما ذكرناه من القبض والقصر والتقاء الساكنين، والنص كله يسير على هذا المنوال.

من جهة أخرى فإن من ملامح الموت في النص استخدام القافية المقيدة، فسكون القافية فيه إيحاء بتوقف جميع الحركات وهو إشارة دالة على توقف الحياة، وبالتالي فسكون الحركة يعني الموت، تروي كتب الأدب أنّ امرأةً دخلت على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه، فقالت: يا أمير المؤمنين أقرَّ اللهُ عينكَ، وفرَّحكَ بما آتاكَ، وأتمَّ سعدك، لقد حكمتَ فقسطتَ. فقال لها: من تكونين أيتها المرأة ؟ فقالت: من آل بَرمك ممن قتلتَ رجالهم، وأخذتَ أموالهم، وسلبتَ نوالهم، فقال: أمَّا الرجال فقد مضى فيهم أمرُ الله، ونفّذ فيهم قدره، وأمَّا المال فمردوه إليكِ. ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه، فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة ؟ فقالوا: ما نراها إلا قالت خيراً، قال: ما أظنّكم فهمتم ذلك. أمَّا قولها "أقرَّ الله عينكَ" أي أسكنها، وإذا سكنت العين عن الحركة عَميَت)[43]

إذاً ففي الوقف إشارة إلى السكون الدال على سكون الحياة وبالتالي هو ملمح من ملامح الموت.

4/ رابع ملامح الموت هو استخدام الدوال التي هي إشارة للموت أو الضعف ومنها (أرحل – تغرب شمسي – ينبتُّ الوجود– درب الفراق – الحزين – يذبل الربيع – تسكب سحب الأسى – مرقد مستكين – حزن روح – طواها المدى – فجعة – الفؤاد الطعين – كدر – حرّ وقر- ينفضّ سامرنا..)

فجميع هذه الدوال إنما هي إشارات الضعف والحزن والموت.. وقد جاءت جميعها لتمثّل ملمحاً من ملامح الموت في النص.

**<u>غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت</u>**

من خلال تحليلنا لملامح الجدل بين الحياة والموت لمسنا غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت، إذ أن ملامح الحياة تشمل تأخيره ذكر رحيل المحبوب، عدوله إلى استخدام لفظة (الردى) إلى (المدى)، تمثيله للمحبوب بالزمن الحاضر بينما يمثل لنفسه بالزمن الماضي، استخدام الأفعال

الموحية بالحركة، الإشارة إلى البنين كاستمرار طبيعي للحياة، الإشارة إلى صلاح البنين في إشارة موحية لاستمرار العمل، قرنه بين المحبوب والعقل الذي هو دال الخلود، استخدام الألفاظ الدالة على الحياة، ثم الشكل العروضي المتمثل في استخدام البحر المتقارب التام.. تأتي جميع هذه الملامح في مقابل ملامح الموت المتمثلة في: التعجيل بذكر الموت في مفتتح النص، الختام المفاجئ للنص، استخدام الألفاظ كدوال وإشارات موحية، ثم الشكل العروضي الذي يخرج إلى أكثر من وجهة تتلخص في القبض وحذف القصر كتمثيل لاختلاس الزمن واستخدام القافية المقيدة والتقاء الساكنين كإشارات دالة على الموت.

السؤال الذي يطرحه البحث ما دلالة غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت ؟وما أثر ثقافة الشاعر في ذلك ؟

في ظن الباحث أن الإجابة عن ذلك تأخذ منحيين: الناحية النفسية والنزعة الدينية.

## نزعة حب البقاء

حب البقاء نزعة تعتري كل كائن حي، ويكافح الإنسان وغيره وينافح من أجل البقاء، ومع علم الإنسان أن الخلود مستحيل يظل يحاول بشتى السبل اكتساب اللحظات التي تعطيه بعض الأنفاس التي تجعله متشبثاً بالحياة، و"لم يقتصر انشغال الإنسان بنموذج الموت والانبعاث من حيث ارتباطه بحياة الفرد خاصة، بل تعدّاه إلى ظواهر أخرى يخلقها الإنسان فتتخطاه عظمة وعمراً وتؤلف الكيان الحضاري. والإنسان يسعى دائماً-كما يقول أفلاطون في كتابه المأدبة-إلى اكتساب الخلود ليس بمعناه البيولوجي الحسّي، بل بدلالاته المعنوية، بأن يُبقِي لنفسه أثراً خالداً بعد موته. لذا يهتم الجانب الأعظم من الناس بإنجاب ذريّة تضمن استمرارهم في الحياة عبر الأجيال المتعاقبة، وهذه أدنى درجات الخلود. ويسعى آخرون –مُنِحوا موهبة خاصّة –إلى إبداع أعمال فنية وأدبية تحمل أسماءهم وتحقق الخلود"[44].

وقد أدرك الإنسان منذ القدم أنه لا محالة ميت مهما طال عمره، وذلك ما عبر عنه زهير في قوله:

**كل ابن أنثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول**

لكن مع ذلك بحث الإنسان عن الوسيلة التي تبقيه حياً حتى بعد موت الجسد، وقد أوردنا من قبل كيف عبر شكسبير عن خلود محبوبه في الأشعار التي يكتبها..

كذلك أدرك الإنسان أن بقاء ذكره بعد موته إنما هو بمثابة حياته، وقد قال شاعر:

**فإن تك أفنته الليالي فأوشكت فإن له ذكراً سيفني اللياليا**

وقال المتنبئ كذلك:

**ذكر الفتى عمره الثاني وحاجته ما فاته وفضول العيش أشغال**

ومن أسباب خلود الذكر حسن الثناء، وقد قال بعض الشعراء:

**فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بأفعالنا إن الثناء هو الخلد** [45]

وفي قصيدة عبدالله ادريس نجد ذلك واضحا، إذ يثني على محبوبه:

(لقد كنت لي سعد هذا الوجود)(وأنت كذاك الرفيق الأمين)(حياتي بدونك حر وقر)... إلى غير ذلك مما هو واضح في النص. كما يثني على نفسه (لقد كنت نعم الرفيق الوفي)... وكأنما يرد على خاطره قول الشاعر: فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بأفعالنا إن الثناء هو الخلد... فيثني على نفسه وعلى محبوبه سوياً فيقول:

**تسابقني في اصطناع الجميل وتغبطني في انثيال اليمين**

فيدل على أن كليهما محمود الأفعال ومستحق للثناء الموجب لخلود الذكر.
إذاً ففي النص اشارات موحية بحب البقاء، ولعل هذه الاشارة أيضاً ملمح مهم من ملامح الحياة.

**النزعة الدينية في النص:**

إن غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت تنطلق من ثقافة الشاعر الإسلامية ونزعته الدينية.. فالإسلام يدعو الى عدم تمني الموت فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (**خير الناس من طال عمره وحسن عمله**) (46)

وعن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: (**لا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ , وَلا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ إِلا خَيْرًا**) (47)

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قالُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (**لا تَمَنَّوْا الْمَوْتَ، فَإِنَّ هَوْلَ الْمَطَّلَعِ شَدِيدٌ، وَإِنَّ مِنْ السَّعَادَةِ أَنْ يَطُولَ عُمْرُ الْعَبْدِ وَيَرْزُقَهُ اللَّهُ الإِنَابَةَ**) (48)

فدعوة الدين إلى عدم تمني الموت كانت الرافد الاول الذي جعل لملامح الحياة غلبة على ملامح الموت.

يذكر زياد بن عبدالله إدريس الذي تعمّق في دراسة أعمال عبدالله إدريس الكاملة أن السمة الأبرز في شعره هي تلك "النزعة الدينية المنسابة منذ صبوات الشباب حتى وقار الشيخوخة. تدّين يراوح بين السلفية الساكنة حتى يتصاعد أحياناً إلى ما يشبه الشعر الصوفي في تجلياته التأملية. يبدو هذا التدين جليّاً في قصائد مكرسة لذلك، أو في أبيات متناثرة بين القصائد الأخرى، بل إن التدين يلازم ابن إدريس حتى في بعض قصائده الغزلية، وهي ظاهرة لافتة لشاعر استطاع أن يزاوج، دون تناقض، بين "تواجده" الشرعي، ووجدانه الشعري "(49)

تبدو هذه النزعة الدينية في النص واضحة سواء أكانت في الألفاظ أم في المعاني والصور، وينطلق فيها الشاعر من ثقافته الإسلامية على الرغم مما لمسناه في النص من شذرات للفلسفة الغربية أحيانا.

-أول ما يلقانا من النص هو التساؤل (أأرحل قبلك أم ترحلين)، وهو تساؤل لا يجيب عنه الشاعر تصريحاً ولا تلميحا، فهو ينطلق من مفهوم الإسلام عن الموت أنه من علوم الغيب (**قل لا يعلم مَن في السموات والأرض الغيب إلاّ الله وما يشعرون أيان يبعثون**)(النمل 65) (**وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلاّهو**) (الأنعام 59)، (**وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**) (لقمان 34) فالشاعر ينطلق من إيمان عميق وثقافة مفادها أن موعد رحيله من علم الغيب، فلذا لا نجد لتساؤله إجابة.

-يذكر محبة زوجه له اذ كانت سعادة الوجود، ويتلو ذلك بذكر الأبناء وأنهم سعد لهم، يقول:

**لقد كنت لي سعد هذا الوجود ويا سعدنا بصلاح البنين**

ولا شك عندي انه ينطلق في ذلك من ثقافة دينية عميقة متجذرة في نفسه، فقد جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: (**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً**)(الروم /21) .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " المودة هي: المحبة، والرحمة هي: الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها بأن يكون لها منه ولد... "(50) . فكأنما كان الشاعر يريد من بيته ذكر المودة والرحمة. أما كون البنين يشكلون لهما السعادة فلربما يشير الى قول الله تعالى (**المال والبنون زينة الحياة الدنيا**)(الكهف 47)

-يشير كذلك الى صلاح البنين، ولا شك أن ذلك من الأمور العظيمة في الاسلام فقد ورد في القران الكريم: (**وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً**) (الفرقان:74)

قال ابن عباس رضي الله عنهما:" يعنون: "من يعمل بطاعة الله فتقرّ به أعينهم في الدنيا والآخرة".

قال الإمام ابن كثير رحمه الله فى تفسيرها:[ يعنى الذين يسألون الله أن يخرج من أصلابهم من ذرياتهم من يطيعه ويعبده وحده لا شريك له]. (51)

كما ورد دعاء الكثير من الأنبياء والصالحين بصلاح البنين: فهذا سيدنا إبراهيم يرفع أكف الضراعة طالباً من الله تعالى أن يرزقه أبناء صالحين مصلحين فقال) :(**رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ**) (الصافات:100)

وعلى نفس الطريق سار سيدنا زكريا عليه السلام، إذ دعا الله تعالى لأبنائه قبل أن يولدوا فنراه يدعو الله تعالى أن يرزقه ولداً صالحاً مرضياً عند الله وعند الناس، يتحمل معه أعباء النبوة والدعوة إلى توحيد الخالق سبحانه قائلاً :(**فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً. يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً**) (مريم: 5-6)

-حمده وشكره لله تعالى:

**لك الحمد يا رب أن صغتها خدينة دين وعقل رصين**

انطلاقا من تعاليم الدين التي تقضي بحمد نعم الله تعالى (**لئن شكرتم لأزيدنكم**)(إبراهيم 7)(**وسيجزي الله الشاكرين**)(آل عمران 144)

-تقديمه للدين في وصف زوجته انطلاقا من الحديث الشريف (**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك**.) (52)

-ذكره اصطناع الجميل: تسابقني في اصطناع الجميل، وهي اشارات دينية، فقد ورد كثير من الدلائل عن وجوب صنع المعروف واصطناع الجميل، فقد جاء في صحيح البخاري في كتاب الصدقة (**صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والصدقة خفيا تطفئ غضب الرب**)(53)

-ذكره لانثيال اليمين، حيث أن اليمين إشارة موحية بالإنفاق والعطاء، فقد ورد في الحديث أن سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظلّ إلاّ ظله، ومنهم (رجل تصدّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه...)(54)

-ختم النص بذكر الرحيل إلى الله تعالى (رحيلا الى أكرم الاكرمين) انطلاقا من آيات القرآن.. وفي نظر الباحث أن في ختم النص بهذه العبارة إشارة موحية حيث تدل على النهاية المحتومة لكل مخلوق، وإن عودته ومصيره الرجوع إلى الله وحده، ولا شك أن في الرواية الواردة في تفسير ابن كثير أن آخر ما نزل من القرآن الكريم هو قول الله تعالى (واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون) (البقرة) توافقا مع ختام النص، إذ ان كليهما يشير الى حتمية العودة الى الله تعالى.. كما أن ذكره لأكرم الأكرمين فيه إيحاء برجاء العفو والمغفرة من خلال استحضار لفظة (اتقوا) في الآية..

قبل الدخول في نتائج هذا البحث، وللتأكيد على أنّ فكرة انشطار الذات عند عبدالله ادريس بين جدل الحياة والموت، ثم نزعته الدينية، لا تقتصر على النص موضوع الدراسة، وإنما يرى البحث أن ذلك متغلغل في نفس الشاعر متجذر فيها، ولذلك سنورد مقاطع من قصيدته (وغبت على مذبح سادر) المؤرخة 1427، التي كتبت عقب عملية جراحية أجريت له.. يقول:(55)

كضرب من الهاجس الهامس
يوشوشني رقة حالمه
كما وشوشات الشجر
** ** **
هاجس يحفز القلب أن يستجيب
لما قد يرى من شبوب الرجاء

وآخر يخشى انطفاء الحياة
بنصف الوجود
ونصف الفناء

نجد أن ذاته تنشطر نصفين، نصف يتمسك بالرجاء، ونصف يخشى انطفاء الحياة، مما يؤكد النزعة الجدلية المتعمقة في نفسه من تصوير الجدل بين الوجود والفناء /بين الحياة والموت.

ويصف لحظة بدء العملية الجراحية، وهي لحظة يتجلى فيها جدل الحياة والموت.. يقول:

وينغز نطس بماء المنام
لأسرح في عالم، غائم مستهام
ليس فيه رؤى أو بصيص حياة
ليس موتاً، ولكنه كالعدم
ليس دنيا ولا آخرة
وإن كان في ذاته آية باهرة
على حوضه يستقي الواردون
فإما حياة وإما منون
وغبت على مذبح سادر
وما عدت أدرك من عالمي
غير ما يقتضيه العدم
** ** **
سكون... سكون.. سكون
** ** **
ترى هل غدوت كما عابر من خيال؟
أو كما ذرة في السديم؟
وأيقظ غيبوبتي هاتف
تصورته لحظة الانتباه
كما (الصُّوُر) ينفخ في الهامدين
ومنه سمعت وجيب الحياة
ومنه نشرت جناح النجاة
وفتّحت عيني على عالمي
نعم، واستعدت الزمان

هكذا نجد أن فكرة انشطار ذات الشاعر بين جدل الحياة والموت متجذرة في نفسه، وتتجلى من خلال نصوصه مستظهرة أو مستبطنة.

أما النزعة الدينية فهي كذلك واضحة في هذا النص ولعلنا نعطي فقط اشارات لذلك مثل قوله:

**ضروب من الهاجس المتقد**
**ومن وسوسات الظنون**
**ومن رعشات الحذر**
**يحاصرني جمعها كي أقول:**
**اتفقنا على موعد قد قُدِرْ**
**وقمت إلى خالقي بالصلاة**
**لكي أستخير بما يعلم**
**ومن يستخير الإله فلا يندم(56)**
**وعدت على إثر تلك الصلاة**
**رضيَّ الشعور بما قد قُدر**

**بفرحة أن يجتويني الخور**

وقوله كذلك:

**توكل) ويا لفظة تعزف(**
**ترن على مسمعي.. ترزف**
**بكل قواي لها أرهف**
**ألذ نشيد به أهتف**

وقوله في ختام النص:

**فيا رب شكرا على نعمتك**
**وكل الثناء على منحتك**
**تباركت أنت جزيل النوال**
**لك الحمد والفضل والامتثال**
**لك الكون يسجد، ياذا الجلال**
**بكل خشوع وكل ابتهال**
**وكل التوجه نحو الكمال**

ولعله لا يخفى علينا التشابه التام بين ختام النصين، كما لا تخفى النزعة الدينية الواضحة في كليهما، وكذا انشطار ذاته بين جدل الحياة والموت، ولم يكن ايرادنا لمقتطفات النص الثاني إلا تأكيداً لما ذهبنا اليه في استنطاق النص موضوع الدراسة.

**نتائج البحث:**

بعد دراسة انشطار الذات بين جدل الحياة والموت في قصيدة (أأرحل قبلك أم ترحلين) للشاعر السعودي عبدالله ادريس توصل البحث لعدد من النتائج يمكن إجمالها في الآتي:

1/ يستبطن النص فكرة التدرب على الموت من خلال استظهاره تساؤل الشاعر عمن سيسبق رفيقه في الرحيل.

2/ من خلال استنطاق النص تجلى الصراع بين الحياة والموت من خلال إشارات متعددة تمثلت في الألفاظ والمعاني والصور والأفكار.

3/ تجلت ملامح الحياة في تأخيره ذكر رحيل المحبوب، عدوله عن استخدام لفظة (الردى) إلى (المدى)، تمثيله للمحبوب بالزمن الحاضر بينما يمثل لنفسه بالزمن الماضي تفضيلا منه لحياة محبوبه، استخدام الأفعال الموحية بالحركة، الإشارة إلى البنين كاستمرار طبيعي للحياة، الإشارة إلى صلاح البنين في إشارة موحية لاستمرار العمل بعد الموت، قرنه بين المحبوب والعقل الذي هو دال الخلود عند الفلاسفة، استخدام الألفاظ الدالة على الحياة، ثم الشكل العروضي المتمثل في استخدام البحر المتقارب التام في اشارة دالة لامتداد الزمن.

4/ اقتصرت ملامح الموت على: التعجيل بذكر الموت في مفتتح النص، الختام المفاجئ للنص، استخدام الألفاظ كدوال وإشارات موحية، ثم الشكل العروضي الذي يخرج إلى أكثر من وجهة تتلخص في القبض وحذف القصر كتمثيل لاختلاس الزمن واستخدام القافية المقيدة والتقاء الساكنين كإشارات دالة على الموت.

5/ اتضح من خلال النص غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت، وقد جاءت هذه الغلبة نتيجة عوامل مختلفة.

6/ كانت نزعة حب البقاء من عوامل غلبة ملامح الحياة على ملامح الموت، كما مثلت ملمحا مهما من ملامح الحياة.

7/ النزعة الدينية المتمثلة في ثقافة الشاعر الاسلامية أدت كذلك إلى غلبة ملامح الحياة حيث أن الشاعر ينطلق من تعاليم الدين الدالة على عدم تمني الموت.

8/ما استبطنه النص موضوع الدراسة من انشطار للذات بين جدل الحياة والموت، ونزعة الشاعر الدينية ونزعة حب البقاء. لا يقتصر على هذا النص فقط بل انه يستظهر من خلال نصوص أخرى للشاعر.

**الهوامش:**

(1) ولد في بلدة حَرمَة بنجد في المملكة العربية السعودية عام 1347هـ -1926م، وفيها تلقى دراسته الأولى، ثم انتقل إلى الرياض وتلقى دراسة شرعية موسعة بالمسجد الجامع، ثم حصل على الشهادة الجامعية من كلية الشريعة بالرياض عام 1376هـ، عمل في مجالات مختلفة قبل أن يعمل في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام 1396هـ، نال عدداً من الأوسمة وكرم في أكثر من محفل، وتم اختياره (الشخصية السعودية المكرمة) في مهرجان الجنادرية لعام 1431هـ (انظر الأعمال الكاملة ص558).
(2) عوض، ريتا، ص25
(3) الفقيه 2011
(4) نفسه
(5) درويش، أحمد، ص 234
(6) الفراهيدي، (233/6)
(7) ابن عباد، (156/2)
(8) الرازي، 162
(9) ابن فارس (مادة ش ط ر)
(10) اللسان والقاموس والصحاح (مادة ش ط ر)
(11) ابن فارس (ش ط ر)
(12) جمهرة اللغة (218/1)
(13) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم(267/3)
(14) ابن إدريس، الأعمال الكاملة ص535
(15) شورون، جاك ص58
(16) عباس، فضل حسن،، ص 170
(17) الكعكي، ص124
(18) شورون، جاك ص34
(19) عنانى 1962
(20) التهامي، أبو الحسن، ديوان التهامي ص335
(21) ابن الرومي، موقع أدب، قصيدة رقم(60766)
(22) إبراهيم، حافظ، موقع أدب، قصيدة رقم(13090)
(23) السياب، بدر شاكر، موقع أدب.
(24) السابق نفسه.
(25) السابق نفسه.
(26) شورون، جاك ص39
(27) صحيح مسلم
(28) علي، جواد، ص5520
(29) القيرواني، ابن رشيق، ص17
(30) شورون، جاك ص 77
(31) آدم، الهادي، ديوان كوخ الأشواق، ص61، وهي القصيدة التي تغنت بها السيدة أم كلثوم، وتغير العنوان في الأغنية من (الغد) إلى (أغداً ألقاك)، كما تغيرت بعض الألفاظ مراعاة للجانب الغنائي.
(32) صحيح مسلم.
(33) شكري، ديوان عبدالرحمن شكري، 250-251
(34) الكعكي، ص129
(35) شكري، ديوان عبد الرحمن شكري 116/2
(36) الرازي، ص241
(37) ابن منظور، 206/7
(38) النووي، ص84
(39) ابن منظور، 377/4
(40) نفسه، 733/11
(41) نفسه، 732/11
(42) جدوع، ص134

(43) الإبشيهي، 1/81-82
(44) عوض، ريتا، ص61
(45) البغدادي، 2/338-339
(46) رواه أحمد والترمذي، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.
(47) رواه مسلم 2682
(48) رواه أحمد وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة 885
(49) ابن إدريس، الأعمال الكاملة، ص8
(50) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، 6/309
(51) ابن كثير، مختصر تفسير ابن كثير، 2/641
(52) رواه البخاري 4802ومسلم1466
(53) رواه الطبراني وغيره وصححه الألباني.
(54) رواه مسلم (كتاب الزكاة-1031)
(55) ابن إدريس، الأعمال الكاملة، ص359
(56) هكذا في الديوان (يستخير)

**المراجع**:

(1) آدم، الهادي، ديوان كوخ الأشواق، مكتبة الكاملابي، القاهرة، (د. ت).
(2) الإبشيهي، شهاب الدين محمد بن أحمد، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية/صيدا-بيروت، 2007
(3) البغدادي، عبدالقادر ن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط/4، 1997
(4) ابن إدريس، عبدالله، الأعمال الشعرية الكاملة، ط/3، الرياض، 1431هـ
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع/القاهرة، 1979
(6) ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (د. ت)
(7) ابن عباد، الصاحب، المحيط في اللغة، المكتبة الشاملة(د. ت)
(8) ابن دريد، جمهرة اللغة، المكتبة الشاملة (د. ت)
(9) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم، المكتبة الشاملة (د. ت)
(10) البخاري، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل، الجامع المسند الصحيح، تحقيق/محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط/1، 1422ه.
(11) التهامي، أبوالحسن، ديوان التهامي، تحقيق محمد عبد الرحمن الربيع، مكتبة المعارف/الرياض، 1982.
(12) جدّوع، عزة محمد(د)موسيقا الشعر بين القديم والجديد، مكتبة الرشد/الرياض، ط/5، 2011
(13) درويش، أحمد(د)، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، مكتبة المتنبئ/الدمام، ط/3، 2010.
(14) الرازي، زين الدين، مختار الصحاح، المكتبة الشاملة(د. ت)
(15) شكري، عبدالرحمن، ديوان عبدالرحمن شكري، المجلس الأعلى للثقافة/مصر، 2000
(16) شورون، جاك، الموت في الفكر الغربي، ترجمة: كامل يوسف حسين، عالم المعرفة-المجلس الأعلى للثقافة والفنون والآداب/الكويت، 1984.
(17) عباس، فضل حسن(د)، البلاغة فنونها وأفنانها(علم المعاني)، دار الفرقان/الأردن، ط/3، 1992
(18) عناني، محمد(د)، ترجمة السوناتة (18) لشكسبير، جريدة المساء 1962
(19)علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، جامعة بغداد، ط/2، 1933.
(20)عوض، ريتا، أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، بحث ماجستير مخطوط، الجامعة الأمريكية – بيروت1974
(21) الفراهيدي، أبوعبد الرحمن الخليل بن أحمد، كتاب العين، سلسلة المعاجم والفهارس، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي (د. ت)
(22) الفقيه، أحمد إبراهيم(د)، صراع الحياة والموت، الأهرام اليومي2011/6/22.
(23) القيرواني، ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده،
(24) الكعكي، ثريا بشير محمد، التشاؤم عند عبدالرحمن شكري، دراسة تحليلية نقدية، بحث ماجستير مخطوط، جامعة أم القرى2009
(25) مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الجامع الصحيح، دار الجيل ودار الآفاق/بيروت، (د. ت).
(26) موقع أدب، www. adab. com
(27) النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف، تحرير ألفاظ التنبيه، تحقيق/عبد الغني الدقر، دار القلم/دمشق، ط/1، 1408هـ.

**********

**أمارابك**: *مجلة علمية محكمة تصدر عن الأكاديمية الأمريكية العربية للعلوم والتكنولوجيا* www.amarabac.com
**المجلد الخامس، العدد الخامس عشر (2014). ص ص 157-168**

# أثر انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية على التجارة الخارجية السعودية

**الفاتح محمد عثمان مختار***

**الملخص**: تناول هذا البحث بالوصف والتحليل أثر انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية على التجارة الخارجية السعودية، مبيناً لمفهوم اقتصاديات النقل وأهميته، وموضحاً لمشروعات خطوط النقل الحديدية الجاري انشائها بالمملكة، ومحللاً لآثار هذه المشروعات على التجارة الخارجية السعودية. وجاءت أهم النتائج التي توصل إليها البحث أن المشروعات التي شرعت المملكة في إنجازها تتمثل في الجسر البري لنقل البضائع والمسافرين ويربط البحر الأحمر بالخليج العربي، ومشروع خط الحرمين السريع لخدمة الحجاج والمعتمرين، ثم مشروع خط الشمال الذي يخدم مناطق الجوف وحائل والقصيم والمجمعة، ويعد المستقبل الاقتصادي لصناعة التعدين السبب الأساسي في بناء ميناء كبير لتصدير الخامات المعدنية كالفوسفات والبوكسايت وغيرها. كما أوضحت النتائج أن عدد حاويات السفن التي سيتم نقلها عبر الجسر البري في عام 2015 تقدر بحوالي 700 ألف حاوية مع إمكانية زيادة هذا العدد بنسبة تفوق المائة في المائة مما يعني ان عدد الرحلات اليومية للقطارات سيناهز الست عشرة رحلة. كما أبرزت النتائج أيضاً أن انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية بالمملكة تسهم في خفض تكلفة إنتاج السلع التصديرية ويزيد من فرص منافستها في الأسواق العالمية، كما تقلل من تكاليف السلع المستوردة من الخارج لتصل للمستهلك الداخلي بأثمان مناسبة ومعقولة، الأمر الذي يجعل من تجارة المملكة الخارجية تتمتع بمزايا نسبية تستفيد منها الدولة السعودية والمواطن السعودي.

**الكلمات المفتاحية**: اقتصاديات النقل، خطوط النقل، السكك الحديدية، التجارة الخارجية السعودية.

# The impact of the Railroads Construction on Saudi Foreign Trade

***Elfatih M. Osman Mukhtar***

**Abstract**: This research offers a descriptive and analysis for the impact of the Railway Lines Construction on Saudi Foreign Trade. It advances understanding of railway lines economies concept, its significance and demonstrates the ongoing rail lines projects throughout the kingdom. It also analyzes the impacts of these projects on foreign trade. The findings of this research reveal that the projects initiated by the kingdom represented in the land bridge to transport passengers and cargo, and connects the Red Sea and the Arabian Gulf. Moreover, Haramain High railway line project for pilgrims service and North line project, which serves areas of Al-Jouf, Hail, Qassim and Majmaah. This is considered the economic future of the industry of mining and the main motive for building major port to export raw materials such as phosphate, bauxite and others. The results also showed that the number of container ships that will be transported across the land bridge in 2015 is estimated at about 700 thousand containers with the possibility of increasing by more than 100%, which means that the number of daily trains trips range of up to sixteen trips. It also highlighted that building railway lines in the Kingdom contributes to reduce the cost of production of goods required for export and increase the chances of their competition in the global markets. In addition, it reduces the cost of imported goods for local consumption with appropriate and reasonable price. This makes foreign trade develop in kingdom for the benefit of the state and the citizen of Saudi Arabia.

**Keywords**: Transport economics, Railroads, Railways, Saudi Arabia's foreign trade.

* أستاذ الاقتصاد المساعد، كلية الاقتصاد والإدارة، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، drelfatih@hotmail.com.

**مقدمة:**

تعد اقتصاديات النقل من أهم الركائز الأساسية لأي اقتصاد حديث، ذلك أن دعم وسائل المواصلات والنقل يسهم في تحقيق المنفعة والمصلحة الاجتماعية. وللنقل أهمية كبيرة في اقتصاديات الإنتاج، فالعديد من المنتجات تحتاج غالباً لمواد أولية أو وسيطة توجد في أماكن جغرافية متفرقة، ومن ثم تتفاوت تكلفة أي منتج حسب الأماكن التي يتم منها الحصول على عناصر هذا المنتج. من هنا يتضح لنا أهمية قطاع النقل واقتصادياته في أي نشاط استثماري، ودرجة اعتماده على هذا القطاع الحيوي بشكل كلي أو جزئي (مختار الفاتح، 2006: 174).

كما يلعب قطاع النقل دوراً هاماً في عملية التنمية الاقتصادية حيث أنه يربط مراكز الإنتاج بتجمعات الاستهلاك وموانئ التصدير، ويساعد على تنمية المناطق التي تمر بها الطرق، ويوفر فرص عمل للعمالة في التخصصات العلمية والمهنية المختلفة.

ويتميز نشاط النقل بالسكك الحديدية بالعديد من الامتيازات من حيث قلة استهلاك الطاقة والمحافظة على البيئة وتركيز وتثبيت الأسعار بالنقل داخل القطر، مما يؤدي لإبراز دور السكك الحديدية في التطور الاقتصادي والاجتماعي في البلاد. (العرض الاقتصادي، 2002: 60-61).

كما يتميز النقل بالسكك الحديدية بأنه يمثل أرخص أنواع الترحيل، ويحمل كميات كبيرة بأثمان قليلة مما يسهم في تخفيض تكلفة إنتاج السلع التصديرية لأقل حد ممكن، حيث يمثل النقل بالشاحنات زيادة في تكلفة إنتاج السلع المحلية والتصديرية (مختار الفاتح، 2005: 234).

كما أن انشاء خطوط نقل السكك الحديدية بالمملكة سيسهم في ظهور صناعات جديدة يمكن أن تنشأ وتظهر مع تكامل الشبكة مما يؤدي إلى تحريك عجلة النمو الصناعي وظهور سلع صادر جديدة يمكن أن تنافس في الأسواق الخارجية وبالتالي زيادة فرص المنافسة للمنتجات الجديدة مع المنتجات الأخرى القائمة، مما يعني مزيداً من النمو الاقتصادي والصناعي. كما أن انشاء هذه الخطوط سيسهل من الارتباط بشبكات السكك الحديدية القائمة والمتوقعة في دول الخليج والدول الشقيقة والصديقة على حد سواء وهو ما يعظم القيمة الاقتصادية لهذه المشروعات، كما تبرز أهمية هذا الأسلوب في التأثير على كلفة السلع المستوردة، ومن ثم تأثيرها على انسيابية التجارة الدولية من خلال تأثيره على مختلف الخدمات اللوجستية وأهمها عملية التخزين والتوزيع، إضافة إلى اختصار المسافة اللازمة لإتمام عملية النقل.

**مشكلة البحث:**

أدركت المملكة العربية السعودية أن وسيلة النقل بالسكك الحديدية من أهم وسائل النقل على الإطلاق لعلمها بأن هذا القطاع له مردود اقتصادي كبير على الدخل القومي والتجارة الخارجية، لذا شرعت في انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية لأهمية هذا المشروع الاقتصادية، ولمعاناة الدولة السعودية من تحمل أعباء مالية كبيرة لصيانة الطرق القائمة فقط بسبب الأعداد الهائلة للشاحنات التي تستخدمها، ويسبب النقل بالشاحنات زيادة في تكلفة إنتاج السلع التصديرية والمستوردة مما يقلل من فرص المنافسة بالنسبة للسلع المصدرة للأسواق الخارجية ويزيد من تكاليف السلع المستوردة للمستهلك الداخلي، كما تتسبب كثرة الشاحنات في تلوث البيئة وفي الاختناقات والحوادث المرورية والتي يمكن الحد منها عبر نقل البضائع بواسطة القطارات.

**أهداف البحث:**

سوف يهتم هذا البحث بإلقاء الضوء على الجوانب التالية:

1- التعرف على المشروعات التي تنوي المملكة تنفيذها فيما يتعلق بإنشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية.
2- التعرف على عدد الرحلات اليومية المتوقعة للقطارات وكمية الحاويات المحملة بالبضائع التى سيتم نقلها عبر خطوط النقل الجديدة.

3- مدى مساهمة هذه الشبكة في تقليل الاختناقات والحوادث المرورية التي تسببها الشاحنات، وتغيير مفهوم المسافرين بالاعتماد على السيارات والطائرات.
4- مدى مساهمة هذه الشبكة في خدمة الحجاج والمعتمرين.
5- مدى أهمية هذه الشبكة للمصدرين وللناشطين في مجال إعادة التصدير.
6- التعرف على مدى تأثير انشاء هذه الشبكة على قطاع التجارة الخارجية السعودية.
7- مدى مساهمة هذه الشبكة في رفع معدلات النمو الاقتصادي للمملكة.

**فرضيات البحث:**

1- سيؤدي انشاء شبكة النقل بالسكك الحديدية إلى تخفيف التكاليف الباهظة لصيانة الطرق، وتخفيض تكلفة إنتاج السلع التصديرية.
2- انشاء شبكة النقل الحديدية يزيد من فرص المنافسة لسلع الصادر السعودية في الأسواق الخارجية، ويقلل من تكاليف السلع المستوردة ويجعلها تصل للمستهلك الأخير بأثمان مناسبة.
3- تساهم انشاء شبكة النقل الحديدية في تخفيف الضغط والازدحام على الطرق وتحد من التلوث الناجم من عوادم السيارات والشاحنات.
4- انشاء شبكة النقل الحديدية سيقلل من الضغط على ميزان المدفوعات السعودي.

**منهجية البحث:**

سوف يقوم هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي بوصف وتحليل أثر انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية على التجارة الخارجية السعودية، موضحاً لمفهوم اقتصاديات النقل وأهميته، ومبيناً للمشروعات الحيوية الخاصة بإنشاء خطوط النقل الحديدية التي ستنفذها المملكة، ومحللاً لأثر انشاء هذه المشروعات على التجارة الخارجية السعودية.

## 1- مفهوم اقتصاديات النقل وأهميته:

### 1-1 مفهوم اقتصاديات النقل:

تمارس خدمات النقل بمختلف أنواعه (البري، المائي، الجوي) دوراً حيوياً وفعالاً في دفع عملية الإنماء الاقتصادي والاجتماعي في كافة دول العالم، وذلك بغض النظر عن تباين الفلسفة الاقتصادية التي تعتنقها هذه الدول والتي تحدد بدورها نوعية ونطاق تدخل الدولة في النشاط الاقتصادي، وكذلك بغض النظر عن اختلاف أنماط التنمية الاقتصادية واستراتيجياتها المستهدفة. بحيث يمكن القول بأن خدمات النقل هي أساس التقدم الحضاري عامة والتقدم الاقتصادي بصفة خاصة إذ أن توفير وسائل النقل المناسبة هي ضرورة لا تقتصر على حمل ونقل البضائع والأشخاص فقط. بل أيضاً نقل المعارف والتقنيات من مكان لآخر عبر المسافات المتباينة بسرعة ومرونة وأمان وفق أقصر السبل والطرق وأيسرها بأقل تكلفة لتوليد وتعظيم المنافع الزمانية والمكانية الاستهلاكية والإنتاجية من أجل زيادة الإنتاج والتخصص وتوسيع نطاق السوق، مما يحقق وفورات اقتصادية هامة لمختلف الصناعات. كما يدعم نشاط النقل الاتصالات والعلاقات ويقارب بين الشعوب من خلال توثيق أواصر الجوار بتسهيل السفر ودعم الجوانب الاجتماعية بجانب الأنماط الاستهلاكية وزيادة التبادل التجاري سواء على المستوى المحلي أو الإقليمي أو العالمي. (أيوب، 2003: 15).

### 1-2 أهمية قطاع النقل:

عند تحليل أهمية قطاع النقل، يمكن تحليل أهمية قطاع النقل وتكاليف الحصول على خدماته وذلك على مستوى الاقتصاد القومي ككل من جهة، وأهمية قطاع النقل وتكاليف الحصول على خدماته على مستوى الوحدات الإنتاجية من جهة أخرى.

أولاً: أهمية قطاع النقل على مستوى الاقتصاد القومي ككل:

1- المساهمة في زيارة معدلات التكوين الرأسمالي (المادي والبشري) حيث تعمل خدمات قطاع النقل على تيسير عملية انتقال المعرفة التكنولوجية التي تزداد فاعليتها في رفع معدلات النمو الاقتصادي إذا ما تم تجسيدها في شكل سلع ومعدلات إنتاجية، وفنون إنتاجية متطورة، الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الطاقة الإنتاجية والتي تعد بدورها من أهم محددات التنمية الاقتصادية، وهو ما يفسر تزايد نسبة الإنفاق على قطاع النقل خاصة في الدول النامية، إذ بلغت نسبة الإنقاق على قطاع النقل بمختلف أنواعه ما يقرب من 40% من إجمالي الإنفاق على قطاع الخدمات المختلفة. (أيوب، 2003: 16-17).

2- العمل على تدعيم طاقة الدولة على التخصص وتقسيم العمل وتنظيم منافع ظاهرة المزايا النسبية في الإنتاج تؤدى إلى زيادة المنتجات (العرض) وتخفيض الأسعار وكذلك تحقيق فائض من المنتجات.

3- تحسين مركز ميزان المدفوعات من خلال زيادة طاقة الدولة التصديرية وتحقيق مزيد من العملات الأجنبية، تساعد في توفير الواردات من السلع الإنمائية التي يوجه جانب منها لتشجيع الصناعات التي تتخصص في إنتاج الصادرات من جهة وتوفير بدائل الواردات من جهة أخرى.

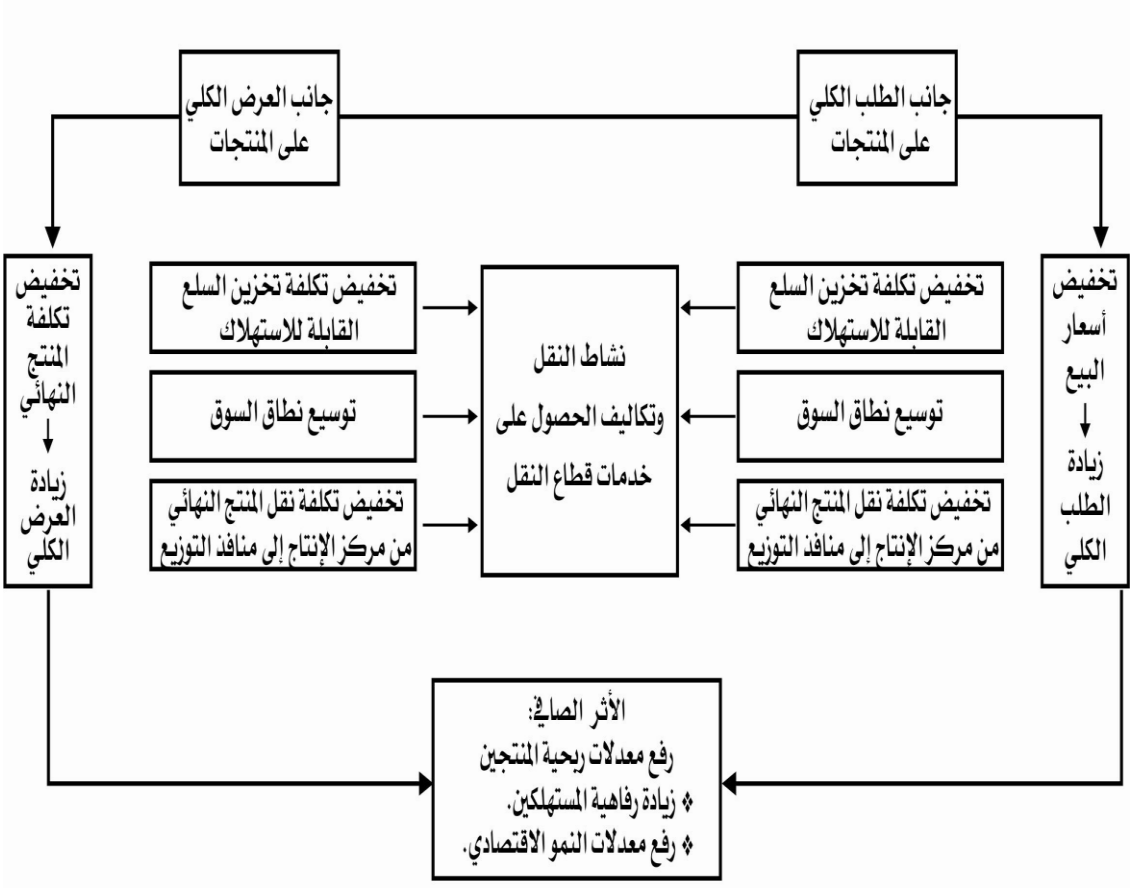

ثانياً: يوضح الشكل رقم (1) الأهمية الاقتصادية لقطاع النقل وتكلفة الحصول على خدماته وذلك على مستوى الوحدات الإنتاجية، ومنه نتبين ما يلي (أيوب، 2003: 19-21):

1- تؤثر خدمات قطاع النقل على جانب العرض الكلي للمنتجات السلعية والخدمية من خلال:

- تيسير حصول المنتجين على خدمات عناصر الإنتاج بالكم والتوقيت الملائمين، الأمر الذي يؤدي إلى تخفيض نقل المواد الخام ومستلزمات الإنتاج سواء المحلية أو المستوردة.
- يساهم في تخفيض تكاليف النقل، والتي تعد أحد عناصر تكلفة الإنتاج الإجمالية، بالإضافة إلى تخفيض تكاليف التخزين في تخفيض التكلفة النهائية للمنتجات على نحو يترتب عليه تعظيم طاقة المنتجين على زيادة الإنتاج ومن ثم زيادة العرض الكلي من مختلف المنتجات.
- يساعد السلع المنتجة محلياً على تخطي الحواجز الجغرافية والوصول إلى الأسواق الخارجية والدخول في حلبة المنافسة الدولية. (White head , 1993). ( Morton and Tulloch , 1978). (بتصرف).

2- تؤثر خدمات النقل على جانب الطلب الكلي من خلال:

- تخفيض تكلفة تخزين المنتجات القابلة للاستهلاك النهائي.
- توسيع نطاق الأسواق.
- تخفيض تكلفة نقل المنتجات النهائية من مراكز إنتاجها إلى منافذ توزيعها الأمر الذي يؤدي إلى زيادة الطلب الكلي عليها.
- يترتب على توافر خدمات النقل بتكلفة ملائمة، زيادة جانب الطلب والعرض الكلي للمنتجات بما يحقق زيادة أرباح قطاع المنتجين علاوة على زيادة مستوى رفاهية المستهلكين بتعظيم المنافع الناتجة عن توافر احتياجاتهم الاستهلاكية.

كما يوضح لنا الجدول رقم (1) الأهمية الكامنة لوسائل النقل البري

| الخصائص | النقل بالشاحنات على الطرق | النقل بالسكك الحديدية | النقل المائي الداخلي |
|---|---|---|---|
| 1- تكلفة النقل | | | |
| * المسافات القصيرة (1-250 كم) | 1 | 2 | 3 |
| * المسافات المتوسطة والطويلة (250 – أقل من400 كم) | 3 | 1 | 2 |
| * المسافات الطويلة (أكثر من 400 كم) | 3 | 2 | 1 |
| 2- السرعة في النقل (وقت الرحلة) من الباب للباب | 1 | 2 | 3 |
| 3- القدرة على النقل من الباب للباب | 1 | 3 | 3 |
| 4- عدد المواقع التي تخدمها الوسيلة | 1 | 3 | 3 |
| 5- القدرة على الوفاء بالنقليات المنتظمة | 1 | 2 | 3 |
| 6- التلف والفقد للبضائع أثناء النقل | 1 | 1 | 2 |
| 7- التأثر بالأحوال الجوية | 2 | 1 | 3 |
| 8- الأمان أثناء النقل | 3 | 1 | 1 |
| 9- استخدام الطاقة | 3 | 2 | 1 |
| 10- مستوى الاعتمادية على الوسيلة | 1 | 1 | 2 |

1= الافضل 2= متوسط 3= الأسوأ المصدر: (التوني، بدون تاريخ)

**2- مشروعات خطوط النقل الحديدية الجاري انشائها بالمملكة:**

تشهد المملكة العربية السعودية متغيرات اقتصادية تستدعي جملة من الخطوات التطويرية في المجال الاقتصادي، ومن ضمن تلك الخطوات العمل على إنجاز أضخم شبكة للخطوط الحديدية في المملكة يتم من خلالها ر بط الموانئ الرئيسة بالمراكز الصناعية والتجمعات السكانية الممتدة في أقاليم وسط وشرق وغرب البلاد. (النصيح، 2013).

أوضح تقرير نُشر من البنك السعودى الفرنسي أن حجم مشروعات السكك الحديدية الجديدة التي بدأت الحكومة السعودية العمل على تنفيذها فعلياً منذ عام 2006 تقدر بنحو 118 مليار ريال (31.4 مليار دولار) وهي مشروعات محورية ذات أبعاد اقتصادية، وفيما يلي نوضح المشروعات الحيوية الخاصة بإنشاء خطوط النقل الحديدية الجاري انشائها بالمملكة.

**2-1 الجسر البري:**

سيُستخدم هذا الجسر البري الذي يبلغ طوله 950 كيلومترا من السكك الحديدية لنقل البضائع والمسافرين ويهدف إلى ربط البحر الأحمر بالخليج العربي، وتسهيل نقل حاويات السفن المتجهة إلى السوق المحلية والأسواق الخليجية الأخرى. ويشتمل هذا الجسر على خطين من السكك الحديدية يبدأ الأول من ميناء جدة الإسلامي وينتهي في الرياض، بينما يربط الثاني مدينة الجبيل الصناعية، وهو أحد أهم المراكز الصناعية في المملكة ومنطقة الخليج، ببقيّة هذا الجسر البري.

ويعد هذا المشروع الضخم من أهم عناصر البرنامج التوسعي الذي تبناه المجلس الاقتصادي الأعلى في المملكة (والذي سيتم من خلاله تحويل أصول وموظفي المؤسسة العامة للخطوط الحديدية إلى القطاع الخاص) وخصخصة المؤسسة، ويهدف إلى:

أ- ربط الموانئ السعودية الرئيسة الموجودة في جدة والرياض والدمام والجبيل بشبكة متطورة من السكك الحديدية بغرض تحقيق المنفعة القصوى لأفضلية نقل السلع والأفراد بواسطة القطارات، وتعميم هذه المنفعة على جميع أنحاء المملكة.

ب- توفير خدمة سريعة وآمنه وموثوقة لشحن كميات إضافية كبيرة من حاويات السفن المتجهة إلى السوق المحلية وإلى الأسواق الخليجية الأخرى. ويُقدّر الوزن الإجمالي لمحتويات حاويات السفن التي ستنقل عبر هذا الجسر البري بحوالي ثمانية ملايين طن سنوياً.

ج- وحسب الدراسات المعدة من قبل المؤسسة العامة للخطوط الحديدية يُتوقع أن يبلغ عدد حاويات السفن النموذجية التي سيتم نقلها عبر هذا الجسر البري في عام 2015 بحوالي 700 ألف حاوية مع إمكانية زيادة هذا العدد بنسبة تفوق المائة في المائة، مما يعني أن عدد الرحلات اليومية للقطارات السعودية سيناهز الست عشر رحلة. ويمتاز هذا المشروع بمنافع اقتصادية كبيرة وواضحة. إذ لا تستطيع المملكة تطوير سوقها المحلية بالفاعلية المطلوبة من دون امتلاك نظام متطور وفعال للسكك الحديدية لنقل البضائع والخدمات والأفراد بأمان وبأقل التكاليف الممكنة. ونظراً إلى مساحة المملكة الشاسعة لا ينبغي أن تظل الشاحنات والطائرات وسائل النقل الوحيدة في البلاد. كما أن الدولة السعودية تتحمل أعباء مالية كبيرة لصيانة شبكة الطرق القادمة فقط بسبب الأعداد الهائلة للشاحنات التي تستخدمها. وتسبب كثرة الشاحنات اختناقات وحوادث مرورية يمكن الحد منها عبر نقل البضائع بواسطة القطارات. (تقرير البنك السعودي الفرنسي، بدون تاريخ).

د- علاوة على ذلك، فإن توفير نظام للسكك الحديدية كبديل آمن ومريح وفعال ورخيص يسمح للمسافرين بالتنقل بين مختلف الأماكن بسرعة ويسر. كما أنّ الاقتصاديات المتقدمة كالولايات المتحدة وفرنسا وإسبانيا واليابان مثلاً، تعتمد بشكل كبير على أنظمة فعالة للسكك الحديدية. وينبغي على المملكة أن تُسرع في إنجاز شبكتها للسكك الحديدية لأنها ستمكنها من التواصل بفاعلية أكبر مع مختلف دول المنطقة. وستُمثل هذه الشبكة خياراً إضافياً وناجعاً للمصدرين وللناشطين في مجال إعادة التصدير. ومن أفضليات هذه الشبكة حقيقة أن المسافرين لن يعتمدوا

على السيارات والطائرات فقط عندما ينتقلون بين الدمام والرياض وبين الرياض وجدة. وقد تساهم هذه الشبكة أيضاً في تطوير السوق المحلية لأن أعداداً متزايدة من الناس ستختار السفر بالقطار عندما تريد قطع مسافات طويلة مما يزيد من استخدام سيارات الأجرة داخل المدن.

وكمركبات آلية للنقل البري، تمتاز القطارات بكفاءة عالية في استهلاك الطاقة، كما أن سطوح السكك الحديدية ناعمة وصلبة وتسير عليها عجلات القطارات باحتكاك ضئيل. وعلى سبيل المثال تستطيع الشاحنة النموذجية الحديثة نقل 113 طناً من السلع المحملة على عربتين لكل منهما أربع عجلات مطاطية، ما يجعل الاحتكاك بين هذه العجلات والطرقات كبيراً. في المقابل، تمثل مساحة التماس بين عجلة القطار والسكة الحديدية شريطاً ضيقاً لا يتجاوز عرضه بضعة مليمترات، ما يقلل الاحتكاك بشكل كبير. وتستطيع السكك الحديدية توزيع أوزان القاطرة والعربات وحمولتها بصورة منتظمة، ما يسمح لكل محور وعجلة بتحمل أوزان أكبر بكثير من تلك التي تتحملها عجلات ومحاور الشاحنات، الأمر الذي يحدّ من التآكل والأعطال خلال عملية النقل. كما تسمح هذه الميزة بتوفير الطاقة بالمقارنة مع وسائل النقل البري الأخرى، مثل النقل بواسطة الشاحنات التي تعتمد حركتها على الاحتكاك الكبير بين العجلات المطاطية والطريق. وتمتاز القطارات أيضاً بمساحات أمامية صغيرة بالمقارنة مع أحمالها، ما يخفف مقاومة الهواء واستهلاك الطاقة. بالإضافة إلى ذلك، تمتاز السكك الحديدية بقدرتها على توجيه العجلات والسماح للقطارات الطويلة للغاية التي يجرّها محرك واحد أو بضعة محركات ويقودها سائق واحد بالانسياب بأمان حتى على المنعطفات، الأمر الذي يخفض التكاليف من خلال تقليص الموارد البشرية اللازمة وتوفير الطاقة.
في المقابل تُعد أي شاحنة تجر أكثر من مقطورتين على الطرقان منظومة غير آمنة.

**2-2 مشروع خط الحرمين السريع:**

تقدر تكلفة المشروع بحوالي 42 مليار ريال، ويعد هذا المشروع من المشروعات الضرورية في الوقت الراهن للأسباب الآتية:

- تزايد أعداد الحجاج والمقيمين عام بعد آخر.
- تزايد أعداد المعتمرين الأجانب والمقيمين الذين يزورون مكة المكرمة والمدينة المنورة على مدار السنة ولاسيما في أوقات المواسم والإجازات والعطل.
- تخفيف الضغط والازدحام على الطرق الممتدة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنطقة جدة.
- الحد من التلوث الناجم عن عوادم السيارات والشاحنات.
- الراحة والأمان والسرعة التي توفرها القطارات.

إنّ مشروع خط الحرمين السريع مشروع حيوي بالنسبة لمستقبل المملكة ويهدف إلى رفع كفاءة المنطقة الغربية التي تعتمد على الحجاج بشكل كبير. وإذا كانت المملكة تريد توسيع السياحة الدينية على مر السنين وتسعى لتحسين نظام المواصلات الموجود في المنطقة الغربية وتعزيز كفاءته، فإن مشروع الحرمين للقطارات السريعة ضرورة ملحة، وليس ضرباً من الترف. فالمدن المزودة بأنظمة للسكك الحديدية تعزز قدرتها على رفع معدلات نموها الاقتصادي قياساً إلى المدن التي تفتقر إلى مثل هذه الأنظمة. وفي الحقيقة يظهر تاريخ الاقتصاد العالمي أن شبكات السكك الحديدية الفعالة سمحت للمدن برفع معدلات نمو إجمالي نواتجها المحلية. ومن المؤكد أن ربط مدينة الملك عبدالله الاقتصادية بشبكة من القطارات السريعة سيعزز فرص نموها وسيشجع الناس على العيش فيها، كما سيُمكن سكانها من التنقل بحرية أكبر.

**3-2 مشروع خط الشمال**:

تقدر تكلفته بحوالي 38 مليار ريال، ويبدأ هذا الخط من الشمال الغربي للمملكة ويمر عبر مناطق الجوف وحائل والقصيم والمجمعة (سدير الصناعية) وينتهي في الرياض، مع إمكانية توسيعه إلى حزم الجلاميد لنقل الفوسفات وإلى الزبيرة لنقل البوكسايت ثم إلى رأس الزور على الخليج، حيث سيتم بناء ميناء كبير لتصدير هذه الخامات المعدنية وسواها.

ويُعد هذا الخط ضرورة اقتصادية ليس فقط بالنسبة لجميع المدن التي يمر بها، بل أيضاً بالنسبة للمستقبل الاقتصادي لصناعة التعدين التي أطلقتها شركة " معادن" السعودية، لاسيما في مجال صناعة الألمونيوم. فمن دون شبكة فاعلة للسكك الحديدية، سيستحيل تحويل البوكسايت المستخرج من باطن الأرض إلى أوكسيد الألمونيوم بتكلفة معقولة، ومن دون توفير أوكسيد الألمونيوم بتكلفة معقولة، قد يستحيل تحقيق الأرباح المنشودة من بيع الألمونيوم الذي تنتجه شركة معادن. وهذا ما ينطبق أيضاً على المنشآت التي طورتها شركتا معادن وسابك لإنتاج الفوسفات الموجه للتصدير بشكل أساسي. ولايمكن نقل الفوسفات بتكلفة معقولة لكي يتسنى تصديره بأسعار تنافسية من دون شبكة سكك حديدية تربط حزم الجلاميد برأس الزور. ويمثل التعدين ركيزة جديدة للاقتصاد السعودي من شأنها أن تحول المملكة إلى منتج عالمي مهم للفوسفات والألمونيوم. وعندما تصل منشأة ثاني أمونيوم الفوسفات إلى طاقتها الإنتاجية القصوى ستنتج نحو 18 % من الإنتاج العالمي لهذه المادة. أخيراً، قد تُوسّع شبكة السكك الحديدية السعودية إلى الأردن، الأمر الذي سيفتح أسواقاً جديدة للسلع التي ستنتج خارج المملكة وداخلها وستصدر بسرعة إلى السوق الأردنية وعدد من الأسواق الأخرى الأبعد منها (تقرير البنك السعودي الفرنسي، بدون تاريخ).

لقد زادت المملكة مؤخراً إنتاجها من الأسمدة لتلبية الطلب العالمي المتزايد على الأغذية. وسيرتفع عدد سكان العالم إلى عشرة مليارات نسمة بحلول عام 2050، طبقاً للبيانات التي قدمها نائب الرئيس لوحدة الأسمدة في شركة سابك، وذلك أثناء مؤتمر الشركات الخليجية للصناعات البتروكيماوية والكيميائية، وللمقارنة، يشار إلى أن عدد سكان العالم بلغ 6.7 مليارات نسمة في عام 2008. (تقرير البنك الدولي، بدون تاريخ).

وستبنى منشأة لتحويل حامض الكبريتيك بتكلفة كلية تتراوح ما بين ملياري دولار وثلاثة مليارات دولار وذلك بهدف إنتاج 1.5 مليون طن سنوياً من حامض أكسيد الكبريتيك ؛ وهو عامل كيميائي مجفف.

وسيزداد الطلب على الأسمدة خلال السنوات الأربعين القادمة لأن حجم الطبقة المتوسطة العالمية سينمو، الأمر الذي سيرفع معدلات نمو استهلاك اللحوم والبيض، وستُربط أسعار الأغذية والطاقة الكهربائية على نحو متزايد بأسعار المحروقات التي تميل إلى الارتفاع، الأمر الذي سيعزز استخدام الأسمدة من جانب المزارعين بهدف رفع كفاءة أنشطتهم، كل هذه المؤشرات تعزز القيمة الاقتصادية العالية للسكك الحديدية وما ستحدثه من نقلة نوعية في الاقتصاد السعودي وتجارته الخارجية. (تقرير البنك السعودي الفرنسي، بدون تاريخ).

**3- أثر انشاء الشبكة الحديدية بالمملكة على التجارة الخارجية السعودية:**

يقوم قطاع النقل بالسكك الحديدية بوظيفة جوهرية وهامة بين مختلف قطاعات الاقتصاد القومي، فقطاع النقل بالسكك الحديدية يخلق نوعاً من التشابك الاقتصادي فيما بين القطاعات الأخرى، وبما يدعم هيكل الاقتصاد القومي.

ويعتبر هذا القطاع أحد الدعامات الأساسية للإنتاج، كما أن هناك علاقة وثيقة بين قطاع النقل بالسكك الحديدية والتقدم الاقتصادي، حيث أن الأخير مرهون بمدى التقدم والتطور في وسائل النقل، فتحسين ميزان المدفوعات عن طريق زيادة الصادرات يتوقف على مدى كفاءة خدمات النقل بالسكك الحديدية لما لها من تأثير على تكلفة التصدير وبالتالي أسعار الصادرات وتكلفة الحصول على الواردات.

ومن ناحية أخرى فإن قطاع النقل بالسكك الحديدية يقوم بدور هام في نقل المنتجات الزراعية القابلة للتصدير والتي تتمتع فيها الدولة بميزة نسبية. فالمنتج الزراعي يتم نقله من أماكن إنتاجه إلى حيث يخزن (في حالة القابلية للتخزين) ثم النقل إلى موانئ الشحن، بالإضافة إلى عمليات النقل الداخلي التي تتم في الميناء. وتمثل بذلك تكاليف النقل نسبة كبيرة من إجمالي تكلفة المنتجات الزراعية تصل في بعض الأحيان إلى 50% من السعر النهائي في الدول النامية، ومن ثم فإن ارتفاع تكاليف النقل قد يؤدي إلى ضياع الميزه النسبية التي تتمتع بها إحدى الدول وبالتالي إنخفاض القدرة التصديرية وما يترتب عليها من انخفاض في الناتج القومي.

وتكلفة النقل لها دور هام وحيوى في تحديد الموقع الأمثل لتوطن نشاط أو مشروع صناعي معين. وتشير الدراسات إلى أن النقل تزداد أهميته بصفة خاصة في توطن الصناعات التحويلية، حيث تصل نفقات النقل في هذه الصناعات إلى حوالي 42%. وتؤثر بالتالي تكلفة النقل الداخلي في تحديد أسعار المنتجات الصناعية، الأمر الذي يتطلب ضرورة العمل على خفض هذه التكاليف إلى أدنى حد ممكن وذلك لعدم الإضرار بالميزة التنافسية لمنتجات القطاع الصناعي عند تصديرها (التوني، بدون تاريخ).

ولاشك أن المشروعات الجديدة التي يجري تنفيذها بالمملكة ستؤدي بالدرجة الأولى وبشكل مباشر إلى خفض هائل في فاتورة النقل التي تتحملها الدولة السعودية، مما يسهم في خفض كلفة إنتاج السلع التصديرية وتوسيع فرصها في الأسواق العالمية وانخفاض تكلفة سلع الوارد لتصل إلى المستهلك الداخلى بأسعار معقولة لتحقيق رغباته ورفاهيته، هذا إلى جانب فتح الحدود على مصراعيها أمام حركة التبادل التجاري بشكل سهل وسريع، وبالتالي مضاعفة حجم التبادل التجاري إلى أرقام هائلة، ويؤمن البعض من أبرز الخبراء الدوليين المتخصصين في تخطيط وتصميم وانشاء شبكات السكك الحديدية أن إتمام المشروعات التي تبنتها حكومة المملكة سيحدث تحولاً في اقتصاد المملكة ويدفع بمعدلات النمو إلى آفاق أعلى بكثير مما هى عليه. ويجمع هؤلاء الخبراء على أن خطوط السكك الحديدية تمثل مستقبل النقل في المملكة بلا أي منافس على الإطلاق.

إن انشاء الشبكة الحديدية بالمملكة سيترك أثراً إيجابياً كبيراً، فبالإضافة إلى تخفيض تكلفة نقل البضائع والركاب ستستفيد المملكة من هذه المشروعات في صناعة التعدين ونقل المستخرجات من مواقعها إلى مرافئ التصدير. كما سيستفاد منها من خلال توفير فرص العمل للخريجين في التخصصات العلمية والمهنية المختلفة التي تتطلبها صناعة انشاء شبكات الخطوط الحديدية، تحريك عجلة النمو الصناعي، حيث سيسهم الخط الحديدي في ظهور صناعات جديدة يمكن أن تنشأ وتظهر مع تكامل الشبكة مثل صناعة التعدين وصناعات ثقيلة أخرى، بالإضافة إلى تخفيف الاختناقات المرورية والمساهمة في رفع مستوى السلامة على الطرق في المناطق التي يمر بها الخط الحديدي من خلال توفير بديل آخر للمسافرين عبر البر بين مناطق المملكة ولاسيما بالنسبة للمشاعر المقدسة. كما ستساهم هذه المشروعات في خدمة المنتج المحلي وزيادة الفرص التنافسية له أمام المنتجات القادمة من الخارج والتي تتمتع بمزايا نسبية.

كما ستترك هذه المشروعات أثراً كبيراً على إمكانات النقل لأنها ستعزز القدرة على نقل البضائع التي ستستورد من دول شرق آسيا عبر مرفأ الملك عبد العزيز في الدمام في الغالب، ومن أوروبا وأمريكا الشمالية عبر ميناء جدة الإسلامي، الأمر الذي سيعزز حركة الترانزيت (إعادة التصدير) وستنخفض تكاليف نقل السلع التي ستستوردها المنطقة عبر هذين الميناءين.

ويقدر عدد حاويات السفن التي سيتم نقلها أكثر من ثمانية ملايين طن من شحنات البضائع المستوردة عبر الموانئ إلى السوق السعودي وأسواق الدول المجاورة لها.

وعليه يمكن القول أن توفر شبكة فاعلة للسكك الحديدية بالمملكة سيسهل عملية تحويل البوكسايت المستخرج من باطن الأرض إلى أوكسيد الألمنيوم بتكلفة مناسبة ومعقولة وتحقق الأرباح المنشودة من بيع الألمنيوم الذي تنتجه شركة معادن. كما ستسهل الشبكة من إنتاج الفوسفات

الموجه للتصدير بتكلفة معقولة لكى يتسنى تصديره بأسعار تنافسية من خلال شبكة حديدية تربط حزم الجلاميد برأس الزور. إذاً انشاء الشبكة الحديدية من شأنها جعل المملكة العربية السعودية تتمتع بميزة نسبية في تجارتها الخارجية وتصبح منافس قوي في الأسواق الخارجية وتساهم في تحقيق المزيد من الرفاهية للمواطن السعودي.

**الخاتمة**

تم إلقاء الضوء على أثر انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية على التجارة الخارجية السعودية، وقد تناول البحث مفهوم اقتصاديات النقل وأهميته، ثم تناول ثانياً مشروعات خطوط النقل الحديدية الجاري انشائها بالمملكة، وتطرق ثالثاً لأثر انشاء الشبكة الحديدية بالمملكة على التجارة الخارجية السعودية.

ظهر من البحث أن الحكومة السعودية شرعت في تنفيذ مشروعات محورية ذات أبعاد اقتصادية تقدر تكلفتها بنحو 118مليار ريال، وتتمثل هذه المشروعات في الجسر البري الذي يبلغ طوله 950 كيلومتراً من السكك الحديدية لنقل البضائع والمسافرين ويهدف إلى ربط البحر الأحمر بالخليج العربي، وتسهيل نقل حاويات السفن المتجهة إلى السوق المحلية والأسواق الخارجية الأخرى. ويشتمل هذا الجسر على خطين من السكك الحديدية يبدأ الأول من ميناء جدة الإسلامي وينتهي في الرياض، بينما يربط الثاني مدنية الجبيل الصناعية ومنطقة الخليج.

أما المشروع الثاني فهو مشروع خط الحرمين السريع والذي يقدر تكلفته بحوالي 42 مليار ريال لخدمة الحجاج والمعتمرين والزائرين والمقيمين.

ويتمثل المشروع الثالث في مشروع خط الشمال والذي تقدر تكلفته بحوالي 38 مليار ريال، ويبدأ من الشمال الغربي للمملكة ويمر عبر مناطق الجوف وحائل والقصيم والمجمعة وينتهي في الرياض، مع إمكانية توسيعه إلى حزم الجلاميد لنقل الفوسفات وإلى الزبيرة لنقل البوكسايت ثم إلى رأس الزور على الخليج، حيث سيتم بناء ميناء كبير لتصدير هذه الخامات المعدنية وسواها.

وأوضح البحث أن هذه المشروعات ستؤدي وبشكل مباشر إلى تخفيض هائل في تكاليف النقل مما يسهم في تخفيض تكلفة إنتاج السلع التصديرية وتكلفة سلع الوارد لتصل إلى المستهلك الداخلي بأثمان مناسبة تلبي رغباته وطموحاته، هذا إلى جانب فتح الحدود على مصراعيها أمام حركة التبادل التجاري بشكل سهل وسريع وبالتالي مضاعفة حجم التبادل التجاري، كما ستستهم هذه المشروعات في ارتفاع معدلات النمو إلى آفاق أعلى بكثير مما هى عليه، وكما أوضح البحث أن هذه المشروعات سيكون لها مردود اقتصادي كبير على صناعة التعدين وعلى حل جزء كبير من مشكلة البطالة من خلال توفير فرص العمل للخريجين، كما ستسهم في خدمة المنتج المحلي وزيادة الفرص التنافسية له أمام المنتجات الخارجية التي تتمتع بمزايا نسبية. وستعزز هذه المشروعات حركة الترانزيت (إعادة التصدير) وستخفض تكاليف نقل السلع التي ستستوردها المنطقة عبر مرفأ الملك عبدالعزيز بالدمام وميناء جدة الإسلامي، فانشاء هذه المشروعات من شأنها جعل المملكة العربية السعودية تتمتع بميزة نسبية في تجارتها الخارجية وتصبح منافس قوى في الأسواق الخارجية، وتساهم في تحقيق رفاهية عالية للمواطن السعودي.

**النتائج والتوصيات:**

**أولاً: النتائج:**

1- وضح من خلال الدراسة أن المملكة تقوم على إنجاز أضخم شبكة للخطوط الحديدية تقدر تكلفتها بنحو 118 مليار ريال، يتم من خلالها ربط الموانئ الرئيسة بالمراكز الصناعية والمجمعات السكانية الممتدة في أقاليم وسط وشرق وغرب البلاد.
2- تتمثل المشروعات التي شرعت الحكومة السعودية في إنجازها في الجسر البري الذي يبلغ طوله 950 كيلومتراً من السكك الحديدية لنقل البضائع والمسافرين ويربط البحر الأحمر بالخليج العربي، أما المشروع الثاني فهو مشروع خط الحرمين السريع لخدمة الحجاج

والمعتمرين والزائرين والمقيمين، ثم مشروع خط الشمال الذي يخدم مناطق الجوف وحائل والقصيم والمجمعة، ويعد المستقبل الاقتصادي لصناعة التعدين والسبب الأساسي في بناء ميناء كبير لتصدير الخامات المعدنية كالفوسفات والبوكسايت وغيرها من الخامات المعدنية.

3- أشارت الدراسات المعدة من قبل المؤسسة العامة للخطوط الحديدية أن عدد حاويات السفن التي سيتم نقلها عبر الجسر البري في عام 2015 تقدر بحوالي 700 ألف حاوية مع إمكانية زيادة هذا العدد بنسبة تفوق المائة في المائة، ما يعني أن عدد الرحلات اليومية للقطارات سيناهز الست عشرة رحلة.

4- أوضح البحث أن انشاء هذه الشبكة الحديدية سيعمل على تخفيض المصروفات الهائلة التي تتحملها الدولة السعودية في صيانة الطرق القائمة فقط التي تستخدمها الشاحنات التي تتسبب في الحوادث والاختناقات المرورية.

5- أكد البحث أن انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية بالمملكة تسهم في خفض تكلفة إنتاج السلع التصديرية ويزيد من فرص منافستها في الأسواق الخارجية، كما تقلل من تكاليف السلع المستورده لتصل للمستهلك الداخلي بأثمان مناسبة ومعقولة.

6- تساعد هذه المشروعات في توفير فرص العمل للخريجين في التخصصات العلمية والمهنية، كما تساعد على تحريك عجلة النمو الصناعي مما تدفع معدلات النمو إلى آفاق أعلى بكثير مما هي عليه.

7- تساهم هذه المشروعات في رفع مستوى السلامة على الطرق في المناطق التي يمر بها الخط الحديدي وتحد من الازدحام والتلوث الناجم من عوادم السيارات والشاحنات.

8- ستعزز هذه المشروعات من حركة الترانزيت (إعادة التصدير).

9- إنشاء الشبكة الحديدية سيجعل المملكة العربية السعودية تتمتع بميزة نسبية في تجارتها الخارجية وتصبح منافس قوي في الأسواق الخارجية وتساهم في تحقيق المزيد من الرفاهية للمواطن السعودي.

**ثانياً: التوصيات:**

1- الإسراع في تنفيذ هذه المشروعات الحيوية الضخمة ذات العائد الاقتصادي الكبير لأنها تمثل مستقبل الاقتصاد السعودي وتجارته الخارجية.

2- العمل على مواصلة الجهود لزيادة تنفيذ المشروعات الحيوية في مجال السكك الحديدية في المملكة حتى تتحقق الريادة وتعم الفائدة داخلياً وخارجياً.

3- العمل على توفير أفضل خدمات السكك الحديدية والتي تشمل نقل البضائع والركاب والمعادن داخلياً وخارجياً.

4- العمل على تطوير البنية التحتية على أعلى مستوى في المناطق التي يمر بها الخط الحديدي لنجاح هذه المشروعات وتحقيق الأهداف التي من أجلها قامت.

5- العمل على تأهيل وتدريب الكوادر التى ستستوعبها هذه المشروعات لرفع كفاءة الخدمة ونجاحها.

6- الاهتمام بعمل المزيد من الأبحاث والدراسات في مجال انشاء خطوط النقل بالسكك الحديدية ومردودها الاقتصادي على الاقتصاد السعودي وتجارته الخارجية لمزيد من الجودة والتطوير وتحقيق الريادة الإقليمية والعالمية.

**المراجـــع**

- مختار، الفاتح (2005)، التجارة الخارجية في السودان وآثارها على ميزان المدفوعات، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة النيلين، الخرطوم .

- مختار، الفاتح (يوليو2006)، اقتصاديات النقل بالسكك الحديدية، مجلة عالم الاقتصاد، دار الدراسات الاقتصادية، الرياض، العدد (174) .
- العرض الاقتصادي، (2002)، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، جمهورية السودان .
- أيوب، سميرة (2003)، اقتصاديات النقل - دراسة تمهيدية، الإسكندرية، الدار الجامعية .
- فتحي التوني، النقل متعدد الوسائط، التطبيقات والفوائد والتحديات، المعهد القومي للتخطيط، بدون تاريخ.
- النصيح، حامد (سبتمبر 2013)، شبكة السكك الحديدية تعيد توازنات التنمية على جميع المحاور، مجلة تجارة الرياض، العدد 612.
- تقرير البنك السعودي الفرنسي، بدون تاريخ.
- تقرير البنك الدولي، بدون تاريخ.

− G. White head, (1993),Commerce, Printed and bound in Great Britain by Athenaum Press.

− K. Morton and peter Tulloch ,(1978), Trade and Developing Countries , The over seas – Development Institute , London, Printed In Great Britain by Red wood Ltd , T. Bridge and Esher

**********